

جامعة عين شمس
كلية الآداب

تاريخ الشرق الأدنى القديم
شبه الجزيرة العربية - ايران - أسيا الصغرى

الجزء الثاني

دكتور: نبيل مروان

2006 م

Sharif Mahmoud

فهرس الموضوعات

أولاً : شبه الجزيرة العربية

ثانياً: ايران

ثالثاً : أسيا الصغرى

(1)

اولا شبه الجزيرة العربية

الفصل الأول

مصادر التاريخ العربي القديم

يعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ العرب القديم على العديد من المصادر التي يأتي في مقدمتها المصادر الأثرية وما سجله المؤرخون والرحالة اليونان والرومان ، وما ورد عن بلاد العرب في العصور القديمة في الكتابات اليهودية كالتوراة ، وما سجله المؤرخ اليهودي يوسف بن متى ، وما جاء في الكتابات المسيحية عن بلاد العرب والقبائل العربية ، ثم المصادر العربية التي يأتي في مقدمتها القرآن الكريم ثم الحديث النبوي الشريف ، التفسير ، وكتب السير والمغازي ، ثم الأدب الجاهلي ، فكتب اللغة ، وأخيراً كتب التاريخ والجغرافيا ويمكن عرض هذه المصادر على النحو التالي :

أولاً : المصادر الأثرية :

تعد المصادر الأثرية أهم مصادر التاريخ العربي القديم ، ومع ذلك فإن الإهتمام بها جد حديث، إذ أننا منذ قرن واحد من الزمان كانت معلوماتنا عن تاريخ بلاد العرب قبل الإسلام تعتمد فقط على مصادر قليلة لا تشفي غليل العلماء ، فكان الإعتماد بشكل رئيسي على ما جاء في التوراة وعلى ما كتبه المؤرخون والرحالة اليونان والرومان ، وعلى كتابات العرب والشعر الجاهلي وظل الأمر كذلك حتى أخريات القرن الثامن عشر الميلادي حينما بدأ الأوروبيون يهتمون ببلاد العرب وكان وراء ذلك العديد من الدوافع والأسباب . لقد سمع الأوروبيون في رحلاتهم إلى الهند ما يتناقله سكان شواطئ اليمن وحضرموت عن الآثار والأبنية والنقوش المدفونة في التلال والأودية ، كما للكتابات القصصية التي سجلها مؤرخو اليونان والرومان والعرب ، وما حفلت به الكتب المقدسة عن ملكة سبأ وسليمان – عليه السلام – أثرها في محاولة الكشف عن التراث القديم لبلاد اليمن ، ومن أوائل من قاموا باكتشافات علمية منظمة في جنوب بلاد العرب " كارستن نيبور " الذي كان ضمن بعثة دنماركية غادرت ميناء كوبنهاجن عام 1761 م ، وظل في بلاد العرب الجنوبية حتى عام 1717 م ، وتكونت هذه البعثة بالإضافة إلى " كارستن نيبور " عالم متخصص في اللغات الشرقية وهو " كريستنس فون هافن " وعالم متخصص في علم الحيوان وهو " بيتر فور سكال " ورسام وهو "نيفيندا" وطبيب " كريستنس كارل كرامر " . وكانت النتائج التي توصلت إليها البعثة من أفضل النتائج العلمية في ذلك الوقت . وما زالت المعلومات التي دونها " نيبور " مرجعاً أساسياً عن اليمن حتى الآن . وهو يعتبر أول رائد من رواد الغرب ظهر في القرون الحديثة ، وصف بلاد العرب ، ولفت أنظار العلماء إلى الخط المسند والأرقام العربية ، إلى جانب ماقدمه من خرائط لأماكن مجهولة (1) وقد أثارت رحلة " نيبور " هذه همم العلماء والسياح فقد قام من بعده عدد لايتسع المجال لذكرهم جميعاً برحلات إلى مختلف أنحاء جزيرة العرب عادت على التاريخ والكشوف الأثرية بالجزيرة العربية بفوائد جمة مكنت الباحثين من تتبع المراحل الرئيسية لتاريخ العرب في العصور القديمة . ومن هؤلاء الباحثين العالم الألماني " جاسبار ستزن " الذي تمكن من الوصول إلى ظفار حيث نجح في العثور على النقوش التي أشار إليها " نيبور " وفي نسخ خمس نقوش بالقرب من " زمار " تعتبر أولى النقوش العربية الجنوبية ، وهذه النصوص على الرغم من قصرها إلا أنها أفادت في تدوين تاريخ العرب قبل الإسلام حيث لفت أنظار المستشرقين إليها وإلى دراسة التاريخ العربي القديم حتى آل الأمر إلى حل رموز تلك الكتابة ومعرفة حروفها (2)

---

(1) أحمد فخري : اليمن ماضيها وحاضرها ، القاهرة 1957 ، صـ 77 ومابعدها

(2) ديتلف نلسن : التاريخ العربي القديم ، معرب بالقاهرة 1958 ، صـ 6

جاكلين بيرين : اكتشاف جزيرة العرب ، معرب بيروت 1962 ، ص 205 وما بعدها

وخطا البحث الأثري في جنوب الجزيرة العربية خطوات كبيرة على يد " توما يوسف أرنو " الذي زار اليمن عام 1843 م (1) فقد زار مأرب وصرواح وقام بنقل 56 نقشاً سبئياً . وفي عام 1870 م قام اليهودي الفرنسي " يوسف هاليفي " برئاسة بعثة فرنسية تابعة لأكاديمية الفنون والآداب الجميلة بزيارة لليمن وقد استطاع التجول في أرجاء اليمن حتى بلغ أعاليها مثل نجران وأعالي الجوف وهي المنطقة التي كان فيها المعينيون ، ووصل في تجوله إلى مأرب وإلى صرواح وأخيراً عاد إلى فرنسا ومعه 676 نقشاً ، ولم يكن من بينها الا أحد عشر نقشاً سبق أن نقلها " أرنو " ومع ذلك فأهم نتائج هذه الرحلة كان في المعلومات التي وردت في هذه النقوش فضلاً عن الآثار القديمة التي زارها وقام بوصفها وخاصة خرائب " قرناو " عاصمة دولة معين . (2)

وكان من أهم من جاء بعد " هاليفي " العالم النمساوي " إدوارد جلازر " الذي قام بأربع رحلات إلى اليمن بين 1882 و 1884 م ، عاد منها بعدد كبير من النصوص والنقوش بلغت زهاء ألف نقش ونص وتمكن من جمع معلومات مهمة عن طبوغرافية البلاد وأماكنها الأثرية وعاد بعدد من النقوش التي أضيفت إلى ممتلكات المتحف البريطاني وفي رحلته الثالثة التي استمرت من عام 1887 وحتى عام 1888 م حصل على أربعمائة نص من مدينة مأرب ، ونصوص أخرى من مدينة صرواح يرجع عهدها إلى العصر السبأي . وفي رحلته الرابعة التي
استمرت من 1892 وحتى عام 1894 استعان بالأعراب في نسخ النقوش القديمة في مناطق الجوف ، ومن ثم فقد تيسر له جمع مئات من النقوش الهامه ، كما تمكن خلال هذه الرحلة من جمع معلومات عن النقود العربية القديمة التي أصبحت ضمن مقتنيات المتحف الخاص بتاريخ الفنون في فيينا (3) وبفضل هذاالعدد الضخم من النقوش التي حصل عليها " جلازر " تمكن المهتمون بدراسة تاريخ القسم الجنوبي من بلاد العرب من التعرف على خصائص اللغات العربية الجنوبية القديمة ومقارنتها بغيرها من اللغات السامية . وفي عام 1936 م أرسلت جامعة القاهرة بعثة علمية إلى جنوب بلاد العرب تحت رئاسة الدكتور سليمان حزين كانت مهمتها دراسة المنطقة من نواحيها الجغرافية والزراعية والجيولوجية ، وكذلك دراسة النقوش السبأية ، إلا أن نشاط البعثة إقتصر على المنطقة المحيطة ببلدة " ناعط " وقد نشرت البعثة بحثين أحدهما عن الخطوط التجارية في شبه الجزيرة في العصر الروماني ، والآخر عن التغيرات المناخية التي أدت إلى الهجرات من جنوب شبه الجزيرة إلى شمالها في العصور القديمة (4) وفي عام 1947 م قام الأستاذ الدكتور أحمد فخري برحلة إلى بلاد اليمن زار فيها مناطق صرواح ومأرب وما حولهما وكذلك جميع مراكز الحضارة المعينية في الجوف ، كما تمكن من العثور على حوالي 120 نقشاً جديداً لم تكن معروفة من قبل . كما أخذ مجموعة من الصور الفوتوغرافية لكل مارآه من آثار وبخاصة سد مأرب والمعابد وبخاصة معبد إلمقه إله القمر السبأي في مأرب ، وقد نشر نتائج رحلته في بضع مقالات ، وفي كتاب أصدره عام 1952 م في ثلاثة أجزاء ، ثم قام بزيارة اليمن مرة أخرى عام 1959 حيث زار مأرب ونقل نقوشاً جديدة لم تكن معروفة من قبل ، كما نجح في الوصول إلى موقع معبد في منطقة المساجد(5)

---

(1) أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، القاهرة 1963 ، صـ 150

(2) Fakhry ,A . , Archaeological Journal to Yemen , cairo, 1952 , Vol. , 1, pp.21–.24

(3) ديتلف نلسن : المرجع السابق ، صـ 21 – 22

(4) Huzin , S., Nature , Vol . CXI , 1937 , p . 513 ff.

خليل يحيى نامي : نقوش سامية قديمة في جنوب بلاد العرب وشرحها ، القاهرة 1943

(5) قام أ.د . أحمد فخري بنشر نتائج أعماله في اليمن في كتابه

An Archaeological Journey to Yemen في عام 1952 في ثلاثة أجزاء

وقد توالت بعد ذلك البعثات الأثرية لعمل أبحاثها ودراساتها فى جنوب الجزيرة العربية ، حيث أضافت الكثير من المعلومات عن الحياة السياسية والإجتماعية والدينية فى جنوب الجزيرة العربية وإلى جانب المجهودات العلمية الخاصة بجنوب الجزيرة العربية فقد كانت هناك مجهودات موازية فى الجزء الشمالى من شبه الجزيرة العربية ، ومنها ما قام به الرحالة " دى فرتيما " الذى وصل إلى مكه قادماً من دمشق 1503 ثم واصل رحلته إلى عدن ، وقد قام برسم خريطة لشبه الجزيرة العربية كما رسمها بطلميوس (1) وفى عام 1812 تمكن الرحالة السويسرى " بوركهارت " من الكشف عن مدينة " البتراء " كما قام بزيارة الحجاز حيث قدم وصفاً دقيقاً لموسم الحج وكتب عن مكه والمدينة كتابة علمية . وفى بداية القرن العشرين قام العالم التشيكى " ألويس موسيل " بزيارة نجد والحجاز وبخاصة المواقع التى كانت تمر بها خطوط القوافل التجارية ، وكتب عدة مؤلفات فى وصف شمال الحجاز وبادية الشام ومنطقة الفرات الأوسط وتدمر ونجد . ومن هؤلاء الرحالة كذلك " هارى فلبى " الذى قام بعدة رحلات فى أرجاء المملكة العربية السعودية ، وكانت آخر هذه الرحلات عام 1951 – 1952 ، وكانت بصحبته العالم البلجيكى " ج . ريكمانز " حيث زار المثلث الواقع بين جده ونجران والرياض . وعاد ومعه 12000 نقشاً منها تسعة آلاف نقش ثمودى والباقى نقوش لحيانية وسبأية . واستمرت عمليات البحث فى منطقة الجزيرة العربية ، وقام بهذه الجهود بعثات كندية وأمريكية وألمانية وإنجليزية ، وأخيراً قامت البعثات الوطنية بدورها فى هذا المجال ، ومنها بعثة قسم التاريخ بجامعة الرياض برئاسة الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصارى فى منطقة الفاو بوادى الدواسر .

وترجع أهمية المصادر الأثرية فى كونها التعبير المادى الملموس الذى خلفه لنا الإنسان فى الجزيرة العربية ، وهو يتصل بكافة مجالات الحياة وميادينها ، وتنقسم المصادر الأثرية إلى أنواع متعددة منها المصادر الأثرية المعمارية وتشمل بقايا المنازل والمقابر والمعابد والحصون والسدود أى جميع البقايا المعمارية سواء كانت دينية أو دنيوية فى كافة مجالاتها ، وهناك كذلك المصادر الأثرية الفنية وتتضمن كل ما خلفه الإنسان فى مجالات النحت والنقش والتصوير . وهناك كذلك الأدوات والأوانى المصنوعة من الأحجار أو الفخار أو الأصداف أو العظام أو المعادن وغيرها . وتشمل المصادر الأثرية كذلك أدوات الحلى والزينة والعملات التى كانت متداولة ، وأخيراً من أهم المصادر الأثرية التى خلفها لنا الإنسان النقوش التى سجلها الإنسان على جدران المعابد أو الألواح التذكارية أو النصب أو على صخور الجبال . والآثار كما نعلم هى التاريخ الحى لأهلها ، وهى الشاهد الصادق على حضارة أصحابها . فهى تكشف عن مدى التقدم أو مدى البداءة فى إنتاجهم ، ومدى الثراء أو مدى الفقر فى إمكاناتهم ، ومدى الأصالة أو مدى التقليد فى صناعاتهم ، ومدى التأثر أو مدى التأثير بين حضاراتهم وبين حضارات جيرانهم ، ثم هى تعبير عن هيئاتهم وأزيائهم وطبيعة أذواقهم (2) .

وسنقوم فيما يلى باعطاء دراسة تفصيلية لبعض أنواع هذه المصادر ، ونبدأ بـ

المصادر الأثرية المعمارية :

تعتبر المصادر الأثرية المعمارية من المصادر الهامه التى يستطيع المؤرخ بواسطتها تكوين فكرة عن الأحوال الإجتماعية والسياسية للمجتمع الذى يقوم بدراستة ، فيستدل من طبيعة المواد المستخدمة فى البناء وحجم المبانى على المستوى الإقتصادى أو الطبقى لهذا المجتمع . وتوضح المبانى الدينية طبيعة المعبودات السائدة ومدى الشعور الدينى .

---

(1) جاكلين بيرين : إكتشاف جزيرة العرب ، خمسة قرون من المغامرة والعلم مترجم بيروت 1963 صـ 37 - 44

(2) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، القاهرة 1992 صـ 8

ومن ناحية أخرى فإن مواقع الحصون والأسوار تشير إلى المناطق لاالتى كانت معرضة للهجوم ، ويستدل من ذلك على أحد أمرين : إما أن هذه المنطقة كانت تجاور مجتمعاً أخر وجدت لديه الرغبة فى بسط النفوذ ، أو مدها على هذه المنطقة ، أو لأهمية هذه المنطقة الإقتصادية أو الإستراتيجية كأن تقع مثلاً على طريق القوافل التجارية أو قد تكون معبراً لدولة أخرى . ومن نماذج المبانى المعمارية التى كشف عنها فى جنوب بلاد العرب معبد الأله إلمقه الذى يقع جنوب شرق مأرب والذى يطلق عليه اسم " حرم بلقيس " ويبلغ طوله حوالى 86 م وعرضه 76 م . وفيما يختص بعمارة الأسوار التى تحيط بالمدن ، فلقد كشف عن بعضها ومنها السور القديم الذى توجد بقاياه عند مدينة تاج الحالية فى المنطقة الشرقية لشبه الجزيرة على مقربة من شاطئ الخليج ، وكذلك السور القديم حول مدينة تيماء فى القسم الشمالى الغربى من شبه الجزيرة العربية ويفسر لنا هذا السور أهمية الموقع الذى كانت تشغله هذه المدينة فى العصور القديمة ، فهى كانت تقع فى الطريق بين وادى الرافدين وسورية . وتجلت عبقرية العرب الجنوبيين فى إقامة السدود التى من أشهرها سد مأرب فى اليمن الذى شيد بحيث يحجز مياه الأمطار وراءه حيث يتم التحكم فيها بواسطة عيون تفتح وتغلق حسب الحاجة . ومن هذه السدود كذلك سد السملقى الموجود بأعلى وادى ليه فى ضواحى مدينة الطائف جنوب المدينة المنورة بحوالى 35 كم (1) وهناك نوع أخر من الأبنية ظهر بوجه خاص فى القسم الشمالى الغربى من شبه الجزيرة العربية ، وهى المنطقة التى تكثر فيها التكوينات الصخرية ، وكان يتم تشييد المساكن فى هذه المناطق بواسطة النحت فى هذه التكوينات الصخرية ، بحيث تشكل فيها غرف ولجهات وأعمدة وزخارف ومن أمثلتها مانجده فى مدينة البتراء جنوب الأردن وفى واحة البدع (التى تعرف باسم مغاير شعيب) شرق خليج العقبة ، وفى مدائن صالح شمال العلا بحوالى 15 كم . ولم تبذل مثل هذه العناية فى تشييد المقابر ، إذ كان يدفن الموتى فى تابوت حجرى قائم الزوايا ، وكان يوضع عليه غطاء حجرى ، وفى أغلب الأحوال كانت تتجمع بعض المقابر فى مكان واحد يحيط بها سور . وأحياناً كان يدفن الموتى فى غرف منحوته فى الصخر أو فى مدافن مستقلة بحيث يتكون كل مدفن من حجرتين ، وكان يقام نصب على القبر ، والنصب عبارة عن أعمدة ملساء رباعية الأركان ، وفى الجهه الأمامية يوجد فى أعلى النصب اسم المتوفى ، ويوجد أسفل اسم المتوفى مربع صغير رسم فيه ، وأحياناً كان يرسم الرأس فى الجزء العلوى من النصب وتحت الرسم يذكر اسم المتوفى ، وهناك نوع أخر من النصب يشتمل على الكتابة وتحتها عينان فقط . ومن المصادر الأثرية المنحوتات (2) : سواء كانت تماثيل أو نقوش بارزة أو غائرة ، وتوضح نماذج التماثيل التى عثر عليها فى شبه جزيرة العرب وجود صلات بين المناطق التى كشف فيها عن هذه التماثيل وبين حضارات الشرق الأدنى القديم فى مصر والعراق كما يوجد فى بعضها تأثيرات يونانية فى صناعة بعضها ، ومن هذه التماثيل تمثال صغير عثر عليه فى مدينة العلا شمال شبه الجزيرة العربية يبدو من هيئته أن الفنان الذى قام بنحته كان متأثراً بالفن المصرى القديم فى مجال نحت التماثيل . ولقد عثر فى جزيرة " تاروت " المجاورة لشاطئ الخليج العربى عند القطيف على تمثال يشبه من حيث نحته التماثيل السومرية التى ظهرت فى جنوب العراق ،وفى جنوب شبه الجزيرة العربية عثر على تمثال لطفل يمتطى أسداً فى مدينة تمنع عاصمة دولة قتبان .

---

(1) لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة الإسكندرية 1990 ، صـ 132 - 134

(2) لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، صـ 138 وما بعدها

ويظهر في هذا التمثال التأثر بأسلوب الفن اليوناني ويتضح ذلك في تمثيل الطفل عاريا ، حيث كان العرى ظاهرة شائعة في التماثيل اليونانية . ويبدو أن ذلك كان تأثيرا يونانيا جاء نتيجة الإحتكاك بين اليونان وجنوبي شبه الجزيرة ، فقد أخذ اليونان يزاولون الملاحة في البحر الأحمر منذ القرون الثلاث الأولى ق . م . بتشجيع من البطالمة في مصر ، واستمر ذلك إبان الإمبراطورية الرومانية حيث عمل أباطرة الرومان على فرض نفوذهم على مدخل البحر الأحمر عند مضيق باب المندب ، الأمر الذي له أكبر الأثر في التأثر والتأثير بين اليونان والرومان وبين جنوب شبه الجزيرة العربية في العديد من المجالات الفنية ومن المصادر الأثرية التي يعتمد عليها المؤرخ في دراسته لتاريخ شبه الجزيرة العربية :

المخربشات والنقوش :

وهي عبارة عن نصوص وكتابات عربية كتبت بلهجات مختلفة ، منها ماعثر عليه في بلاد العرب الجنوبية وتتضمن كتابات المعينيين والسبأيين ، ومنها ما عثر عليه في أماكن أخرى من شبه الجزيرة العربية مثل أعالي الحجاز وبلاد الشام ووسط الجزيرة وشرقها . وقد أمدتنا هذه النقوش بأسماء عدد من الملوك وبعض الحروب التي دارت بين الممالك وكذلك أيضا أمدتنا باشارات عن وجود نوع من العلاقات السلمية كالتبادل التجاري أو زيارات الوفود وغيرها . كما تقدم بعض النقوش معلومات تساعدنا على معرفة مدى الإرتباط أو الإتصال بين لغة وأخرى . ومن أمثلة هذه النقوش النقش الذي عثر عليه "هاليفي" بمنطقة نجران عام 1772 م والذي اتضح للباحثين بعد دراسته أن لغة العرب الجنوبيين في شبه الجزيرة العربية كانت قريبة في بعض مناحيها من اللغة الأكدية واللغة الحبشية ، وذلك فيما يتصل بتكوين الأسماء وتصريف الأفعال وبعض المفردات والضمائر . وكان هذا النقش من النقوش التي ساعدت الباحثين في ترسم العلاقة بين الخط العربي الجنوبي وبين الخط الذي كتب به العرب النقوش التي عثر عليها في سيناء ويستفاد من النقوش في معرفة بعض المعلومات عن الأحوال والنظم والقوانين والعادات التي كانت سائدة في منطقة أو أخرى من شبه الجزيرة العربية ، وفي هذا المجال فقد كشف عن آلاف النقوش التي تتصل بعبادة بعض الألهه مثل إلمقه وعشتار وشمس وتعتبر البقايا الفخارية من المصادر الهامه التي يعتمد عليها المؤرخ في دراسة التاريخ العربي القديم ، إذ تشير البقايا الفخارية إلى الأحوال الإجتماعية ، فقد كان الفخار هو السلعة الأكثر استخداما في الحياة اليومية ، وتشير كميات الفخار التي عثر عليها على مدى وجود حياة مستقرة ، ويستدل كذلك من طراز صناعة الأواني الفخارية وزخارفها على مدى التطور الحضاري ، كما أنها تستخدم كوسيلة من وسائل التقويم الزمني للموقع الذي توجد فيه ، وذلك عن طريق دراسة المادة المستخدمة في صناعتها وتقنيتها ونقوشها وزخارفها ومقارنتها بالبقايا الفخارية المشابهه في المواقع الأخرى ومن المصادر الأثرية كذلك العملة : وهي تساعد المؤرخ في تحديد التواريخ والتعرف على أسماء الملوك الذين أصدروها ، وتفيد كذلك في معرفة الأحوال الإقتصادية من حيث المعدن الذي صنعت منه ، وفي أحيان أخرى يستدل من وجود عملات أجنبية على معرفة العلاقات التجارية الخارجية . (1)

---

(1) لطفي عبد الوهاب يحيى : المرجع السابق ، صـ 140 - 147

ثانياً كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان :

تتضمن كتابات المؤرخين والرحالة اليونان والرومان على معلومات تاريخية وجغرافية عن بلاد العرب قبل الإسلام (1) ويبدو أن مصدر هؤلاء الكتاب هم الجنود اليونان والرومان الذين اشتركوا في الحملات التي وجهتها بلادهم إلى بلاد العرب ، والتجار والبحارة الذين كانوا يتوغلون في تلك البلاد ، ومن السياح الذين اختلطوا بقبائل عربية وأقاموا بين ظهرانيها ، وبخاصة في بلاد الأنباط . وتعد الإسكندرية من أهم المراكز التي تعنى عناية خاصة بجمع المعلومات عن بلاد العرب وعن عادات سكانها ، وما ينتج فيها لتقديمها إلى من يرغب فيها من تجار البحر المتوسط ، وقد استقى كثير من كتاب الأغريق والرومان معارفهم عن بلاد العرب من هذه المصادر التجارية العالمية .

ولعل أقدم من تحدث عن العرب من اليونان هو " إسكليوس " ثم جاء من بعده المؤرخ اليوناني المشهور " هيرودوت " الذي دعاه " شيشرون " بأبي التاريخ (في أواسط القرن الخامس قبل الميلاد) وقد تعرض هيرودوت لذكر العرب عند الحديث عن الحروب التي قامت بين فارس ومصر على أيام الملك الفارسي " قمبيز " (530 – 522 ق . م .) وهناك " ثيوفراست " وقد تطرق في كتاباته عن النباتات إلى ذكر بلاد العرب ، وبخاصة الجنوبية منها ، والتي كانت تصدر التمر واللبان والبخور . " وديودور الصقلي " (من القرن الأول الميلادي) وقد كتب مؤلفه في التاريخ العام في أربعين جزءاً ، لم يبق منها سوى خمسة عشر جزءاً ، تعرض فيها لتاريخ الفترة ما بين عامي 480 – 323 ق . م . " واسترابون " (في أواخر القرن الأول ق . م .) الذي عاش في الإسكندرية لبضع سنوات ، وقد صحب صديقه الوالي الروماني " جالليوس " في حملته على بلاد العرب عام 24 ق . م . وقد خصص الكتاب السادس عشر من مؤلفه " Geographica " عن بلاد العرب ، وقد وصف فيه مدائن العرب وقبائلهم على أيامه ، كما قدم لنا وصفاً شيقاً عن الأحوال الإجتماعية والتجارية وأخيراً هناك " بطلميوس " الذي أخرج كتابه في الجغرافيه حوالي عام 150 م والمعروف باسم "جغرافية بطلميوس " وقد جمع فيه معلومات كثيرة عن بلاد العرب ، فقسم الأقاليم حسب درجات الطول والعرض ، كما زينه بخرائط . وهناك كذلك " بليني " (في أوائل القرن الأول الميلادي) الذي ألف موسوعة " Historia Naturalis" وهي تجميع ضخم لقدامى المؤلفين ، وقد نالت بلاد العرب والشرق نصيباً من اهتمامه ، وهناك مؤرخ يوناني مجهول ، وضع كتاباً سماه "الطواف حول البحر الأريتري " وصف فيه رحلته في البحر الأحمر وسواحل بلاد العرب الجنوبية (2) ومن كتابات هؤلاء الرحالة والمؤرخين اليونان والرومان ماهو واقعي صحيح مفيد ، ومنها ما يسوده الوهم والخيال وتحريف الأسماء نظراً لقصر زياراتهم لها ولاختلاف لغاتهم عن اللغة العربية وشقيقاتها الساميات (3) .

---

(1) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ 1 بيروت 1968 ، صـ 56

(2) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم ، الإسكندرية 1998 ، صـ 32 – 36

(3) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 11

ثالثاً : الكتابات اليهودية :

1 – التوراة :

التوراة أو " التورة " كلمة عبرية تعنى الهداية والإرشاد ، ويقصد بها الأسفار الخمسة الأولى (التكوين ، والخروج ، واللاويين ، والعدد ، والتثنية) ، والتى تنسب إلى موسى – عليه السلام - وهى جزء من العهد القديم ، والذى يطلق عليها تجاوزاً إسم التوراة أو العهد القديم ، تمييزاً لها عن العهد الجديد كتاب المسيحيين المقدس – هو كتاب اليهود الذى يضم إلى جانب تاريخهم ، وعقائدهم وشرائعهم ، ويقسمه أحبار اليهود إلى ثلاثة : الناموس والأنبياء والكتابات هذا وقد تحدثت التوراة فى كثير من أسفارها عن العرب وعلاقاتهم بالإسرائيليين ، كما جاء فى أسفار التكوين والخروج والعدد ويشوع والقضاة وصموئيل الأول والثانى والملوك وأخبار الأيام الأول والثانى والمزامير وحزقيال ودانيال والمكابيين الأول والثانى . غير أن التوراة عندما تتحدث عن العرب فإنما تهتم بالقبائل والأماكن العربية ذات العلاقة الإقتصادية باليهود وذات العلاقة السياسية فى أحوال أخر (1)

2- التلمود :

هناك نوعان من التلمود ، التلمود الفلسطينى أو التلمود الأورشليمى كما يسميه العبرانيون إختصاراً ، والتلمود البابلى نسبة إلى بابل بالعراق ويعرف عندهم باسم بابل إختصاراً . ولكل تلمود من التلمودين طابع خاص به ، هو طابع البلد الذى وضع فيه ، ولذلك يغلب على التلمود الفلسطينى طابع التمسك بالرواية والحديث ، أما التلمود البابلى ، فيظهر عليه الطابع العراقى الحر وفيه عمق فى التفكير وتوسع فى الأحكام والمحاكمات وغنى فى المادة . وقد بدئ فى وضع التلمود منذ القرن الثالث الميلادى وهو يكمل أحكام التوراة .
ولقد تحدث التلمود عن عدد من جوانب الحياة عند العرب (2) .

3 – كتابات المؤرخ اليهودي يوسف بن متى :

ولد يوسف بن متى فى أورشليم عام 37 م ، وتوفى فى روما عام 98 م أو 100 م ، وكان قد أرسل إلى روما فى عام 64 م من قبل المحكمة العليا عند اليهود للدفاع عن الأحبار الذين سجنوا بأمر المفوض الرومانى ، ونجح فى مهمته ثم عاد إلى القدس ، واشترك فى ثورة ضد الرومان انتهت بأسره ، إلا أن القائد الرومانى " فباسيان " أنقذه ، وسرعان ما نال تقديره ، ثم صحب ابنه " تيتوس " إلى القدس عام 70 م ، ثم عاد معه إلى روما حيث حمل اسم "فيلافيوس " باعتباره عبداً حرره سيده " فباسيان " ، ثم منح حقوق المواطن الرومانى . وهناك فى روما كتب يوسف اليهودى كتبه المعروفة ، التى من أهمها " آثار اليهود " والحروب اليهودية فى سبعة أجزاء بالأرامية ، والذى ترجم إلى اليونانية ، ثم كتب " تاريخ اليهود القديم " فى عشرين جزءاً منذ بدء الخليقة وحتى عام 66 م . وعلى الرغم من تحيزه إلى قومه اليهود إلا أن لمؤلفاته قيمة تاريخية وبخاصة عن الفترة التى عاصرها والحروب التى شارك فيها ، كما أن فيها معلومات ثمينة عن العرب والأنباط لا نجدها فى كتب أخرى قديمة ، وكان الأنباط على أيامه يقطنون فى منطقة واسعة تمتد من نهر الفرات وتتاخم بلاد الشام ، ثم تنزل حتى البحر الأحمر ، وقد عاصرهم يوسف هذا ، فضلاً عن أن بلاد العرب عنده لا تعنى سوى مملكة الأنباط (1)

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 29 – 30 ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق : صـ 10
(2) أحمد أمين سليم : جوانب من تاريخ وحضارة العرب فى العصور القديمة ، الإسكندرية 1996 ، صـ 54 – 55

رابعاً : الكتابات المسيحية :

ترجع أهمية هذه الكتابات إلى أنها تؤرخ لانتشار المسيحية فى بلاد العرب ، وللقبائل العربية نفسها ، فضلاً عن علاقة العرب بالفرس واليونان ، كما أنها تربط الأحداث بالمجامع الكنسية وبتاريخ القديسيين ، على أن هذه الكتابات دينية أكثر منها تاريخية ، ولعل من أشهر هذه الكتابات مؤلفات " يوسيبوس " (264 – 394 م) ، والذى كان واحداً من أباء الكنسية البارزين فى عصره ، وأول مؤرخ كنسى يعتد به ، حتى لقب " بأبى التاريخ الكنسى " وبـ "هيرودوت النصارى " وهناك " بروكبيوس " المتوفى عام 563 م ، والذى يعد المؤرخ الكنسى لعصر " جستيان " الملئ بالأحداث ، وقد تحدث فى كتابه " تاريخ الحروب " عن المعارك التى دارت بين " الغساسنة " و " اللخميين " ، فضلاً عن غزو الأحباش لليمن فى الجاهلية . هذا بالإضافة إلى ماجاء بشأن العرب فى المخطوطات السريانية المحفوظة فى المتحف البريطانى ، فضلاً عن كتابات المؤرخين النصارى من روم وسريان والذين عاشوا فى أيام الأمويين والعباسيين وقد كتبوا عن العرب فى الجاهلية والإسلام فقد أمدونا بمعلومات عن إنتشار المسيحية فى بلاد العرب ، وعن علاقة الروم بالعرب والفرس (2)

خامساً : المصادر العربية :

1- القرآن الكريم :

القرآن الكريم كتاب الله ، الذى " لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد " (3) نزل على مولانا وسيدنا رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – منجماً فى ثلاث وعشرين عاماً ، حسب الحوادث ، ومقتضى الحال ، وكانت الأيات والسور تدون ساعة نزولها ، وليس من شك فى أن القرآن الكريم ، كمصدر تاريخى ، أصدق المصادر وأصحها على الإطلاق ، فهو موثوق السند ، ثم هو قبل كل ذلك وبعده كتاب الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن ثم لاسبيل إلى الشك فى صحة نصه بحال من الأحوال . ويقدم لنا القرآن الكريم معلومات هامه عن عصورما قبل الإسلام ، وأخبار دولها ، أيدتها الكشوف الحديثة كل التأييد ، كما أننا نجد فى كتاب الله سور كاملة تحمل اسم مملكة فى جنوب شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وهى سورة سبأ ، هذا إلى جانب ذكر القرآن الكريم أقوام عربية بادت كقوم عاد وثمود فضلا عن قصة أصحاب الكهف وسيل العرم وقصة أصحاب الفيل وهجرة الخليل وولده اسماعيل ، عليهما السلام ، إلى الأرض الطاهرة فى الحجاز ، ثم إقامة اسماعيل هناك (4) .

2 – الحديث الشريف :

الحديث هو ما ورد عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – من قول أوفعل أو إقرار ، وللحديث مكانة كبرى فى الدين تلى مرتبة القرآن الكريم مباشرة ، وصدق رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حيث يقول " تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما بعدى أبداً ، كتاب الله وسنتى " . والحديث الشريف مفسر للقرآن الكريم ، وليس من شك فى أن كتب الحديث وشروحها – رغم أنها مصدر فقهى أكثر منه تاريخى – مورد غنى من الموارد الأساسية لتدوين أخبار الجاهلية فيما قبيل الإسلام ولقد تعرضت أحاديث نبوية شريفة لبعض أوضاع الحياة الإجتماعية والسياسية والإقتصادية فى عهود الجاهلية القريبة من بداية العصور الإسلامية(5) .

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 55 ، محمد بيومى مهران المرجع السابق ، صـ 31 – 32
فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، بيروت 1958 ، صـ 352 – 353
(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 36 – 37 ،
جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 صـ 64 – 65
(3) سورة فصلت : أيه 42
(4) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 11 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 37 – 41
أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 57 – 59
(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 41 - 42،أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 59 – 60
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 12 .

3- التفسير :

نزل القرآن الكريم بلغة العرب ، وعلى أساليب العرب وكلامهم ، يقول تعالى : " إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون " . (1) وهذا أمر طبيعي لأنه أتى يدعو العرب – بادئ ذي بدئ – ثم الناس كافة ، إلى الإسلام ، ومن ثم فلابد أن يكون بلغة يفهمونها ، تصديقاً لقوله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " . (2) لقد نشأ علم التفسير لفهم القرآن وتدبره ، لتبيان ما أوجز فيه ، أو ما أشير إليه إشارات غامضة ، أو لشرح أحكامه ، وقد نشأ علم التفسير هذا في عصر الرسول – صلى الله عليه وسلم – فكان النبي أول المفسرين له ، ثم تابعه أصحابه من بعده ، على أساس أنهم الواقفون على أسراره ، ولعل أشهر المفسرين من الصحابة الإمام علي - كرم الله وجهه – وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود والذي لا شك فيه أن كتب التفسير تحتوي على ثروة تاريخية قيمة ، تفيد المؤرخ في تدوين التاريخ العربي القديم ، وتشرح ماجاء مجملاً في القرآن العظيم ، وتبسط ماكان عالقاً في أذهان الناس عن الأيام التي سبقت عصر الإسلام ، وتحكي ماسمعوه عن القبائل العربية البائدة التي ذكرت على وجه الإجمال في القرآن الكريم وما ورد عنهم من أحكام وأراء ومعتقدات .

4- كتب السير والمغازي :

وتعتبر هذه الكتب من المصادر المساعدة في التاريخ العربي القديم ، ذلك لأن كتاب السير والمغازي إنما كانوا يعرضون لذكر العرب الجاهلين والأنبياء السابقين وفي أخبار مكه وقريش ، ومن يتصل بهما من أفراد وقبائل ، كما كانت هذه الكتب تشتمل على الكثير من الشعر الجاهلي الذي كان يستخدمه كتاب السير والمغازي في الإستشهاد على ما يكتبون أو يتحدثون عنه ولعل أشهر كتب سيرة مولانا رسول الله - صلى الله عليه وسلم – هو كتاب بن هشام ، وهو أول كتاب عربي وصل إلينا يؤرخ لسيرة نبي الإسلام الأعظم وكذلك لتاريخ العرب قبل الإسلام ، وكتاب ابن اسحاق الذي كان أول من ألف في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم – بناءاً على طلب الخليفة العباسي المنصور . وهناك من سبقه في التأليف في المغازي ، من أمثال عروة بن الزبير وابان بن عثمان بن عفان وابن شهاب الزهري وشرحبيل بن سعد ، والواقدي ومحمد بن سعد صاحب الطبقات الكبرى والذي أخذ كثيراً من الواقدي حتى كان يسمى أحياناً بكاتب الواقدي (3)

5 - الأدب الجاهلي :

ليس من شك في أن أيام العرب في الجاهلية تعتبر مصدراً خصباً من مصادر التاريخ ، وينبوعاً من ينابيع الأدب ، ونوعاً طريفاً من أنواع القصص بما إشتملت عليه من الوقائع والأحداث ، وما روى في أثنائها من شعر ونثر فهي توضح شيئاً من الصلات التي كانت قائمة بين العرب وغيرهم من الأمم كالفرس والروم .

---

(1) سورة يوسف : أيه 2 ، الزمر : أيه 28 ، الزخرف : أيه 3 ، النحل أيه 102 – 103 ، فصلت أيه 1- 3 44 ، الشورى : أيه 7 ، الأحقاف : أيه 12

(2) سورة إبراهيم : أيه 4

(3) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 45 – 46

سعد زغلول عبد الحميد : في تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت 1975 ، صـ 28 – 29

وترى كذلك مما كان يقع بين العرب أنفسهم من خلاف كما أنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب بين القبائل ، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر ثم هى فى أسلوبها القصصى وبيانها الغنى مرآة صادقة لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب حياتهم وشأنهم فى الحرب والسلم والإجتماع والفرقة والفداء والأسر وهى أيضاً مرآة صافية تظهر فيها فضائلهم وشيمهم كالدفاع عن الحريم والوفاء بالعهد وحماية الجار والصبر فى القتال والصدق عند اللقاء . ولو نظرت إلى الشعر الجاهلى فإنك تجده قد ارتبط بالأيام ترى ذلك فى شعر الأعشى وعنترة وابن حلزة وقيس بن الأسلت وصخر ومعاوية وحسان بن ثابت وغيرهم ممن ظهر أثر الأيام فى شعرهم . والشعر الجاهلى دون شك مصدر من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام وقديماً قالوا " إن الشعر ديوان العرب " يعنون بذلك أنه سجل فيه أخلاقهم وعاداتهم ودياناتهم كما نستطيع أن نستدل به على شبه جزيرة العرب ، وما فيها من جبال وبلاد ووديان وسهول ونبات وحيوان وعقيدة القوم وقد أصبحت كتب الأدب من المصادر الهامه فى التاريخ العربى القديم ففيها ثروة أدبية قيمة ، قد لا نجدها فى كتب التاريخ ، وإن ما جاء بها عن ملوك الحيرة والغساسنة وكنده ، أكثر مما جاء فى كتب التاريخ (1) .

6 - كتب اللغة :

تعتبر كتب اللغة من مصادر الحياة فى الجاهلية فالقاموس العربى ليس للمفردات اللغوية فحسب ، بل هو فى الحقيقة يجمع المفردات اللغوية والمعارف الجغرافية والتاريخية والعلمية والفنية ، ومن ثم فقد كانت كتب اللغة ومعاجمها بصفة خاصة مصادر مهمه للحياة فى الجاهلية . وبالنسبة لقواميس العرب فلعل أهمها القاموس المحيط للفيروز أبادى ولسان العرب لابن منظور وتاج العروس للمرتضى الزبيدى والصحاح للجوهرى (2) .

7 – كتب التاريخ والجغرافية :

اتجه المؤرخون المسلمون فى كتاباتهم عن العصر الإسلامى إلى كتابة مقدمات لكتبهم عن العصر الجاهلى ، ودونوا فى هذه المقدمات أنساب القبائل وصلتها بعدنان وقحطان أو اسماعيل أو أبناء نوح وتقسيم العرب إلى طبقات ، واتجه بعضهم فى كتاباته إلى ذكر أخبار العرب فى التاريخ القديم ، وهى لا تعدو أن تكون مجموعة من القصص الشعبى والأساطير المتأثرة بالتوراة ، بينما إقتصر البعض الأخر فى كتاباته على ذكر أخبار الجاهلية القريبة من الإسلام كأيام العرب . إلا أنه يوخذ على هذا المصدر عدة مآخذ منها :أولاً : أنه لايمكن الإطمئنان إلى الكتابات التى تذكر أخباراً أبعد من القرن السادس للميلاد وذلك نظراً لعدم معاصرة هذه الكتابات لما كانوا يكتبون عنه ، ويمتد ذلك عبر سبعة عشر قرناً، إذا لم يبدأ أول تدوين لأخبار العرب السابقين للإسلام إلا فى عهد معاوية بن أبى سفيان فى أواسط القرن الأول للهجرة أى فى أواخر القرن السابع الميلادى . ومثل هذه المسافة الزمنية الطويلة بين وقوع الأحداث وتدوينها أثر يضعف بالضرورة من قيمة هذه الكتابات لانه لم يرد بها سند مدون ، ولم تؤخذ من نصوص مكتوبة ، وإنما كان الإعتماد فى روايتها على تواتر الروايات وهو أمر لايمكن الإطمئنان إليه .

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق، صـ 46 – 48 ، أحمد أمين سليم:المرجع السابق، صـ 61 – 64
جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 67 – 68 ، 73
(2) عبد الستار الحولجى : مدخل لدراسة المراجع ، القاهرة ، 1974 ، صـ 35 – 41 ،
محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 52 – 53

ثانياً : أن كثير من الكتابات المتصلة بالمنافسات بين القبائل ومأثرها توجد فيه الكثير من المبالغات والإفتعال والتعصب . ثالثاً : ان معظم هذه الكتابات قد كتبت باسلوب القصص الشعبي ، وهو اسلوب يصل الي نغمة الحديث الاسطوري كلما اوغل هؤلاء الكتاب في الحديث عن الماضي حتي وصلوا الي ادم عليه السلام ومع هذا المأخذ، فأننا نعتمد علي هذا المصدر فما يتصل بالفترة القريبة من ظهور الاسلام من النوحي السياسية والاقتصادية والفكرية، ومن الكتابات العربيه التي ارخت للعرب قبل الاسلام نشر الي كل من : عبيد بن شريه الجرهمي اليمني في القرن الاول الهجري ، ونسب اليه كتاب الملوك وأخبار الماضين . وهب بن منبه : نسب إليه كتاب الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم ، وكتاب المبتدأ . هشام بن محمد بن سايب الكلبى ، ومن مؤلفاته الكثيرة " جمهرة النسب " أو " الجمهرة فى الأنساب " وكتاب " الصنام " ونسب إليه كتاب " الحيرة " و " تسمية البيع " و " الديارات " و " نسب العباديين " و كتاب " ملوك كنده " و كتاب " الكلاب الأول " و " الكلاب الثانى " ومحمد بن هشام بن أيوب الحميرى وأخرج كتاب " التيجان وملوك حمير " أبو محمد الد... الهمدانى ومن مؤلفاته "الأكليل " و " صفة جزيرة العرب " و " ملوك كنده " ونسـ... الأصمعى كتاب " جزيرة العرب " و " مياه العرب " . الطبرى المتوفى عام 10... صاحب أشمل مؤلف تاريخى كتبه مؤرخو العرب حتى القرن الرابع الهجرى وهو باسم " تاريخ الأمم والملوك ".ابن الأثير المتوفى عام 630 هـ وقد لخص بن الأثير فى " الكامل فى التاريخ " كتاب الطبرى فى أخبار الرسول والملوك ، وقد تناول من مو... ...اء الخلق وآدم وبنيه والرسل من نوح إلى إسماعيل وتاريخ الفرس وأخبار ملوك الروم قبل ...سيح وبعده والعرب وعلاقاتهم بهؤلاء الملوك . والمسعودى المتوفى عام 346 هـ ومن أهم مؤلفاته " مروج الذهب " وهو من أهم المصادر بالنسبة لتاريخ العرب قبل الإسلام وبن خلدون المتوفى فى عام 808 هـ ومن أهم مؤلفاته : " فى المقدمة وفى العبر وديوان المبتدأ والخبر "وقد تناول فى هذا الكتاب طبقات العرب على النحو التالى :

الطبقة الأولى : وهم العرب العاربة أو العمالقة من عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وجرهم وحضرموت ثم الخبر عن ابراهيم أبى الانبياء وبنيه .

الطبقة الثانية : وهم العرب المستعربة

الطبقة الثالثة: وهم العرب التابعة للعرب (1)

---

(1) سعد زغلول عبد الحميد : فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت 1975 ، صـ 101 - 106 محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 53 - 59 ، أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 65 - 74 ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 12 - 13

الفصل الثانى

جغرافية شبه الجزيرة العربية

تقع شبه الجزيرة العربية فى القسم الجنوبى من القارة الأسيوية بين خطى عرض12ْ،32ْ شمالا ، 30ْ، 12ْ وتبلغ مساحتها 3,150,000 كيلو متراً مربعاً . (1) وتعتبر شبه الجزيرة العربية من أكبر أشباه الجزر القارية ، وأشدها جفافاً وصحراوية (2) . ويحدد جزيرة العرب فى الشرق الخليج العربى المعروف عند اليونان باسم الخليج الفارسى ، ويحدها من الجنوب المحيط الهندى ، أما حدها الغربى فهو البحر الأحمر المعروف عند اليونان باسم بحر القلزم ، أما حدها الشمالى فهى بادية الشام والتى تمتد من خليج العقبة حتى مصب شط العرب فى الخليج العربى ، ومن ثم فإن المياه تحيط بها من أطرافها الثلاثة فقط (3) ومن ثم فقد أخطأ مؤرخو العرب وجغرافيوهم حين أطلقوا عليها اسم " جزيرة العرب " وربما كان ذلك لأن مياه البحار تحيط بها من ثلاث جهات ، ثم يعقد لها نهر الفرات والعاصى عند اقترابهما فى أعالى الشام حداً من الماء (4) على أن شبه جزيرة العرب ليست وحدها هى مسكن العرب ، فقد كانت لهم مساكن فيما حولها ، إلا أنها مساكن أكثرهم ، وأهم مساكنهم ، ومن ثم فقد أضيفت إليهم ، وذلك لأن العرب قد سكنوا فى العراق من ضفة الفرات الغربية ، حتى بلغوا أطراف الشام ، كما سكنوا فى فلسطين وسيناء إلى ضفاف النيل الشرقية حتى أعالى الصعيد ، وهى أرضون يرى الكتاب القدامى ، من يونانيين ولاتنيين وعبريين وسريانيين – أنها من مساكن العرب ، ومن ثم فقد دعوها " بالعربية " و " بلاد العرب " لأن أغلب سكانها إنما كانوا عرباً . وأما بلاد العرب فى التوراة فهى موطن الإسماعيليين والقطوريين ، وهى بوادى تقع فى شمال بلاد العرب وفى الأقسام الشمالية منها (5) هذا ويقسم المؤرخون والرحالة اليونان والرومان شبه الجزيرة العربية إلى ثلاثة أقسام :

1- العربية الصحراوية Arabia Deserta

2 – العربية الصخرية Arabia Petreae

3 – العربية السعيدة Arabia Felix

1 – العربية الصحراوية : Arabia Deserta

ويعنون بها بادية الشام فى أغلب الأمر ، وبادية السماوة فى بعض الأحايين ، بل إن "ديودور الصقلى "أنما يذهب إلى أنها المناطق الصحراوية التى تسكنها القبائل المتبدية ، وأن سكانها من الأرلميين والنبط ، وأنها تقع بين سورية ومصر ، كما أنها مقسمة بين شعوب ذات مزايا وصفات متباينة ، وإن كان يبدو أن الرجل لم يكن لديه خط واضح يفصل بين العربية الصحراوية والصخرية .

---

(1) جوده حسنين جوده شبه الجزيرة العربية ، دراسة فى الجغرافية الأقليمية ، الإسكندرية ، 1984 ، صـ 5

(2) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، القاهرة 1990 ، صـ 14

(3) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 75

(4) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 94 ، عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، بيروت 1964 صـ 26

(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 94 – 95

ونقرأ في النصوص الاشورية من عهد الملك " شلمناصر الثالث " (859 – 824 ق . م .) أن من بين أعدائه في موقعه " قرقر " عام 853 ق . م . مجموعة عربية على رأسها " جندب " وجدت هناك منذ الالف الثانية قبل الميلاد ، وكانت مصدر قلق للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب ،و أنها كانت تتنقل في هذه البادية بحرية ، لا تعترف بحدود أو فواصل، وإنما كانت تقيم حيث الماء والكلأ والمكان الذى يتلائم وطباعها (1)

2- العربية الصخرية : Arabia Petreae

تشمل الأراضي التى كانت يسكن فيها الأنباط ، ويطلق ذلك الأسم ، أى العربية الحجرية على شبه جزيرة سيناء وبلاد الأنباط وعاصمتها البتراء ، وقد سميت كذلك إما نسبة إلى عاصمتها ، أو إلى طبيعة المنطقة الصخرية ، وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبسبب مقدرة العرب ، ويظهر من وصف ديودور الصقلي لهذه المنطقة أنها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت وجنوبه الغربي في شمال العربية السعيدة وغربها . وأن الأنباط كانوا يقيمون في المنطقة الجبلية منها ، وفي المرتفعات المتصلة بها في شرق البحر الميت ووادى عربه ، وفي جنوب اليهودية ، وحتى خليج العقبة . أما الأقسام الباقية فكانت تسكنها قبائل عربية قيل أنها سبأية ، وهى تسمية كانت تطلق عند الكتبة اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة أسماؤها والتى تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ويعنون بذلك قبائل جنوبية فى الغالب (2)

3- العربية السعيدة : Arabia Felix

وهى أكثر الأقسام الثلاثة إتساعاً ، وتشتمل كل من المناطق التى دعاها الكتاب العرب من مؤرخين وجغرافيين " بلاد العرب " كما أن حدودها الشمالية لم تكن ثابتة ، وإنما كانت تتغير طبقاً للظروف السياسية ، فضلاً عن قوة أو ضعف تلك الكيانات السياسية التى تقع إلى الشمال منها . إن الجزء الذى يطلق عليه بلاد العرب السعيدة فهو الجزء الجنوبى الغربى ، حيث تقع بلاد اليمن (3) لغنى محاصيلها وتنوعها ولاعتدال مناخها ، على النقيض من المناطق المستعرة الحر وراءها ، وقد أدت هذه الظروف منذ الألف الأول قبل الميلاد ، إلى قيام مجتمعات سياسية مستقرة ، إمتد أثرها إلى الساحل الأثيوبى المقابل فى صورة تجارة واسعة ، وموجات من المهاجرين المستوطنين (4) أما الكتاب العرب فقد قسموا شبه الجزيرة العربية إلى خمسة أقسام هى : اليمن وتهامه والحجاز ونجد واليمامة (وتسمى أيضاً العروض) وكان أساس تقسيم جبل السراة – أعظم جبال بلاد العرب – وهو سلسلة جبال تبدأ من اليمن وتمتد شمالاً حتى أطراف بادية الشام ، على مدى 1100 ميل تقريباً ، ويطلق عليها عدة أسماء ، فهى جبال السراة (السراة هى الأرض المرتفعة) ، وهى جبال السروات (جمع سراة) وهى جبال الحجاز ، كما كانت تسمى باسم الأقليم الذى هى فيه ، فيقال جبال الحجاز فى الحجاز ، وجبال عسير فى إقليم عسير (5)

---

(1) سامى الأحمد : " نظرة فى جغرافية شبه الجزيرة العربية " مجلة العرب العدد السابع 1969 ، صـ 599
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 95 – 96

(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 96 ، أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 17 ،
Smith , w . , A Dictionary of the Bible , I , p – 91 . Diodorus , Siculus , II 48

(3) محمد مبروك نافع : تاريخ العرب – عصر ماقبل الإسلام ، القاهرة 1952 ، صـ 56

(4) سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، معرب بالقاهرة 1968 ، صـ 35 ،
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 97 ، Diodorus , Siculus , II 48

(5) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، جـ 1 ، القاهرة 1956 ، صـ 34 – 36 ،
أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 18 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 98 ،
محمد مبروك نافع : المرجع السابق ، صـ 18.

وقد أضاف بعض الكتاب قسماً سادساً هو البحرين – والذى يسمى كذلك " هجر " وهو فى نظر البعض جزء من اليمامة ، وفى نظر آخرين جزء من العراق ، وأخيراً فهناك من يقسم بلاد العرب إلى قسمين إثنين ، الواحد : اليمن والحجاز ، والأخر : تهامة ونجد واليمامة (1)

1- اليمن :

تقع فى الركن الجنوبى الغربى لشبه جزيرة العرب ، تمتد اليمن على طول المحيط الهندى ، ويحدها البحر الأحمر من الغرب ، والحجاز من الشمال وتخترق السراة اليمن من الشمال إلى الجنوب حتى البحر وتتخللها الأودية التى تنساب فيها مياه الأمطار (2) واليمن فى رأى القلقشندى (3) قطعة من جزيرة العرب ، يحدها من الغرب بحر القلزم ، ومن الجنوب بحر الهند ، ومن الشرق بحر فارس ، ومن الشمال حدود مكه وهكذا كان اليمن لايقتصر على الجنوب الغربى لشبه جزيرة العرب فحسب ولكنه يشمل كل دويلات جنوب شبه الجزيرة العربية ، كسبأ وقتبان وحضرموت وعمان وغيرها (4) وأما سبب تسميتها باليمن ، فذلك أمر مايزال موضع خلاف ، فهناك مني يذهب إلى أن ذلك إنما كان نسبة إلى أول من قطنها من العرب ، الذى قال له والده قحطان أنت أيمن ولدى أو لأنها تقع إلى يمين الكعبة ، بينما يتجه فريق ثالث إلى أن السبب إنما كان فى طبيعة البلاد ونفسها ، فهى بلاد اليمن والخير والبركة ، على أن رأياً رابعاً يذهب إلى أنها سميت بذلك لتيامن العرب إليها ، أو لأن الناس قد كثروا بمكه فلم تحملهم فالتأمت بنو يمن إلى اليمن وهى أيمن الأرض فسميت بذلك وأخيراً فهناك من يرجح أنها سميت اليمن من كلمة " يمنات " الواردة فى نص يرجع إلى أيام الملك " شمريهرعش " (5) وتشتهر اليمن بغنى محاصيلها وتنوعها ، واعتدال مناخها ، حتى لقد سميت – كما يقول الهمدانى – باليمن الخضراء ، لكثرة أشجارها وثمارها وزروعها ، على أن فريقاً من العلماء يرى شيئاً من المبالغة فيما نسب إلى اليمن من خصب وثراء ، ويتجه إلى القول بأن معظم الحاصلات التى كان يظن أن اليمن مصدرها إنما جلبها العرب والمصريون من جزائر الهند وسواحل أفريقية الشرقية ، وأنهم كانوا يخفون هذا عن جيرانهم حتى لايزاحموهم فى الحصول عليها من هذه الأنحاء ، إلا أن هناك حقيقة واضحة هى أنها كانت بسبب الجبال التى تقع فى داخلها عرضة للرياح الموسمية فتسقط الأمطار التى تجعل أرض اليمن تجود بالبن أهم حاصلاتها وبالفاكهة والقمح والتوابل (6)

2- تهامة :

تبدأحدود تهامة فى رأى بعض الجغرافيين من البحر الأحمر ، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لإمتداد البحر الأحمر ، وقد ورد اسم تهامة فى النصوص العربية الجنوبية " تهمت " (تهمتم) وقد حاول بعض الباحثين إيجاد صلة بين هذه اللفظة وكلمة Tiamtu البابلية ومعناها البحر ، وكلمة " تيهوم " Tehom العبرية ، بينما يتجه " جواد على " إلى أن الكلمة إنما ترجع إلى أصل سامى قديم ، له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ، ومن ثم فهى شديدة الرطوبة والحرارة فى الصيف ، ومن هنا سميت " تهامة " من التهم ، وهو شدة الحر وركود الريح .

---

(1) محمد مبروك نافع : المرجع لاسابق ، صـ 18 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 98
(2) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 18
(3) القلقشندى : صبح الأعشى 5 / 6
(4) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه جزيرة العرب ، جـ 3 ، 4 ، القاهرة 1972، صـ 8
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 99
(5) سعد زغلول : فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت 1975 ، صـ 69 – 70 ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 171 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 99 – 100
(6) محمد مبروك نافع : المرجع السابق ، صـ 19 – 20 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق صـ 100
جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 171 ، سعد زغلول : المرجع السابق ، صـ 69 - 70

إلا أن هناك من يرى أن السبب إنما هو تغير هوائها ، كما أن هناك من يرى أن التهمة هى الأرض المتصوبة نحو البحر ، ولعل انخفاض أرض تهامة هو السبب فى أن يسمى" بالغور " و" السافلة " وهى تتألف من تهائم، فهناك تهامة اليمن، وتهامة عسير ، وتهامة الحجاز (1)

3- الحجاز :

تمتد رقعة الحجاز فى رأى أغلب العلماء الجغرافية من تخوم الشام عند العقبة إلى الليث وهو وادى بأسفل السراة يدفع فى البحر فتبدأ عندئذ أرض تهامة . وقد اعتبر بعض العلماء تبوك وفلسطين من أرض الحجاز . والحجاز منطقة جبلية تقع غرب تهامه . أما سبب تسميته حجازاً ، لأنه يحجز بين ساحل البحر الأحمر وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربى أو لأنه احتجز الجبال أو لأنه يحجز بين الغور والشام أو لأنه يحجز بين الشام واليمن والتهائم، أو بين تهامه والعروض وفيما بين اليمن ونجد (2) وتتخلل الحجاز أودية عديدة ، منها وادى أضم الذى ورد ذكره فى أشعار الجاهلية وفى أخبار سرايا الرسول ، ووادى نخال ووادى القرى وهو وادى هام يقع بين العلا والمدينة ، ويمر به طريق القوافل القديم الذى كان شرياناً من شرايين الحركة التجارية فى العالم القديم (3)

4- نجد :

هى فى الكتب العربية اسم للأرض العريقة التى أعلاها تهامه واليمن وأسفلها العراق والشام نجد بصفة عامة هى الهضبة التى تكون قلب شبه الجزيرة العربية ، وهى ليست قاحلة تماماً وإنما توجد فيها بعض أرض صالحة للزراعة ، وهى تتألف من مناطق ثلاثة : منطقة وادى الرمة ، فالمنطقة الوسطى ، ثم المنطقة الجنوبية . أما علماء العرب فقد سموا نجدعالية وسافلة ، أما نجد العالية : فموالى الحجاز وتهامة وأما السافلة فموالى العراق (4)

5 – العروض :

تشمل اليمامة والبحرين وما والاهما ، وسميت عروضاً لأنها تعترض بين اليمن ونجد والعراق (5) أما اليمامة فقد سميت كذلك نسبة إلى اليمامة أشهر بلادها والتى كانت تعرف من قبل " جوو القرية " أغلب الأرض فيه صحارى وسهول ساحلية ترتفع فى الجهات الغربية على ساحل البحر . ومن أقسام العروض شبه جزيرة قطر ، التى تمتد من عمان إلى حدود الإحساء . ويلى شبه جزيرة قطر ، الإحساء والقسم الأكبر منها صحراوى يرتفع فى الجهه الغربية عند ساحل البحر ويتخلله كثير من التلال ، والمنطقة الساحلية تكثر فيها الأبار . وأغنى مناطق الإحساء منطقة الإحساء والقطيف فى الجنوب حيث تكثر المياه من أبار وعيون . وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة " تاروت " وتعد المدينة البحرية الرئيسية فى الإحساء وتكثر بها مياه العيون ، وأما القسم الشمالى من هذه المنطقة فهو الكويت ومعظم أرضه منبسطة وأكثر سواحله رملى ، إلا بعض الهضاب أو التلال البارزة ، وأكثر ما يزرع هناك النخيل ، وليس هناك فى الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد يقال له " المقطع " وأشهر مدنه الكويت وجهرة وهى من أخصب بقاع الكويت حالياً ، كما أنها كانت ماهوله بالسكان منذ عصر ماقبل الإسلام (6)

---

(1) محمد بيومى مهران: المرجع السابق، صـ 100 – 101 أحمد أمين سليم : المرجع السابق صـ 19 – 20 عبد العزيز سالم : تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، الإسكندرية 1967 ، صـ 109

(2) فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض 1968 صـ 17 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 101 – 102 ، أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 20 – 21

(3) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 21 ، فؤاد حمزة : المرجع السابق ، صـ 17

(4) محمود شكرى الألوسى : تاريخ نجد ، صـ 7 وما بعدها ، جواد على : المرجع السابق ، صـ 181 – 185 محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 103 – 104 ، أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 21

(5) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 112

(6) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 112 ، جواد على : المرجع السابق جـ 1 ، صـ 174 – 177 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 104 – 106 ، احمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 21 - 22

الفصل الثالث

ممهدات العصور التاريخية فى شبه الجزيرة العربية

لقد تعاقبت خلال الدهور الحجرية على شبه الجزيرة العربية وغيرها من مناطق العروض الوسطى فى الشرق الأدنى ، عصور مطيرة طويلة وعصور جفاف طويلة أيضا وكان لكل طائفة من هذه العصور نباتها وحيواناتها المناسبة لظروفها ، كما أن تأثيرات العصور المطيرة وعصور الجفاف يمكن ترسمها جزئياً حتى الآن فى تكوينات الأودية الكبيرة التى يجرى بعضها ناحية الخليج العربى ، ويجرى بعضها ناحية البحر الأحمر ، ويضيع معظمها الأخر فى قلب الصحراء ، ومن هذه وتلك وادي الحمض ووادى الرمة ووادى حنيفة ووادى فاطمة ووادى حضرموت وبيحان وحريب وأذنه . وكلها كانت قد شقتها مياه أمطار غزيرة فى فترات قديمة طويلة ويغلب على الظن أن أغلب مدرجاتها لاتزال تحتفظ ببعض أدوات الدهور الحجرية ، وهى أدوات متواضعة صنعها الإنسان البدائى واستخدمها فى الدفاع عن نفسه وفى صيد الحيوان وفى تحصيل قوته . وعثر على نماذج منها فى أنحاء مختلفة من الأحساء والعروض والأطراف الشمالية ، ومناطق متفرقة من دول الخليج واليمن الشمالى والجنوبى . ولكن عدداً من بعثات الآثار الدنماركية والعربية قد أولتها أخيرا عناية خاصة فى حفائرها بشرق الجزيرة ومناطق دول الخليج العربى ومن المحتمل أن تكون شبه الجزيرة العربية قد شاركت قية مناطق الشرق الأدنى منذ العصر الحجرى الحديث فى الألف السادس ق . م أو نحوه فى معرفة حرفة الرعى بعد مرحلتين متتابعتين مهدتا لهما وهما مرحلة أسر بعض الحيوانات البرية الصغيرة من آكلات العشب لتكون إحتياطيا حياً من اللحم فى فترات الجفاف وقلة الحيوانات ، ثم مرحلة استئناسها وحين نتناول ظروف شبه الجزيرة فى تلك الدهور الحجرية البعيدة نشير هنا إلى أن الجماعات كانت تنتشر هنا وهناك وفى كل اتجاه بحثا عن الأراضى النباتية والمعيشة التى يتوافر فيها حيوان الصيد والرعى وموارد الماء . ومن المحتمل أن الموقع المتوسط لشبه الجزيرة العربية قد يسر لبعض سكان أطرافها أن يشاركوا فى نقل المتاجر المناسبة لعهودهم بين أقطار الهلال الخصيب حين بدأت عصورها التاريخية منذ الألف الثالث ق . م . وقد قام بعض هؤلاء السكان بدور الوسيط ، كما عملوا كذلك فى صلب العصور التاريخية عى نقل مايمكن الإتجار به من منتجات بلادهم نفسها لاسيما منتجات البخور واللبان والصموغ والمر من الجنوب العربى .
ويبدوا أن هذا الدور التجارى لم يتم على نطاق واسع إلا بعد استئناس الجمل سفينة الصحراء واستخدامه فى النقل والأسفار ، نظرا لما هو معروف عن قدرته فى تحمل المشقة والعطش والسير المتصل فى رمال الصحراء وليس من المستبعد أن معرفة الإنسان بالإبل كانت قديمة وتقرب من قدم معرفته بغيرها من الحيوانات أكلة العشب المدرة للبن ، ولكن الغريب هو أن مصادر شبه الجزيرة والهلال الخصب ومصر لم تذكر الجمل أو اسمه صراحة إلا فى وقت متأخر يقدره الباحث " ألبرايت " النصف الثانى من الألف الثانى ق.م. (وفى حوالى القرن 12 ق.م .) ويبدو أن العرب كانوا قل ذلك يعتمدون على الحمير . ولهذا ظلت تحركاتهم بطيئة ، فلما استخدموا الإبل زادت إمكاناتهم الإقتصادية وأصبحوا أقدر على مداومة الإتصال بعضهم ببعض ، وعلى تكوين الوحدات السياسية فى بعض المناطق المشجعة على حياة الإستقرار ، واتسعت آفاق اتصالاتهم بجيرانهم فى الهلال الخصيب وانتفعوا ببعض عناصر خصائص حضاراتهم المتقدمة وأخصها فكرة الكتابة ، وهى مجرد مخربشات أولية فى مثل وادى بيحان بالجنوب العربى ، إلى أواخر الألف الثانى ق . م . وقد وجدت حول نبع ماء دائم وعدة برك صغيرة وبفضل العوامل الطبيعية والبشرية والتطورية التى تقدم ذكرها ظهرت دول وإمارات عدة على فترات مختلفة فى مناطق متفرقة من شبه الجزيرة العربية فتميزت فى الجنوبى العربى خمس دول كبيرة . وهى سبأ وقتبان وأوسان ومعين وحضرموت . وقد تعاصر بعضها مع بعض ، وتعاقب بعضها إثر بعض وكانت للدولة الأولى منها وهى سبأعدة
أطوار متعاقبة ، وقد استفادت هذه الدول بما اتصفت به بيئتها من الوفرة النسبية فى الأمطار والأنهار .

ومحاصيل الزراعة ومنتجات البخور والصموغ واللبان والمر والذريرة والمعادن كالذهب كما انتفعت هذه الدول كذلك بإشرافها على مداخل طرق القوافل التجارية الرئيسية التي كانت تربط بين جنوب شبه الجزيرة وبين شمالها ثم تتفرع بعد ذلك إلى مختلف مناطق الهلال الخصيب وعلى مناطق ساحلية أطلت بموانيها على البحر الأحمر وعلى المحيط الهندى فتعاملت منها مع سواحل أفريقيا الشرقية وسواحل الهند الغربية ، وقامت بدور الوسيط التجارى فى تصديرها إلى مناطق الإستهلاك والإستيراد فى العالم الخارجي المتحضر القديم وتوزعت مناطق العمران والإستقرار والحضارة فى المناطق الشمالية والغربية والوسطى والشرقية من شبه الجزيرة العربية والخليج ، فتركزت في الوديان وحول موارد المياه فى مناطق الواحات وحول الطرق التجارية الداخلية ، والطرق التجارية الكبيرة المؤدية إلى الخارج وحول الخلجان والموانى على السواحل البحرية . وهكذا ظهرت مع توالى العصور إمارات: مدين وعاد وثمود ، وممالك دومه وقيدار وتيماء وردان ولحيان والأنباط وكنده وتجمعات مذحج والأزد وقحطان ومعد ، كما ازدهرت مكه ويثرب وانتعشت موانئ الشعيبة والجار والحوراء وأملج على البحر الأحمر وجرها ودلمون وماجان وملوخا على الخليج العربى وقامت إلى جانب ذلك تجمعات قبلية أخرى في قلب الصحراء لم تكتشف آثارها بعد ، وأخيراً قامت على الأطراف الشرقية والشمالية والغربية دولة المناذرة ودولة الغساسنة حتى ظهر الإسلام وجعل من شبه الجزيرة العربية دولة كبيرة واحدة .

ولم يقتصر نشاط العرب القدماء على أراضيهم ، وإنما خرجت جاليات منهم إلى جزيرة سوقطرة وساحل الصومال وشاطئ الحبشة وميناء "رهابتا" قرب دار السلام فى شرق أفريقيا إلى جانب هجراتهم الشعوبية الكبيرة التى استوطنت فى بعض أراضى الهلال الخصيب على فترات متباعدة (1)

---

(1) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، صـ 14 - 19 عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة صـ 25 – 29

خطوطات الكتابات القديمة فى شبه الجزيرة العربية

ترجع خطوط الكتابات القديمة التى سبقت الخط العربى المألوف فى شبه الجزيرة العربية ، إلى مجموعتين كبيرتين مجموعة شاعت فيها كتابة المسند وهى كتابة استخدمتها الدول العربية الجنوبية المتحضرة القديمة : سبأ وقتبان ومعين وحضرموت وأوسان ، وشاركتها فيها بعض الإمارات والجماعات الشمالية والغربية فى شبه الجزيرة العربية وما يتصل بها من جنوب الشام بعد أن حور كتبتها فى أشكال حروفها بما يتفق مع مدى إتقانهم لها ، وهكذا خرجوا منها خطوط أقليمية امتاز منها الخط اللحيانى والخط الثمودى والخط الصفوى . ثم مجموعة ثانية من الخطوط اعتمدت أساساً على قواعد الكتابة الأرامية وكتب بها فريق أخر من الدول والإمارات العربية الشمالية والغربية بعد أن حور كتبتها فيها هم الأخرون تحويراً قليلاً أو كثيراً. وأهم هذه الدول هى أدوم والأنباط وتدمر. وأخيرا أشتق كتبة الحجاز الخط العربى الصريح من الخط النبطى فى الأجيال القليلة التى سبقت ظهور الإسلام لاسيما فى مكه ويثرب وقد عثر على بعض نصوص هذه الكتابات الشمالية منها والجنوبية منقوشة على سطوح حجرية كبيرة وصغيرة مثل جدران المعابد ومداخل المدن والحصون وسفوح الجبال وقواعد التماثيل وسطوح النصب وكسر الحجر الصغيرة وسطوح معدنية كالصحاف وقواعد التماثيل الصغيرة وقطع العملة وربما كانت منقوشة على الأخشاب . وفى سياق النصوص المنقوشة على الأثار السابق الإشارة إليها يمكن التمييز بين النوعين : نصوص مطولة نقش الكتبة حروفها بعناية على جدران المعابد والنصب وواجهات المقابر والمبانى الدنيوية الكبيرة وعلى بعض المصنوعات الثمينة ، ثم نصوص أخرى مختصرة أطلق المستشرقون عليها لفظ المخربشات وقد خربش حروفها فى عجالة رجال عاديون من أهل المدن والقرى لخدمة مطالب حياتهم اليومية، كما خربشها بعض الكتبة المصاحبين للقوافل على سفوح التلال وجوانب الوديان التى كانوا يمرون بها ويربحون عندها ، وسجلوا فيها بعض أسمائهم ودعواتهم بأسماء معبوداتهم .

كتابة المسند :

لسنا على بينة حتى الأن من المنطقة أو الدولة التى بدأت فيها كتابة المسند فى الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة العربية فبينما كان هناك رأى قديم رد ابتداعها إلى دولة معين نبه رأى أخر إلى دلالة العثور على أقدم صور معروفة لهذه الكتابة فى دولة قتبان ، ونبه رأى ثالث إلى كثرة أغلب النصوص المعروفة حتى الأن فى سبأ . ولسنا أيضاً على بينة عن العهد الذى ظهرت فيه بداية كتابة المسند فى هذه المناطق ، فقد ذهب بعض الإحتمال إلى تعيين هذا العهد فى أواخر الألف الثانى ق.م . أو أوائل الألف الأول ق .م . ولقد تضمنت كتابة المسند تسعة وعشرين حرفاً جامداً لم تتأكد أسماؤها القديمة ولا ترتيبها القديم حتى الأن . ولكن تشابهت أصوات ثمانية وعشرين حرفاً منها مع أصوات حروف الهجاء العربية الحالية . وتتصف كتابة المسند بصفات أخرى بعضها اختصت به وبعضها إشتركت فيه مع غيرها من الكتابات السامية القديمة ، ومنها على سبيل المثال :

1- كانت حروفها تخطيطية ، وليست صوراً صريحة أو مقاطع صوتية .
2- أن حروفها ظلت تكتب منفصلة غير متصلة الواحد منها بجوار الأخر .
3- لم تتغير أشكال حروف المسند ، سواء كتبت فى بداية الكلمة أو وسطها أو أخرها ، وكانت سطورها الأفقية تكتب عادة من اليمين إلى اليسار .
4- كانت كل كلمة فيها تنفصل عن الأخرى فى سطرها الأفقى بخط قائم دون ترك مسافة بين كلمة وأخرى إلا فى القليل النادر .
5- أنها لم تتضمن حروفاً لينة أو حروف حركة ولم تسجل تشكيل الحروف ، شأن فى ذلك شأن أغلب الكتابات السامية القديمة .
6- أنها لم تأخذ بالحروف المنقوطة .
7- أنها عبرت أحياناً عن التعريف والتنوين بإضافة نون أخيرة فى نهاية الإسم ، كما عبرت أيضاً عن التنكير بإضافة حرف ميم أخيرة فى نهاية الإسم .

8- انها عبرت عن التشديد احيانا بتكرار الحرف المراد تشديده ولم تتضمن ما يعبر صراحة عن صيغة الاستفهام.

وتعددت أراء اللغويين فى تعليل تسمية كتابة المسند فكان منها ما يلى :

أولا :

أن العرب الجنوبين كانوا يستخدمون كلمة مسند بمعنى الكتابة على الإطلاق . ويزكى هذا الغرض أن بعض الأوامر الملكية القديمة تبدأ عندهم بعبارة " سطرو ذن مسندن " أى سطروا أوا كتبوا هذه الكتابة .

ثانياً :

أن الفواصل القائمة بين كل كلمة وأخرى فى هذه الكتابة قد أوحت الى أهلها بتسمية خطهم باسم الخط المسند ،على اعتبار ان كل كلمة فيه تكاد تستند على الخط القائم الذى يسبقها و الخط القائم الذى يليها . ولم ينتشر الخط السند القديم فى المناطق السابق الإشارة عليها ، وإنما وجد سبيله كذلك إلى منطقة أكسوم الحبشة حيث كتب به الجعزيون (وهم الأحرار من ذوى الأصول العربية) وحوروا بعض الشيئ فى أشكال حروفه ، وجمعت نصوصهم بين اللغةالأفريقية المحلية وبين اللغة العربية الجنوبية .

الخط النبطى وتطوره إلى الخط العربى :

يرجع أصوله إلى الكتابة الأرامية وتفرعت منه الخط النبطى و الخط التدمرى فضلاً عن الخط السريانى ، الذى يعنينا الأن منها الخط النبطى لوثيق صلته بالخط العربى وبالعرب . لقد تعلم الأنباط الخط الأرامى من موضوعين ، من إمارة أدوم ثم من دويلة دمشق الأرامية الأصل التى إتصل بها الأنباط عن طريق التجارة . وحين تعلم الأنباط الخط الأرامى تعلموه ولكن كتبوا به لغتهم المحلية وكانت لغة عربية فى مجملها ولكنها عربية لها لكنة أرامية . كان الأراميون ومن أخذوا بخطهم قد كتبوا حروفهم من قبل مفردة وكلماتهم متعاقبة دون فواصل بينها . فلما إنفرد الأنباط بخطهم كان خير مازادوه فيه تجديدان ، وهما وصل حروف الكلمة الواحدة بعضها ببعض ، أو على الأقل محاولة وصل الحرفين المتجاورين مع بعضهما ، ثم محاولة الفصل بين كل كلمة و الكلمة التى تليها وقد أدى هذان التجديدان إلى زيادة الفوارق بين الخط النبطى وبين أصوله الأرامية القديمة . وقد بدأ الأنباط خطوة وصل الحروف بين حرفي الباء و الراء فى كلمة " بر " بمعنى " بن " نظراً لكثرة إستخدامها فى ذكر نسب الشخص إلى أبيه . وقد إستخدم الأنباط أربع وسائل فى ربط الحروف ببعضها وهى :

سند الحروف على ساق الحرف الذى يليه . ربط الحرف بذيل الحرف الذى يليه . مزج الحرف بالحرف الذى يليه (مثل لا) . ربط حروف الكلمة من أسفلها برباط واحد .

وقد شابه الأنباط فى محاولات الربط بين الحروف ، كتبه دولة تدمر فى القرن الثالث الميلادى. ولقد تضمنت اللغة النبطية بعض القواعد التى عرفتها اللغة العربية ، مثل إضافة "ال" للتعريف ، وإستخدام الفاء والواو للترتيب والإستثناء لكلمة غير واستخدام الماضى فى الدعاء . وبعد أن ورث العرب الشماليون خط الأنباط واستخدموه ، أضافوا إليه بعض تجديدات قبل ظهور الإسلام . وقد إختلف المؤرخون المسلمون القدماء فى تحديد المنطقة التى تطور الخط النبطى فيها إلى صورته العربية التى عرف بها قبيل ظهور الأسلام . واتجه أغلبهم إلى نسبة هذا التطور إلى الحيرة ، وقالوا فيما قالوه إن أهل الحيرة أخذوا عن الأنبار وأن الأنبار أخذوه عن اليمن . ويبدو أنه ساعدهم على هذا القول بهذا الرأى ما تواتر إليهم عن رقى حضارة أهل الحيرة فى عهود المناذرة . وقد استبعد الباحثون المحدثون هذا الرأى ، على إعتبار أن المسيحيين من أهل الحيرة كانوا يكتبون بالخط السريانى ، والخط السريانى وإن كان فرعاً من الكتابة الأرامية إلا أنه فرع بعيد عن أصول الكتابة العربية . وقد كان المؤرخ العربى هشام الكلبى أكثر توفيقاً من بقية المؤرخين المسلمين القدامى فى تخمين منطقة تطوير الخط النبطى إلى صورته العربية بأن العرب أخذوا خطهم من أهل مدين ، وذلك على إعتبار أن الأنباط إنتشروا فى نفس المنطقة التى كان يسكنها قديماً أهل مدين وكتبوا فيها بخطهم (فى مثل مغاير شعيب والحوراء فى شمال الحجاز) وعن هذا الخط الأنباطى أخذ عرب الحجاز .

ولقد استخدمت الكتابة فى شبه الجزيرة العربية فى تسجيل أخبار الإنتصارات الحربية ، وإقامة المنشئات العامة والمشروعات العمرانية والدفاعية وتسجيل الدعوات الدينية وألفاظ التعبد ، والهبات المقدمة إلى المعابد وتسجيل مراسيم الضرائب وبعض المعاملات الشخصية كالبيوع والمواريث ، وتسجيل أسماء أصحاب المقابر ودعواتهم . ولكن النصوص القديمة فى شبه الجزيرة العربية لاتزال تنقصها حتى الأن ماتضمنه نصوص الحضارات الكبيرة فى الشرق الأدنى القديم من قصص وأساطير وعلوم وتعاليم مطولة والمدونات التاريخية التى تتحدث عن قصد عن أخبار الماضى وحوادثه وترتيب أسماء حكامه وعهودهم تدويناً مرتباً متصلاً . (1)

---

(1) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، صـ 30 - 39 ، شافية بدير ونور جلال ، تاريخ الشرق الأدنى القديم ، صـ 195 - 197 ، خليل يحيى نامى : أصل الخط العربى وتطوره إلى ماقبل الإسلام ، القاهرة 1934 .

Beeston,A.F.L.,A Descriptive Grammar of Epigraphic South Arabian,London,1962

الفصل الرابع

لفظة العرب : مدلولها وتطورها التاريخى

إن علماء العربية أنفسهم حياراً فى تعيين أول من نطق بالعربية ، فبينما ذهب فريق إلى أن يعرب من قحطان " كان أول من أعرب فى لسانه وتكلم بهذا اللسان العربى ، وأول من إنعدل لسانه عن السريانية إلى العربية (1) ، لأنه أول من نطق بأفصحها وأبلغها ، والعربية منسوبة إليه مشتقة من اسمه . (2) وهناك فريق ثان إنما يزعم أن هوداً - عليه السلام - ، إنما كان أول من تكلم بالعربية ، وبينما يزعم آخرون أن آباه هو أول من تكلم بها ، على أن فريقاً ثالثاً يرى أن نوحاً - عليه السلام - هو أول الناطقين بالعربية (3) ويتجه فريق رابع إلى أنه " عمليق " وهو أبو العمالقة ومن ثم كان يقال للعماليق - وكذا لجدهم - " العرب العاربة " (4) وأخيراً فقد ذهب فريق خامس إلى أن إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - كان أول من ألهم هذا اللسان العربى المبين ، وهو مايزال بعد فى الرابعة عشرة من عمره (5) ولعل هذه الأراء متضاربة إنما كانت السبب فى أن يحاول البعض التوفيق بين الرأيين الأساسيين - الأول والخامس - ومن ثم فقد ذهب الرأى إلى أن " يعرب " أول من نطق بمنطق العربية ، وأن إسماعيل هو أول من نطق بالعربية الحجازية الخالصة ، التى أنزل بها القرآن الكريم (6) وعلى أية حال ، فإن الألوسى (7) يذهب إلى أن لفظ العرب ، إنما يطلق أصلاً لقوم جمعوا عدة صفات ، ومنها أن لسانهم كان العربية ، ومنها أنهم كانوا من أولاد العرب ، ومنها أن مساكنهم كانت بأرض العرب حتى ظهور الإسلام ، ثم تفرقوا بعد ذلك فى البلاد التى دانت بعقيدة التوحيد وبرسالة محمد - عليه الصلاة والسلام - ويذهب آخرون إلى أن كل من سكن جزيرة العرب ونطق بلسان أهلها ، فهم العرب ، سموا عرباً اسم بلدهم العربات(8)

وقد إختلفت الأراء كذلك فى معنى كلمة " عرب " ومصدر إشتقاقها فبينما ذهب البعض إلى أن أصل الكلمة مايزال غامضاً (9) ، ذهب آخرون إلى أنها مشتقة من الفعل " يعرب " بمعنى يفصح فى الحديث ، ومن ثم فقد أصبحت تدل على العرب لفصاحتهم (10) إلا أن هناك من يعارض هذا الإتجاه ويرى عكس ذلك هو الصحيح ، وهو أن الفعل " يعرب " هو الذى اشتق منت كلمة " عرب " ذلك أن المرء عندما يعبر عن أفكاره باللسان ، فإنه إنما يعبر عن رأيه على أن هناك من يذهب إلى أن كلمة " عرب " إنما هى مشتقة من أصل سامى قديم بمعنى "الغرب" وأن القاطنين فى بلاد النهرين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الإسم ، لأنهم يقيمون فى البادية الواقعة إلى الغرب من العراق ، والتى كان يطلق عليها " أرض عريبى " (11)

غير أن هناك من العرب من يرى أن العرب كانوا يستخدمون هذا الإسم إذا ما تحدثوا عن أنفسهم (12)

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 127

(2) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 75

(3) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة 1966 ، صـ 49

(4) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، القاهرة 1967 ، 1 / 207

(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 141

(6) المرجع السابق : ، صـ 141

(7) السيد محمود شكرى الألوسى : بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة 1924

(8) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت 1957 ، جـ 4 ، صـ 7

(9) برنارد لويس : العرب فى التاريخ ، معرب بيروت 1954 ، صـ 9

(10) محمود شكرى الألوسى : المرجع السابق ، صـ 8

(11) Grohmann, Ei., Article al-Arab, p.525

(12) برنارد لويس : العرب فى التاريخ ، صـ 9 ، عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، صـ 75

وهناك من يرى أن كلمة " عربى " ترتبط بكلمة " عبرى " إرتباطاً لغوياً متيناً لأنهما مشتقان من أصل واحد ، ويدلان على معنى واحد فهما مشتقان من الفعل الثلاثى "عبر " بمعنى قطع مرحلة من الطريق ، أو عبر الوادى أو النهر من عبره إلى عبره ، ذلك لأن العرب والعبرانيين كانوا فى الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التى لا تستقر فى مكان ، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها بحثاً عن الكلأ والماء ، ومن هنا فإن كلمة عربى وعبرى مثل كلمة بدوى أى ساكن الصحراء أو البادية (1) . وقريب من هذا مايراه " نولدكه " من أن كلمة عربى معناها صحراء (2) وإذا ما تتبعنا تاريخ لفظة " العرب " ومدلولها فى اللغات السامية القديمة ، لوجدنا أنه على الرغم من وجود علاقات قديمة بين سكان " ميزوبوتاميا " والمناطق الشرقية فى شبه الجزيرة العربية (3) ، فإن أقدم نص وجدت فيه هذه اللفظة يرجع تاريخه إلى عهد الملك الأشورى شلمناصر الثالث (859 – 824 ق . م .) وبالتحديد فى موقعة " قرقر " (عام 853 ق . م .) ، والتى إشترك فيها أمير عربى يدعى " جندب " إلى جانب حلف من الأمراء السوريين ضد الملك الأشورى (4) ومن عهد " تجيلات بيليسر " الثالث (745 – 727 ق . م .) ، حوليات عثر عليها فى " كالح جاء فيها إشارات إلى جزيه من " زبيبة " ملكة بلاد العرب ، هذا فضلاً عن نص أخر يقول فيه الملك الأشورى : " أما شمسي (سمسي) ملكة بلاد العرب ، فقد أصبحت خائفة من قوة جيشى ، وأرسلت لى جمالاً ونياقاً ، ثم عينت موظفاً من لدنى هناك " (5) ويبدو من النص أن " شمسي " قد نقضت عهد الولاء لأشور ، ومن ثم وجدنا " سرجيون الثانى " يحدثنا أنه قد تلقى الجزية من شمسي ملكة بلاد العرب ومن " يثع أمر " أمير سبأ حيث تلقى منه تبراً وخيلاً وجمالاً"(6) وتتحدث نقوش " سناحريب " (705 – 681 ق. م.) وولده " أسرحدون " عن سيطرة الأول على بادية شمال بلاد العرب حتى دعاه هيرودوت بملك العرب والأشوريين ، فضلاً عن إخضاعه لملكة العرب " تطخونو " صاحبة دومة الجندل ، وأسر الملكة العربية " تاربو " (7) ويمكن الإشارة هنا أن لفظة " عرب " عند الأشوريين إنما تعنى " بداوة " أو " إمارة " على تخوم الحدود الأشورية ، تتسع حدودها وتضيق طبقاً للظروف التاريخية ، وطبقاً لشخصية الحاكم الذى كان فى أغلب الأحيان يحمل لقب ملك ، وقد وجدت عدة قراءات لكلمة عرب فى النصوص الأشورية مثل " عريبى " و " عربى " و "عربو "(8) وفى القرن السادس قبل الميلاد ، تظهر كلمة " عرب " (عرابة) فى النصوص الفارسية ، المكتوبة باللغة الأخمينية ، وذلك فى نقش انتصارات الملك " دارا الأول" (522 – 486 ق. م.) المعروف باسم نقش " بهستون " فى إحدى الممرات الجبلية فى الطريق بين كرمنشاه وهمدان (9) تظهر كلمة عرب بمعنى البادية التى تفصل بين أشور وبابل من ناحية ، وبين مصر من ناحية أخرى ، مما جعل بعض العلماء يدخلون شبه جزيرة سيناء فى جملة هذه الأرضين.

---

(1) إسرائيل ولفنسون : تاريخ اللغات السامية ، القاهرة 1929 ، صـ 77- 78

(2) محمد مبروك نافع : عصر ماقبل الإسلام ، صـ 12

(3) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية العدد السادس ، الرياض 1976 ، صـ 287 – 437

(4) Noth, M., History of Israel, London , 1965 , p 245 - 6

محمد بيومى مهران : إسرائيل ، القاهرة 1973 ، صـ 494 – 495

(5) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ، الإسكندرية 1963 ، جـ 5 ، صـ 268

(6) Lie, A. G. , The Inscriptions of Sargon II , Part I the Annals , p . 5 .

(7) موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 355 ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ، صـ 289 – 290

(8) جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 16

(9) Kent , R . G. , JNES , II 1943

وقد عاشت قبائل عربية عديدة فى منطقة سيناء قبل الميلاد (1) وأما فى التوراة – أو العهد القديم فقد وردت كلمة " عرب " بمعنى البدو والأعراب وبمعنى القفر والجفاف فى مواقع كثيرة ، فهم رعاة يسكنون الخيام . وأما فى التلمود ، فقد قصد بكلمة " عرب " و "عربيم " و " عرابيم " الأعراب أى نفس المعنى الذى ورد فى أسفار التوراة كما أصبحت لفظة " عربى " مرادفة فى بعض الأحايين لكلمة " اسماعيل " (2) نسبة إلى سيدنا إسماعيل جد العرب ، والأخ الأكبر لإسحاق . والد يعقوب أو إسرائيل ، جد اليهود . وفى أخريات القرن السادس قبل الميلاد ، بدأ اليونان يتحدثون عن العرب فى كتاباتهم ، وكان إسكليوس (أخيلوس) (525 – 456 ق . م .) ، أول من ذكر العرب من اليونان ، وذلك إبان الحديث عن الملك الفارسى " أكزركيس الأول " (486 - 465 ق . م .) والذى هاجم اليونان فى بلادهم بجيش فيه " ضابط عربى من الرؤساء مشهور " ثم جاء هيرودوت (484 – 430 ق . م .) فتعرض فى كتابه الثانى لذكر العرب ، كما أطلق على بلاد العرب لفظ Arabia ويعنى بها البادية وشبه جزيرة العرب والأرضين الواقعة إلى الشرق من نهر النيل ، ومن ثم فقد أدخل هيرودوت سيناء وكل الأقسام الشرقة من مصر – والواقعة بين سواحل البحر الأحمرونهر النيل – فى بلاد العرب. وجاء سترابو (66 ق . م . - 24 م) وبلينى (32- 79م) فأكدوا ما ذهب إليه هيرودوت ، وأضافا إلى ذلك أن عدد العرب فى عهدها قد تضاعف على الضفة الغربية من البحر الأحمر ، حتى شغلوا كل المنطقة بينه وبين نهر النيل من أعالى الصعيد ، وكان لهم جمال ينقلون عليها التجارة والناس بين البحر الأحمر والنيل (3) بل إن استربوا قد وصف مدينة " قفط " جنوبى قنا ، بأنها مدينة واقعة تحت حكم العرب ، وبأن نصف سكانها من أولئك العرب (4) وهكذا كانت بلاد العرب تقذف بالموجة تلو الأخرى إلى وادى النيل ، عبر البحر الأحمر ، وعن طريق سيناء ، والتى كانت منذ القدم قنطرة ثابتة مفتوحة للهجرات التى كانت من أهمها قبائل كهلان من عرب الجنوبى وقبائل من طئ " فرع كهلانى أخر وقبيلة " بلى " التى إستقرت فيما بين قنا والقصير ، وهجرة بطون من خزاعة وهم فرع من الأزد خرجوا فى الجاهلية إلى مصر والشام بسبب قحط أصاب بلادهم ، هذا بالإضافة إلى الجماعات التى استقرت فى شرق الدلتا قبل الإسلام (5) أما النصوص العربية الجنوبية ، فلم يرد فيها اسم " عرب " إلا بمعنى " أعراب " ولم يقصد بها قومية ، أى علم لهذا الجنس المعروف الذى يشمل كل سكان بلاد العرب من بدو وحضر ، أما أهل المدن فكانوا يعرفون بمدنهم وقبائلهم وكانت مستقرة فى الغالب . ولهذا قيل سبأ وهمدان وحمير وقبائل أخرى ، بمعنى أنها قبائل مستقرة متحضرة ، تمتاز عن القبائل الأخرى المسماه أعراب فى النصوص العربية الجنوبية ، مما يدل على أن لفظة عرب والعرب لم تكن تؤدى معنى الجنس والقومية فى الكتابات العربية المدونة والتى ترجع إلى ما قبل الإسلام بقليل ، وأن العرب الجنوبيين لم يفهموا هذا المعنى من اللفظة إلا بعد ظهور الإسلام ودخولهم فى دين الله أفواجا . ولعل من الجدير بالإشارة هنا أن " أب كرب أسعد " كان أول ملك يمنى يضيف إلى لقبة الرسمى كلمة الأعراب ، ومن ثم فقد أصبح اللقب الملكى فى عهده " ملك سبأ وذى ريدان وحضرموت ويمينات وأعرابها فى الجبال والتهائم "

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 17 - 18

(2) جواد على : المرجع السابق ، جـ 1 صـ 18

(3) المقريزى : البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، القاهرة 1961 ، صـ 89 ، أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ، القاهرة 1970 ، صـ 12 - 13

(4) مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها ، القاهرة 1965 ، صـ 22

(5) أحمد مختار عمر : المرجع السابق ، صـ 12

Ammar , A . , The People of sharqiya , cairo , 1944 , I , p . 21 - 24

ولما الشعر الجاهلى فلم يكن بأفضل من النصوص المكتوبة فى هذا الصدد ومن ثم فإننا لم نجد فيه من جذر " ع . ر . ب " للدلالة على معنى قومى يتعلق بالجنس ، ولا على معنى يتعلق باللغة التى نتكلمها ، ذلك لأن الجاهلية إنما كانوا غارقين فى منازعاتهم القبلية ، وجاء الإسلام ونزل القرآن الكريم منجماً فى ثلاث وعشرين سنة فى مكه والمدينة ، فلم يرد فيه من الجزر
(ع . ر . ب) إلا ثلاث صيغ عرباً نعتاً للمرأة المتحببة إلى زوجها فى قوله تعالى " عرباً أترابا " (1) ثم جاءت الصيغة " أعراب " عشر مرات وفى سورة مدنية فقط ، منها ست مرات فى سورة التوبة وحدها (2) ولا حاجة بنا إلى الإستشهاد على أن كلمة " أعراب " تدل فى القرآن الكريم - كما تدل فى غيره على البدو (3)
وأخيراً حسم القرآن الكريم الأمر نهائياً فجأت فيه كلمة " عربى " إحدى عشر مرة – فى سورة مدنية وأخرى مكيه – جاءت عشر مرات بعتاً للغة التى نزل بها القرآن الكريم (4) وجاءت مرة واحدة نعتاً لشخص الرسول الأعظم – صلوات الله وسلامه عليه – يقول سبحانه وتعالى " ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته ، أأعجمى وعربى " (5)
أى أقرآن أعجمى اللغة ونبى عربى ؟ وهكذا أصبحت كلمة " عرب " علماً على العرب جميعاً .

---

(1) سورة الواقعة ، آيه 37
(2) سورة التوبة آيه 90 ، 97 – 99 ، 101 – 102 ، سورة الفتح : آية 11 ، سورة الحجرات : آيه 14 .
(3) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، صـ 41
(4) سورة يوسف : آيه 2 ، والرعد : آيه 37 ، والنحل : آيه 103 ، وطه : آيه 113 ، والزمر : آيه 28 ، وفصلت : آيه 3 ، والشورى : آيه 7 ، والزخرف : آيه 3 ، والأحقاف : آيه 12
(5) سورة فصلت : آيه 44

الفصل الخامس

طبقات العرب

اتفق الرواة واهل الأخبار على تقسيم العرب من حيث القدم إلى طبقات : عرب بائدة ، وعرب عاربة ، وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة ، وعرب متعربة ، وعرب مستعربة ، أو عرب عاربة ومستعربة وتابعة ومستعجمة (1)على أن هناك من يجعلهم طبقتين ، بائدة وباقية ، فأما البائدة فهم الذين كانو عربا صرحاء ذوى نسب عربى خالص ، ويتكون من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس وأميم وعبيل وجرهم والعماليق وحضورا ومدين وغيرهم . وأما العرب الباقية ويسمون أيضا المتعربة والمستعربة فهم الذين ليسوا عربا خالصا ويتكونون من بنى يعرب بن قحطان وبنى معد بن عدنان (2)

وهناك تقسيم ثالث يعتمد على النسب ، فهم قحطانية فى اليمن وعدنانية في الحجاز (3) على أن ابن خلدون يقسم العرب – طبقا للتسلسل التاريخى – إلى طبقات أربعة ، فهم عرب عاربة قد بادت ثم مستعربة ، وهم القحطانيون ، ثم العرب التابعة لهم من عدنان والأوس والخزرج ثم الغساسنة والمناذرة ، وأخيرا العرب المستعجمة وهم الذين دخلوا فى نفوذ الدولة الإسلامية (4) ورغم ما فى هذه التقسيمات من مأخذ إلا أننا سنشير إليها ، ولنبدأ بـ

العرب البائدة :

فقد شك كثير من المستشرقين فى حقيقة وجود أكثر الأقوام المؤلفة لهذه الطبقة ، فعدها بعضهم من الأقوام الخرافية التى إبتدعها مخيلة الرواة ، وخاصة حين عجزوا عن العثور على أسماء مشابهه لها أو قريبة منها فى اللغات القديمة أوفى الكتب الكلاسيكية ، ولكن ظهر بعد ذلك أن فى هذه الأحكام شيئا من التسرع ، إذ تمكن العلماء من العثور على أسماء بعض هذه الأقوام ، ومن الحصول على بعض المعلومات عنها ، والمقصود بلفظة " بائدة " عدم وجود أحد من العرب ينتسب إلى هذه القبيلة أو تلك عند كتابة المؤرخين الإسلاميين لتاريخ مابعد ظهور الإسلام ، أما العرب الباقية فنعنى بها الجماعات التى كانت – ومازال – تعيش فى هذه المنطقة (5) ومنها ما يلى :

أ- مدين :

تحدث القرآن الكريم عن أهل مدين ، وعن نبيهم الكريم شعيب – عليه السلام – (6) ووفقا للقرآن الكريم ، فإن شعيب أتى مدين وأصحاب الأيكة ، فنهاهم عن عبادة الأوثان ، كما أمرهم أن يقيموا الوزن بالقسط ولا يخسروا الميزان (7) ، وقد كانت قصصهم فى القرآن قصة التجارة المحتكرة ، والعبث بالكيل والميزان وبخس الأسعار ، وهكذا كانت رسالة شعيب عليه السلام ، رسالة خلاص من شرور الإحتكار والخداع فى البيئة التى تعرضت لها بحكم موقعها من طرق التجارة والمرافق المتبادلة بين الأمم (8) وقد كان أهل مدين قوما عربا يسكنون مدينتهم مدين،التى هى قريبة من أرض معان فى أطراف الشام مما يلى الحجاز قريبا من بحيرة قوم لوط،هذا وقد كانت مدين هذه إنما تمتد من خليج العقبة إلى مؤاب وطور سيناء (9)

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 155

(2) عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، صـ 44

(3) طه حسين : فى الأدب الجاهلى ، القاهرة 1933 ، صـ 79

(4) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 83 ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ 2 بيروت 1965 صـ 28

(5) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 78

(6) سورة الأعراف والتوبة وهود والحجر والشعراء والقصص والعنكبوت وق .

(7) سورة الأعراف : 85 ، سورة هود 84 85 ، سورة الشعراء 181 – 183

(8) عباس العقاد : مطلع النور ، القاهرة 1968 صـ 93- 94 ، عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة صـ 149

(9) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 83 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 193

ويفهم من التوراة أن مواطن مدين إنما كانت تقع إلى الشرق من العبرانيين ، ويبدو أنهم توغلوا في المناطق الجنوبية لفلسطين ، متخذين منها موطن جديد عاشوا فيه أمداً طويلاً وقد ذكر بطلميوس الجغرافي موضعاً يقال له " مودينا " على ساحل البحر الأحمر ، يرى العلماء أنه موضع مدين (1) ويرجح بعض الباحثين أن عصر شعيب ، إنما كان قبل عصر موسى ، معتمدين في ذلك على أن الله سبحانه وتعالى قد ذكر شعيباً في القرآن الكريم – كما في سورة الأعراف ويونس وهود والحج والعنكبوت – بعد نوح وهود وصالح ولوط ، وقبل موسى (2) وإذا ما عدنا إلى عصر الخليل عليه السلام (1940 – 1765 ق.م.) ، وتذكرنا أن لوطاً وقومه إنما كانوا معاصرين لأبي الأنبياء ، لأمكننا القول أن شعيباً وقومه إنما كانوا يعيشون بعد القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، بخاصة وأن التوراة تذكر أن مدين إنما كان من ولد الخليل من زوجته قطورة الكنعانية (3) وبعد قرون دخلت مدين في طي النسيان ، ثم سيطروا الأنباط على أراضيها بعد أن مدوا نفوذهم التجاري والسياسي من شرق الأردن إلى شمال الحجاز . وعملوا خلال القرن الأول ق . م . على توسيع ميناء الحوراء وتحصينها . ولاتزال المقابر التي نحتت في الصخر بجوارها خلال عصرهم تعرف باسم مغاير شعيب وتشبهها بعض مقابر واحة البدع ، كما تشبه بقية مقابر الأنباط في البتراء ، وفي مدائن صالح ، لولا أنها تهدمت إلى حد كبير (4).

2- قوم عاد :

إعتاد الرواة والأخباريون الأوائل أن يضربوا المثل في القدم بعاد ، واعتادوا على أن ينسبوا إليها كل ما استعظموا شأنه وجهلوا أصله من أطلال القصور والآبار وبقايا الصخور والأشجار القديمة وقد اعتمد أولئك الرواة والإخباريون في بعض ماذكروه عن قوم عاد على ماجاء عنهم في القرآن الكريم كما إعتمدوا على تفسير كتبة التوراة ومن تأثروا بهم . ويفيد ما ذكره القرآن الكريم عن قوم عاد أنهم عاشوا في منطقة تعرف بالأحقاف (واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف) وأنهم تميزوا بإرم ذات العماد (ألم تر كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد) وأنهم كذبوا نبيهم هوداً (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون) وربما كانوا قريبي الصلة بالثموديين (وأنه أهلك عاد الأولى وثموداً فما أبقى) وأنهم عوقبوا جزاء كفرهم بريح عنيفة أطاحت بكل ما كانوا فيه (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ، ما تذر من شيئ أتت عليه إلا جعلته كالرميم) ولم يعين القرآن الكريم موضع الأحقاف ، ولهذا تعددت آراء المفسرين والمؤرخين المسلمين بشأنها فقد ذهب بعضهم إلى تعيين الأحقاف بمنطقة في حضرموت وزكوا رأيهم بما يعتقده بعض أهل حضرموت من وجود قبر هود في أرضهم ووجود بئر تسمى بئر برهوت رووا أنه كانت تصدر منه أصوات هائلة في العصور القديمة ، وتخيلوا أن هذه الأصوات هي أصوات قوم هود المعذبين ، ولكن أضعف هذا الرأى عدة قرائن نذكر منها أن الروايات الشعبية يصعب التسليم بها دائماً أو كاملاً دون دليل . فكما قال بعض أهل حضرموت بوجود قبر هود عليه السلام في أرضهم قال بعض أهل شبه جزيرة سيناء إن قبره في أرضهم وقال رأى آخر أن الأحقاف رمال مستطيله بشحر عمان ، وقال رأى ثالث بأن الاحقاف اسم جبل في الشام ، وقال رأى رابع أن الأحقاف اسم عام يطلق على أي منطقة إذا عظم رملها واستدار ولقد ربط القرآن الكريم بين قوم عاد وبين إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد ، فاعتبر بعض المفسرين والمؤرخين إرم هذه مدينة عظيمة وعيونها بالأسكندرية تارة ودمشق تارة أخرى ، واعتبرها البعض الأخر أنها قبيلة قوية ،

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 455

(2) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، صـ 149

(3) أحمد أمين سليم : المرجع السابق ، صـ 84 ، سورة الحجر (51 – 77) ، سورة العنكبوت (26 - 36) ، الذاريات (24 - 37)

(4) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية ، صـ 151

وكان من أصحاب هذا البعض الأخير المؤرخ ابن خلدون وقد جعل ياقوت الحموى إرم جبلا عظيماً فى ديار جذام قرب العقبة تنمو عليه الكروم وأشجار تشبه أشجار الصنوبر وذكر الرحالة القزوينى أن قوم عاد عاشوا على هذا الجبل الذى أصبح من منازل طئ وكانت توجد عنده بقايا تماثيل كثيرة ومنازل عديدة . توجد أدلة تزكى نسبة هؤلاء القوم ، قوم عاد إلى شمال شبه الجزيرة العربية أكثر من جنوبها، منها أن القرآن الكريم جمع بين عاد وثمود ، وثمود شمالية فيما هو شائع ، وجعل موقع عاد قريبة من أهل الحجاز حين نزول القرآن فقال (وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم) ، وقال (إذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) . وقد ربط بعض الشعراء السبكريين بين عاد وثمود ، وأطلقوا على ثمود اسم عاد الثانية أخذا بقول القرآن الكريم (وأنه أهلك عاد الأولى) وقد ذكر الجغرافى بطلميوس السكندرى (فى القرن الثانى الميلادى) اسمين فى شمال الحجاز يمكن الربط بينهما وبين قوم عاد ، وهما اسم شعب Ouditae الذى يتشابه مع اسم عاد ، واسم Aramaua الذى يتشابه مع إرم وأرام وكلها أسماء تعاقبت لمسمى واحد (1)

3- قوم ثمود :

لقد توافر للثموديين حظ كبير من الشهرة بين المؤرخين المسلمين للأسباب التالية : ذكرها فى أيات القرآن الكريم ، ومعرفة جزء من أرضهم ، بقاء بعض أثارهم حتى بداية العصور الإسلامية . وكما سلك القرآن الكريم ثموداً مع عاد سلكهم كذلك مع قوم لوط وأصحاب الأيكة وسماهم الأحزاب . ووصف الثموديين بأنهم الذين جابوا الصخر بالواد ربما بمعنى الذين قطعوا صخر الجبال ونحتوا فيه مقابرهم أو بنوا فيه بيوتهم . وذكر القرآن الكريم العذاب الذى نزل بهم جزاء كفرهم بدعوة نبيهم صالح عليه السلام فى قوله (فأخذتهم الرجفة فأصبحوا فى ديارهم جاثمين) وقوله (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتضر) ولقد أشارت النصوص الأشورية إلى قدامى الثموديين باسم " تمودى " منذ أواخر القرن الثامن ق . م . ، واعتبرتهم من أهل البرية وذكرت أنهم وجيرانهم من الأعراب لم يألفوا الخضوع لملوك ولا للحكام وليس مايمنع من أن يكون أوائل جماعات الثموديين قد ظهروا قبل القرن الثامن قبل الميلاد بكثير ، ولكنهم كانوا لايزالون على حالة البداوة بحيث تجاهلهم فيما بعد كتبه قصص التوراة وتجاوزوا عن ذكرهم بينما ذكروا أسماء بعض القبائل التى جاورتهم فى البادية مثل "قبيلة خابابا" وقبيلة " عيفة " اللتين ذكرتهما النصوص الأشورية مع الثموديين ولقد اتفق المؤرخون المسلمون على أن أهم ديار ثمود كانت بوادى القرى فيما بين الحجاز وبين الشام ورووا أن النبى عليه السلام مر بحيشة على خرائب ديارهم فى الحجر ونهى عن دخولها ربما لتأكيد كرهه للكافرين إن كل ماعرف عن قوم ثمود تاريخياً أنهم تألفوا من قبائل وعشائر متعددة وأنهم لم يكونوا دولة مستقرة واضحة المعالم ، وأنهم حين انتشروا فى شمال الحجاز وسيطروا على بعض أجزائه فى وادى القرى بخاصة كانت مدينة الحجر من أهم الحواضر التى عاشوا فيها وهى مدينة ظنها بعض المؤرخين القدامى مدائن صالح الحالية نظراً لكثرة أثارها المنحوتة فى الجبال ، ووضوح التدمير الذى لحق بها ، وارتباط اسمها باسم النبى صالح . ولكن كثرة من الباحثين المحدثين حددوها ببلدة الخريبة التى تبعد عن مدائن صالح بنحو عشرة أميال وقد أصاب أثارها هى الأخرى خراب كبير وبنوا رأيهم على غلبة النصوص الثمودية التى عثر عليها فيها بينما رجحوا اعتبار مدائن صالح من مناطق الأنباط على أساس غلبة الأثار والنصوص النبطية فيها ،

---

(1) عبد العزيز صالح : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، صـ 152 – 154 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 164 – 165 ، جواد على : المرجع السابق جـ 1 ، صـ 299 ، عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، صـ 53
سورة الأعراف 65 – 72 ، سورة هود 50 – 60 ، الأحقاف 21 – 26 ، الفجر 6 – 8
فصلت 15 – 16

وإن تضمنت إلى جانبها نصوصاً غورية قليلة وقد ساعد الثموديين على الإستمرار الحضاري أنهم اتصلوا في شمال الحجاز بطوائف متحضرة قديمة ومنها طوائف ددان ولحيان وعندما امتدوا إلى الشمال انتفعوا ببعض حضارات جنوب فلسطين كما جاوروا الحضارة المصرية في شبه جزيرة سيناء ، كما إمتد نشاطهم إلى الجنوب حيث اتصلوا ببعض الجماعات المتحضرة في أنحاء اليمن . وكان أهم ما استفادوا به حضارياً من هذه الإتصالات المتعددة هو الكتابة بخط متميز اشتقوه أساساً من الخط المسند الجنوبي الذي يحتمل أنهم تعلموه عن أهل منطقة ددان ولحيان وعن كتبة الجنوب العربي ثم طعموا خطهم هذا ببعض خصائص الخط السينائي المصري في سيناء ودلت نصوص الثموديين على مدى انتشارهم وهي نصوص قصيرة سريعة ، وقد وجدت نماذج منها خارج وادي القرى في تبوك والطائف وفي قلب نجد وشمالها وفي شبه جزيرة سيناء ، وفي مناطق متفرقة من شرق الأردن ، وفي شرق دمشق ، وفي أطراف اليمن . وشاعت بين الثموديين أسماء عربية خالصة مثل سعد وقيس ومالك وزيد وأوس وعاصم وعمر وعقرب وواسط وكعب وحارثة وسعدة ومسكه ، كما وجدت بينهم أسماء قل استعمالها قبيل السلام ويبدو أنهم تأثروا فيها بأسماء من كانوا يخالطونهم من الأرامين وأخذ الثموديين بتعدد المعبودات كغيرهم من الجماعات القديمة ذات الديانات الوضعية . فقدسوا الشمس ووداً وكاهل وبطة ومناة ، ومن أجل إصلاح هذه العقائد أرسل فيهم نبيهم صالح ولكنهم خالفوه وظل لبقاياالثموديين كيانهم حتى غلب الأنباط على وادي القرى فتفرقوا ولكنهم ظلوا معروفين خلال القرون الأولى بعد الميلاد ، فقد أشار إليهم مؤلف كتاب الطواف حول البحر الإرتيري في بداية القرن الثالث الميلادي ويبدو أن جيوش الروم ظلت تتقبل أعداداً منهم في قواتها حتى القرن الخامس الميلادي (1)

4- طسم وجديس :

ينسب الأخباريون " طسم وجديس " إلى " لاوذ بن إرم بن سام بن نوح " ، وأنهما كانا قريباً عهد بعاد الأولى ، أما موطنهما فكان في منطقة اليمامة ، والتي كانت تسمى " جو "
لقد حدثتنا التوراة عن كثير من القبائل العربية ، ومن بينها قبيلة طسم التي دعتها " لتوشيم " وإنها إحدى بطون قبيلة " ديدان " الموجودة في العلا وهذا يعني أن بداية استقرار طسم إنما كان في منطقة العلا ثم انتقلت بعد ذلك إلى اليمامة إذ من المحتمل أن يكون نزوح طسم إلى اليمامة إنما كان بسبب العامل الإقتصادي ويبدو أن جديس قد نزحت هي الأخرى مع طسم ، وبهذا يمكن أن نجد صلة النسب قائمة بين القبيلتين (2) . وفي الواقع لا نملك مصادر يعتمد عليها في التأريخ لهما ، فالقرآن الكريم لم يتحدث عنهما ، والإكتشافات الأثرية لم تصل إليهما ، وكتابات الأمم الأخرى لم تذكرهما ، إذا استثنينا التوراة عن طسم . وينسب الأخباريون إلى القبيلتين (طسم وجديس) كثيراً من المواضع فإلى طسم ينسب حصن المشقر ، بين نجران والبحرين ، وإلى جديس ينسب قصر معتق والشموس في اليمامة . أما الفترة التي عاشت فيها قبيلتا طسم وجديس إنما كانت في أوائل القرن الخامس الميلادي (3)

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 155 – 158 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق : صـ 165 – 167 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 79
سورة الأعراف (73 – 79) وهود (61 – 68) والحجر (80 – 84) والإسراء (59) والشعراء (141 – 159) والنمل (45 – 53) وص (13) وفصلت (17 – 18) والذاريات (43 – 45) ، والقمر (23 – 32) والحاقة (4 – 5) والشمس (11 – 15)
(2) عبد الرحمن الأنصاري : لمحات عن القبائل العربية البائدة في الجزيرة العربية ، الرياض 1969 ، صـ 90 - 91
(3) جرجس زيدان : العرب قبل الإسلام ، بيروت 1968 ، صـ 69
محمد مبروك نافع : عصر ماقبل الإسلام ، صـ 39 ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ العرب قبل الإسلام ، بيروت 1975 ، صـ 124 – 125

وأما أصل الكلمة " عماليق " أو " عمالقة " فمجهول ، وإن كانت هناك آراء تذهب إلى أنه منحوت من اسم قبيلة عربية أطلق عليها البابليون اسم (ماليق) أو (مالوق) وأضاف إليها اليهود لفظ (عم) اى الشعب أو الأمة ، فقالوا (عم ماليق) ثم جاءت العربية فقالت (عمالقة) (1)ويتفق الأخباريون على أن العماليق عرب صرحاء ، ومن أقدم العرب زمانا ، ويذهب الطبري إلى أن عمليقاً وهو أبو العمالقة كان أول من تكلم العربية ، ومن ثم فقد كان يقال لهم ولجرهم العرب العاربة والعماليق في نظر التوراة من أقدم الشعوب التي سكنت جنوب فلسطين ، وربما لأنهم كانوا أول من اصطدم بالإسرائيليين أثناء التيه في صحراوات سيناء . وقد ورد في التوراة أن العمالقة هاجموا بني إسرائيل عند خروجهم من مصر وأسروا جميع مقاتليهم ، كما نقرأ في التوراة كذلك أن العماليق قد أتوا المحاربة بني إسرائيل في "رفيديم " واستمر العماليق يغزون بني إسرائيل في فلسطين ، وبدأ الإسرائيليون يفكرون في الإنتقام من العماليق ، وكان شاول هو أول ملك إسرائيلي يحارب العماليق ونقرأ في التوراة "أن الرب أمر شاول أن يحارب العماليق ويبيد كل ممتلكاتهم من ثيران وماشية وجمال وحمير " ويبدو أن الإسرائيليين ولأول مرة قد حققوا نصراً على العماليق كما يفهم من التوراة وفي أيام داود عليه السلام (1000 – 960 ق . م .) تدق الحرب طبولها من جديد بين بني إسرائيل والعماليق ، وطبقاً كرواية التوراة فإن العمالقة قد غزوا بني إسرائيل وأحرقوها بالنيران وسبوا نساءها . إلا أن داود نجح في رد الغزاة واستعاد الغنائم منهم ، بل وفي استعادة بعض السبايا . بقيت نقطة أخيرة تتصل بعدم ذكر العمالقة في جملة قبائل العرب ، وهذا أولاً لا يدل على أن العمالقة لم يكونوا عرباً. وثانياً : لأن العبرانيون لم يطلقوا لفظة عرب إلا على أعراب البادية ولاسيما بادية الشام . وثالثاً لأن العمالقة من أقدم الشعوب التي اصطدمت بها بنو إسرائيل ، ومن ثم فقد حملوا لهم حقداً دفيناً ، واليهود كما هو معروف قد تأثروا بعواطفهم نحو الشعوب التي يكتبون عنها وأخيراً أن العمالقة في نظر اليهود أقدم من القحطانيين والعدنانيين سواء بسواء (2)

---

(1) جرجس زيدان : المرجع السابق ، صـ 42 – 43

(2) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 346 ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ، صـ 313 ، ألويس موسيل : شمال الحجاز ، صـ 33 – 34 ،
محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ، صـ 178 - 183

الفصل السادس

ممالك جنوب شبه الجزيرة العربية

أولاً : دولة سبأ

لقد توافرت لدولة سبأ بين المؤرخين القدماء والمحدثين شهرة لم تتوافرلغيرها من بقية الدول العربية الجنوبية القديمة . وترجع عوامل هذه الشهرة إلى عدة أسباب أهمها : ذكر سبأ في أكثر من قصة من قصص العهد القديم ، وفي أكثر من آيه من آيات القرآن الكريم ، وذكر أسماء بعض حكامها صراحة في النصوص المسمارية العراقية منذ القرن الثامن من قبل الميلاد ، واستمرار كيانها السياسي المتطور إلى ماقبل ظهور الإسلام بقليل ، وارتباطها بعدة حوادث دينيه وسياسية تأثر بها العرب الشماليون والجنوبيون قبيل ظهور الأسلام بقليل أيضاً ثم بقاء بعض معابدها ومنشآتها الكبرى ظاهرة فوق سطح الأرض خلال العصور الأسلامية نفسها وحتى الآن (1)

السبأيون والأراء التي دارت حول موطنهم الأصلي :

لقد تناول بعض المستشرقين نشأة السبأيين ، ويمكن إيجاز آرائهم في نظريتين رئيسيتين ، وهما أولاً : نظرية زكاها عدد من الباحثين (مثل شرادر وهارتمان وهومل ، ورأوا منها أن السبأيين عاشوا أصلاً في شمال شبه الجزيرة العربية قرب منطقة الجوف الشمالي واستمروا فيها على البداوة زمناً طويلاً ، ثم دفعتهم دوافع معينة إلى الإتجاه نحو جنوب شبه الجزيرة العربية قبيل بداية القرن الثامن قبل الميلاد . ثانيا: نظرية أشار إليها باحثون أخرون (منهم مولروجلاسر وفنكلر وماير) ، ويرون منها أن السبأيين عاشوا منذ بداية أمرهم في الجنوب العربي ، ولكن جالية منهم اتجهت خلال القرن الثامن قبل الميلاد أو قبله بقليل إلى الشمال وأقامت قرب واحة تيماء ومنطقة الجوف الشمالي لترعى المصالح التجارية لقومها في شمال شبة الجزيرة العربيه وعلى طرق القوافل المتجهة منها الى الهلال الخصيب ، ومع منطقية كل من هاتين النظريتين ، يبدو ان النظريه الثانية منها هي الاقرب الى الصواب لاسميا فيما يختص بأحوال السبأيين في عصورهم التاريخية (1) .

---

(1)- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 44

(2)- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 44 – 45 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـــ 265 – 266 ، جواد علي : المرجع السابق ، جـ2 ، صـــ 260 ،

Hommel, F., Geographie und Geschichte des Alten Orients,I,P.142.

مراحل التاريخ السبأي :

امكن بفضل النقوش السبأية تقسيم عصر دولة سبأ الى عدة مراحل وذلك على اساس تغير لقب حكام سبأ ، حيث تغير هذا اللقب عدة مرات ، و فى كل مره كان تتغير فيها كان يحدث تغير فى نظام الحكام ، و تدخل سبأ فى عهد جديد يختلف عنوانه عن العهد السابق ، و لقد امكن تحديد مراحل اربعة رئيسيه مرت بها سبأ ، و هذه المراحل هى :

1- مرحلة المكاربة :

أو هى مرحلة كان يتقلب فيها حاكم سبأ بلقب مكرب اى المقرب من الالهة ، او الوسيط بين الالهة و الناس ، و قد اتخذ المكاربة من صرواح عاصمة لهم ثم نقلوها الى مأرب ، ويمتد عصر المكاربة من عام 800- 650 ق.م (1) .

2 - مرحلة ملوك سبأ :

و هى المرحلة التى تلقب فيها حكام سبأ بلقب " ملك سبأ " و تمتد هذه المرحلة حتى عام 115 ق.م او 109 ق.م

3 - مرحلة ملوك سبأ وزى ريدان (115- 300 م)

4- مرحلة ملوك سبأ وزى ريدان و حضرموت و اليمن و أعرابها فى المرتفعات و فى التهائم . و هو آخر دور من أدوار الحكم فى سبأ (300 – 525 م) (2)

1- **سبأ فى عهد المكاربه (عهود المكربين)** فى سبأ اصطبغت سلطة أوائل حكام دولة سبأ بصبغة ثيوقراطية او دينية فتلقب كل منهم بلقب " مكرب " بمعنى المقرب للمعبودات . اى من يشرف على توفير القرابين و تقديمها الى معابدهم . او بمعنى المقرب بين شعبة و بين معبوداته باعتباره وسيطا مقدسا بينهما ، او بمعنى المقرب الى اربابه . فهو الذى يتولى رياسة الكهنوت فى دولته و يضمن لحاملة حكمة بقداسة روحية تكفل احترام الناس له و تدعوهم الى تأييده . وقد توافرت لهذه الصبغة الدينية سوابقها فى امم شرقية قديمة ، فتلقب اوائل الحكام السومريين فى العراق على سبيل المثال بلقب " إنسى " اى النائب او الوكيل ، إشارة الى و كالته عن معبود مدينته فى حكم اهلها ، و اشارة الى القداسة التى يعتمد عليها فى ممارسة سلطاته الدينية و المدنية . و نجد نفس الامر فى دول عربية جنوبية عاصرت السبأيين فى بعض مراحل تاريخهم . و كان منها ان تلقب اوائل الحكام فى دولة معين بلقب " مزود " . (3) و فيما يتصل بالتحديد الزمنى لحكم المكاربة فهناك عدة آراء تدور حول هذا الأمر ، فهناك من يرى ان بداية حكم المكاربة ترجع الى القرن العاشر او التاسع قبل الميلاد . بينما هناك رأى ثان يرى ان بداية حكمها كان فى بداية عام 800 ق.م و استمر عهدهم لمدة قرنين و نصف اى حتى عام 650 ق.م ، بينما رأى فريق ثالث أن مدة حكم المكاربة قد استمرت ثلاثة قرون وذلك من حوالى 750 ق.م و حتى 450 ق.م (4) و قد قام جدل تاريخى مماثل حول اعداد المكربين الذين أتوا بعد الحاكم " يثع أمر " و سبقوا عهود الملكية الصريحة فى سبأ . فقد تروا حت النظريات فى تقدير عددهم بين 10 ، 13 ، 17 ، 27 ، و سبب هذا الاختلاف فى إعدادهم يرجع الى ان كتابة السبأيين و غيرهم من كتبة الدول الجنوبية لم يسجلوا الاحداث بتاريخ ثابت الا فى عهود متأخرة ، و لم يلتزموا بتسجيل سنوات عهود حكامهم الا فى عهود متأخرة ايضا ، و فى حالات قليلة . و لم يتركوا قوائم ترتب اسماء حكامهم و مدد حكمهم واحدا بعد الاخر ، و ترتب على ذلك انه لم يعد فى الامكان معرفة تتابع حاكمين الا اذا اذكر نص
صريح أن أحدهما أكمل عمل الاخر (5)

1- جواد على : المرجع السابق ، صـــ 269
2- سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،صــــ 189
3- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 54
4- احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ121
5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 55

و لقد تباين اراء المؤرخين حول أعداد المكاربة و تتابعهم ، و من اشهر هؤلاء المكاربة "سمه علي ، يدع ايل ذريح ، يثع أمر وتر ، يدع ايل بين ، كرب ايل بين ، يثع أمر وتر ، نمر علي وتر ، يثع امر بين ، نمر علي ينف ، كرب ايل وتر (1) .

سياسية سبأ الداخلية في عهد المكاربة :

1- بناء المعابد :

لقد اهتم مكاربة دولة سبأ ببناء معابد الالهة و تقديم القرابين لها ، و تشيد نقوش المكاربة الاوائل الى تشييدهم لمعابد الالهة (2) و منها ما يلي : معبد في صرواح و أخر في صرواح لرحب (لو حجر لرحب) ، و ثالث في لولم ، ورابع في المساجد و كان هناك دون شك ما هو اكثر منها لولا انه لم يكشف عنه بعد . انشيء معبد العاصمة صرواح الكبير لمعبود دولتها الاكبر الذي اطلق علية اسم " إلمقه " ربما بمعنى المقتدر او الامر او الاله البهي او الجميل . و قد دل لفظ " إل " او ايل " عند العرب الجنوبيين و عند شعوب سامية قديمة اخرى في العراق و الشام على معنى الاله . كما استخدم بنفس المعنى في اللغة العربية الشمالية ايضا في مثل اسماء : اسماعيل و جبرائيل و ميكائيل و اسرائيل . و تأكيداً لقداسة اصلهم تلقب حكام سبأ بلقب " ولد إلمقه " اى ابناؤه ، و قد خص السبأيون معبودهم الاكبر هذا بربوبية القمر و اعتبره " سيد وعول صرواح " بما يعني تعدد المعبودات فيها الى جانبة ورئاسته لهم ، وقدسوا معه في معبد العاصمة ربة باسم " حريمت " ربما كزوجة له ، و هي ترمز في اغلب الظن الى ربوبية الشمس . و لقد توافرت للقمر عندهم و عند بقية عرب شبة الجزيرة العربية قبل الاسلام منزلة اكبر من منزلة الشمس ، على عكس شعوب الهلال الخصيب الزراعية ، ربما لانتفاع اهل شبة الجزيرة العربية بالقمر في مسرى القوافل و توقيت الشهور ، مع شدة هجير الشمس ، و قوتها لاسيما في البيئات الصحراوية (3) و قد تألفت العناصر المعمارية الظاهرة في هذا المعبد من جزئين رئيسيين . احدهما مستطيل واسع و الاخر يتصل به و يبدو على هيئة البيضاوي الناقص . و قد تضمن نقوش هذا المعبد اسم المكرب يدع ايل ذريح و قد ذكر ان هذا المكرب قد سور معبد المقه و قدم ذبائح لربته حريمت . و قد تضمنت نقوش هذا المعبد اسماء عدة مكربيين و ملوك سبأيين اخرين . و انشيء معبد " معرب " في قرية المساجد ببلاد مراد ، على بعد 27 كم من مأرب الحالية ، و ذلك من اجل إلمقة أيضاً ، و قد اتم نفس المكرب يدع ايل ذريح عمارة هذا المعبد في مناسبتين تحدثت عنهما نصوصه . مناسبة قام فيها تنظيمات اجتماعية ، و اخرى احرز فيها انتصارات حربية . كما شيد المكاربه معبداً ثالثاً في بلدة صرواح لرحب (لو حجر لرحب) من اجل عبادة الاله " عثتر " الذي اعتبره العرب الجنوبيين رباً لنجم الشعرى وولداً لرب القمر و الشمس و قد بني هذا المعبد بتخطيط بسيط و لكنه تكيز بتعدد مشكلواته و ادخال عنصر الزخرفة على اجزائه المعمارية لاسيما الاعمدة . و قد تكرر ذكر اسم المكرب " يدع ايل ذريح " ضمن نصوص معبد اخر يقع الى جنوب شرقي مأرب الحالية بنحو اربعة كيلو مترات ، و هو معبد اطلق السبأيون علية اسم معبدا لو إم اى معبدها و خصصوه لالمقه بعل لوام اى سيدها . وقد اطلق المسلمون على المعبد تجاوزاً او خطأ اسم محرم بلقيس (4)

1- احمدامين سليم : المرجع السابق ، صـــ 122

2- احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 122

3- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 57

4- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 56 - 60 ، احمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم ، القاهرة ، 1963 ، صـــ 184 - 187 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ123- 124

2- تشييد السدود :

اهتم مكاربة سبأ بالاصلاحات الزراعية ، فعملوا على استصلاح الارض و استغلالها و من اجل ذلك و جهوا اهتمامهم لبناء السدود لحجز المياه للاستفاده منها فى اعمال الزراعه ، و اقام العرب السدود لقلة المياه فى بلادهم فلم يدعوا واديا يمكن استثمار جانبيه بالماء الا و حجز وسيلة بسد ، فتكاثرت السدود بتكاثر الاودية ، فلقد ذكر الهمدانى وحدة ثمانين سداً و كانوا يسمون كل سد باسم خاص به ، او بنسبة الى البلد التى بنى فيها . و من اعظم هذه السدود فى بلاد العرب و اشهرها "سد مأرب" (1) و من اقدم النقوش التى وصلتنا عن سد مأرب نقش من عهد المكرب "سمه على ينف " وقد اشار فيه تصمية لسد رحاب للسيطره على مياه الامطار و الاستفاده من السيول ، و هو جزء من مشروع سد مارب . و تشير نقوش " سمه على ينف " و هى اقدم كتابات تصلنا عن سد مأرب الى قيامة بأعمال هامه فيه ، الا انه لايمكن القول بأنه هو مشيده ، فقد يكون تشييده قد بدأ من قبل حكمة و انه اتم هذا العمل ، و لكن نظراً للنقص الشديد فى الوثائق المتصلة بهذا الموضوع يظل المكرب " سمه على ينف " هو اقدام المكاربة الذين تعرف عنهم قيامهم بتشييد سد مأرب ، و كان فى اواسط القرن الثامن قبل الميلاد ، ولقد سار على نهجه من جاء بعده من المكاربة فى الاهتمام بسد مارب و تعلية جدرانه و استحداث اضافات جديده . و يعتبر سد مأرب اعظم عمل هندسى قديم فى شبه الجزيرة كلها ولقد حظى بكثرة ماورد عنه فى اخبار العرب و اشعارهم وذلك على سبيل العظة و العبرة لما اصاب سبأ نتيجة انهيار . ولقد اشار القرآن الكريم فى سورة سبأ الى ما اصاب سبأ نتيجة حدوث سيل العرم (2) و سيل العرم الذى يشير اليه القرآن الكريم ، و الذى كتب فيه المفسرون كثيراً ، و كان سبباً فى خراب المنطقة حدث فى وقت ما بين اعوام 543 ، 570 م اى قبيل مولد الرسول صلى الله عليه و سلم . ولعل من اوثق روايات العرب عن سد مأرب ما ذكره ابى محمد ابن الحسن ابن يعقوب الهمدانى فى كتابة الاكليل ، و كان قد شاهد أنقاضه بنفسة فى أوئل القرن الرابع للهجرة (3) و فيما يتصل بوقت تهدمه (4) فيلاحظ ان السد لم يتهدم مرة واحدة و انما صارع عوامل الزمن ، و اهمال الانسان طيلة الفترة التى كان قائماً فيها ، ولاريب فى انه تأثر بتلك الاحوال الاقتصادية و السياسية التى شهدتها اليمن قديما ، و تعرض الاهمال و الكوارث الطبيعية مراراً . و من النقوش التى سجلت تهدم السد و القيام بترميمه ، نقش عثر علية فى مأرب و يعرف باسم " جام 671 " و يرجع الى اواسط القرن الرابع الميلادى . و قد تهدم سد مأرب فى عهد ابرهة الذى حكم اليمن بعد الغزو الحبشى ، و كان ذلك حوالى 543 م و قد عمل فى اصلاح هذا السد انذاك عددا كبيراً من العمال و صرف على ترميمه اموال طائله ، و قد استغرق العمل فيه 58 يوماً و 11 شهراً و كان قد انتهى العمل من ترميمه فى شهر ذو معان سنة 658 و هذه السنه فى حساب الحميريين تعدل عام 542 م ، لأنهم كانوا يبدأون تاريخهم سنة 115 ق.م . و قد اقام حفلاً كبيراً بمناسبة انتهاء العمل فى اصلاح السد ، حضره وفد من الحبشة و وفد من فارس ووفد من بيزنطة ووفدان من الحيرة و غسان (5) . أمّا متى تفجر سد مأرب للمرة الاخيرة ، و هى الحادثة التى ذكرها القرآن الكريم ، فلا يعلم زمانها بدقة و ان كان جمهور العلماء يرى ان تلك الحادثة لابد و ان تكون قد تمت بعد منتصف القرن السادس الميلادى اى بعد عام 550 م ، وذلك قبل ميلاد الرسول محمد صلوات الله و سلامه عليه ، بسنوات قليلة (6) ولقد اقام السبأيون سدوداً أخرى محلية فى عهود متفرقة فى المناطق التى تصلها مياه السيول بعيداً من منطقة مأرب و منها سد يعرف باسم مبنى الحشرج لتنظيم مياه وادى السيلة . ولم تغن السدود السبأيين عن دعوات الاستسقاء و طلب رحمة السماء من حين الى أخر ، و تختلف من نصوصهم القديمة التى وجهوها الى معبوداتهم نص من عصر المكربيين لرجل قدم هداياه و اضاحيه الى معبوده عثتر ذبيان.

1- احمد فخرى : المرجع السابق ، صـــ 178 - 203 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 124 - 125

2- سورة سبأ الايات 15 - 18

3- الهمدانى . الاكليل ، الجزء الثامن

4- مصطفى العبادى : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بيروت 1984 ، صـــ 99 - 101

5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 65

6- احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 130

3- بناء المدن :

اتخذ مكاربة سبأ من صرواح عاصمة لهم فى بدىء الامر ، و ظلت فترة طويلة عاصمة لهم ، وقداهتم حكام سبأ بناء المعابد فيها . و قد توافرت لها بعض المقومات الضرورية للعواصم السياسية ، فقد نشأت فى وادى خصب شبة دائرى كفل لها كل مطالبها الزراعية و بعض مواردها الاقتصادية . و احاطت بها بعض المرتفعات فكلفت لها الحصانة الطبيعية . و توسط موقع صرواح بين مدينتي مارب وصنعاء و تقوم على اطلالها الان كل من قرية القصر و قرية الخربة ، و يظهر على سطح الارض من عمائرها القديمة اطلال قليلة ، بينما بقيت اغلب اثارها تغطيها الانقاض حتى الان (1)

سياسية سبأ الخارجية فى عصر المكاربة :

تشير العديد من النقوش السبأية الى الاهتمام بمدينة نشق و تحصينها (2) و هى مدينة معينية الاصل ، كانت مهمة بالنسبة لهم ، فقرروا اصلاح ما تخرب منها ، و استصلاح ارضها لاسكان السبأيين فيها ، ووسعوا حدودها ، و اصلحوا نظم الرى فيها وزرعوا ارضيها الزراعية ، وحولها بذلك الى مدينة سبأية ، و من هذه النقوش التى تشير الى اهتمام مكاربة سبأ بمدينة نشق ، نقش خاص بالمكرب " كرب ايل بين " ، و تشير فيه الى انه وضع حدود مدينة نشق و حصن المدينة ، و اشار ابنه المكرب " زمر على وتر " الى انه امر بتوسيع نشق و اصلاح الارضى المحيطه بها ، و بتحسين نظم الرى فيها ، و انه قد جعل ذلك وقفا على شعب سبأ . و يشير الى توسع السبأيين ايضاً نقش يرجع الى عهد المكرب " يثع امر بين " و فيه يذكر انه سور وحصن قلعة " حريب " و هما من مدن قتبان ، و يشير ذلك الى توسع السبأيين فى عهد المكاربة و الى اتخاذهم هذه الحصون مواقع هجومية تذهب فيها جيوشهم على جيرانهم الذين اصابت حكوماتهم الضعف . ولقد ورد فى نقش خاص بالملك سرجون الثانى (722 – 705 ق.م) انه تسلم هدايا من عدد من الملوك من بينهم " يثع امر " السبأى ، و ذهب بعض الباحثين الى الاعتقاد بأن " يثع امر " هذا كان احدا الملوك السبائيين الحاكمين فى شمال جزيرة العرب على مقربة من البادية فى اعالى الحجاز . ويبدو ان هذه الهدايا كانت مجرد تعبير عن الصداقة التى كانت تربط بين اشور و سبأ ، خاصته و ان بين اليمن و العراق تجارة مستمره قديمة ، ومواصلات متصلة فلتوطين الصداقة بين الحكومتين و تسهيل التبادل التجارى بين العراق و اليمن ارسل حكام سبأ تلك الهدايا لكسب ود و تسهيل امور تجارتهم فى اسواق العراق (3) .

عصر ملوك سبأ (عصر الملكية السبأية)

يبدأ عصر ملوك سبأ بالملك " كرب ايل وتر " الذى كان مكرباً ثم لقب بلقب " ملك " كما تشير الى ذلك النصوص التى ترجع الى عهده ، و من اهمها نقش صرواح المنقوش على جدار مشيد من المرمر فى بهو المعبد الرئيسى فى صرواح ، وقد استهل هذا النقش بالجملة التالية " هذا ما امر بكتابة كرب ايل وتر بن ذمر على مكرب سبأ عندما صار ملكاً " و يشير استخدام حكام سبأ للقب ملك الى زيادة صفتهم السياسية عن صفتهم الدينية ، و قد انتقلت العاصمة من صرواح الى مأرب العاصمة الجديدة حيث استقرا الملوك فيها متخذين من قصر سلحين مستقرا لهم . و فيما يتصل بالتحديد الزمنى لعصر ملوك سبأ ، فهناك من المؤرخين من يجعل بدايتة حوالى 650 ق.م ، بينما يرجعه اخرون الى حوالى عام 450 ق.م (4) ، فى حين يبدأ اصحاب التاريخ المختصر عهود الملكية السياسية بحوالى عام 410 ق.م (5)

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 55 – 56 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صــ 130 ، احمد فخرى : احدث الاكتشافات الاثرية الحديثة فى اليمن ، صــ 159 – 162

2- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 67

3- احمد سليم : المرجع السابق ، صــ 131 - 132

4- احمد سليم : المرجع السابق ، صــ 132 ، جواد على : المرجع السابق ، صــ 347 352 ، فرينتز هومل : تاريخ العرب القديم ، صــ 87

5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 69

اما عن تحديد نهاية عهود الملكية السبأية فيتجة غالبية العلماء الى تحديدها بحوالى 115 ق.م او 109 ق.م وقد اختلف المؤرخون فى عدد ملوك سبأ ، فنكر " هومل " فى قائمتة تسعة عشر ملكا ، ونكر " كليمان هوار " اثنتا عشر ملكا ، و اورد " فلبى " اسماء خمس و عشرين ملكا ، و من بين هؤلاء الملوك على سبيل المثال ما يلى : سمه على ذريح ، كرب ايل وتر ، يثع امر بيز ، كرب ايل وتر ، سمه على ينف ، ذمر على بين بن ، سمه على ينف ، يدع ايل وتر ، كرب ايل وتر بن ذمر على بين ، ناصر يهلعم ، و هب ايل يحز ، كرب ايل وتر يهنعم

سياسية سبأ الداخلية فى عصر الملكية السبأية :

الاهتمام بالنواحى الاقتصادية :

اهتم ملوك سبأ باقامة السدود و حصر السيول و شق القنوات لاستصلاح الاراضى الصالحة للزراعة و تنظيم وسائل الرى ، و فى ذلك يشير اول ملوك شبأ و هو " كرب ايل وتر " فى نقش النصر الى شكره لالهته وثنائه عليها لمباركتها ارضه و ارض شعبه ، ووهبت ارض سبأ مطراً سال من الاودية فأخذت الارض زخرفها بالنبات ، و اذ مكنته من انشاء السدود و حصر السيول حتى صار فى الامكان اسقاء الاراضى المرتفعه ، و احياء الاراضى التى حرمت من اعاده وكذلك احياء اراضى واسعة بانشاء سد لحصر مياه الامطار يتصل بقناة روت اراضى لم تكن المياه تصل اليها فوصلت اليها بامتلاء حوض السد بالماء ، كما نظم الرى حتى صارت المياه تسقى كل ارض . كما اشار " كرب ايل وتر " فى نقش اخر يعرف باسم " Glaser 1ooo B " الى اقامته لخزان ماء فى وادى اذنه ، كما يشير فى نفس النقش الى تعميره لاراضى زراعية ، فى ارض يسران و غرسه لنباتات فيها (1) وورد نقش من عهد الملك " كرب ايلوتر " سجله احد كبراء القبائل بمناسبة قيامه باعمال زرعيه وبامور تتعلق بري الارض قبل حفر الابار وبناء السدود . وقد ورد في هذا النقش اسماء الاماكن التي اجريت فيها هذه الاعمال وهي " اثين " و " مطران " و " ماتم " و " نوفنوتم " و " سمطانهان " وهي من مزارع الملك . وقد ورد ذكر اسم الملك "كرب ايل وتر " في نص دونه اناس من بني عنكلان حمداً وشكراً للالـه المقة الذي انعم عليه وحباهم بنعمه ، واعطاهم حصاداً جيداً و غلة وفيرة . كما جاء اسم هذا الملك في نص اخر معروف بـ " jamme 464 " دون فيه تقديمه تمثالا لالمقة حمداً وشكراً علي انعامه عليه نتيجة المحصول الوفير ، ثم يحدد النقش العديد من الالهة السبأية (2)

2-النواحي المعماريه :

أ- العمارة الدينية :

اهتم ملوك سبأ باقامة معابد الالهة وترميمها وتقديم القرابين اليها ، ومن بين النقوش التي وصلتنا وتشير الي اهتمام الملوك بترميم المعابد وزيادتها نقش يعرف بـ " CIH374 " (3) وورد فية " ان الشرح ابن سمه علي ذريح" قد اقام جدار معبد المقة ورمم ابراج هذا المعبد ، وحفر الخندق ، ووفي بجميع نزرة الذي نزره لالهة المقة . وشكر بقية الهة سبأ وهي: عثتر و هبس و ذات حميم و ذات بعدن وتمجيدا لاسم والده "سمه علي ينف " انه امر بتدوين هذه الكتابة ليطلع عليها الناس .

ب- العمار المدنية :

اشار اول ملوك سبأ "كرب ايل وتر " في نقش النصر الذي يرجع الي عهده الي بعض ما قام به من من اعمال عمرانية ، فقد ذكر انه اتم بناء الطابق الاعلي من قصرسلحين ابتداء من الاعمدة والطابق الاسفل الي اعلي القصر . وفيما يتصل بعاصمة سبأ في عهد الملوك فقد كانت مأرب ، وكان يحيط بها سور قوي عظيم حصين له برج وشيد السور بحجر البلق كما ورد في النقش المعروف بـ "Glaser418/419" وقد اقيم السور علي اساس قوي من الحجر ، وكان يوجد بالسور بابين

1- جواد علي : المرجع السابق ، صـــ 287 - 288 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 133 134

2- جرجي زيدان : المرجع السابق ، صـ 187-188 احمد سليم : المرجع السابق صـ 134

3 - Philby.J.B.the Backgroud of Islam. Alexandria.1947 P 142

من اشهر ابنية مارب قصر ملوكها وهو المعروف باسم " قصر سلحين" ومعبدها الكبير الخاص بالاله المقة ، وفي الناحية الشمالية والغربية من المدينة وفي خارج اسورها توجد بقايا مقبرة ، يبدوا انها كانت مقبرة مارب قبل الاسلام(1)

جـ - السياسة الخارجية :

استمر " كرب ايل وتر الثاني اول ملوك سبأ المكاربة الخارجيه وذك فيما يتصل بسياسة التوسع والقضاء علي الحكومات العربية الجنوبية الاخري ، او لخضاعها لحكم سبأ ، وقد سجل في نقشه المعروف بإسم نقش النصر ما قام به من اعمال حربية ونتائج هذه الحروب ونستطيع من دراستنا للاعمال العسكرية في هذا النص معرفة الاتساع الذي بلغته سبأ في عهده وما غنمه في هذه الحروب ومالوقعه بأعدائه . ولقد اطال في ذكر البلاد التي فتحها ودمرها ، ويذكر انه في حربه ضد اوسان قتل 16,000من اعدائه واسر 40,000 ويقول انه استمر في فتوحاته حتي وصل الي البحر ، ودانت اوسان وملكها "مارتو" لسلطانه وبعد ان تم لخضاع الجنوب اتجه ببصره نحو مدن المعينيين فأخضعها واحدة بعد أخرى ، وقبل ملوكها دفع الجزيه له ويشير في اخر النقش حملته علي نجران .ولقدكانت حروب هذا الملك فاتحه عهد جديد في تاريخ اليمن القديم واصبح ملك سبأ وملكاعلي اليمن باكملها بما في ذلك حضر موت ونجران واستمر ذلك الوضع الكبير لسبأ لمدة عدة قرون (2) ومنذعهد الملك " يثع امر بين " دخلت سبأ في صراع مع قتبان ، ومما يشير الي ذلك نقش سجله كاهن الالهة " ذات غضران " بمناسبة اقامته هو وافراد اسرته جدارا في معبد الاله المقة وشكرهم لالهة سبأ لانها انعمت عليه اذا كان قائداعسكريا بالتوفيق في عقد صلح بين حكومة سبأ وحكومة قتبان وذلك بعد حروب ضارية استمرت لمدة خمس سنوات ، كانت قتبان هي التي اشعلت نارها بهجومها علي ارض سبأ ، وقد عهد الي هذا الكاهن والقائد العسكري بمحاربة القتبانيين والدفاع عن المملكة ، فاستطاع وقف الهجوم القتبانيو إجلائهم وانتهي الامر بعقد صلح معهم وتمكن السبأيون من استعادة ارضيهم التي احتلتها القتبانيون(3) ولم تنته جولات الحروب بين سبأ وقتبان عند ذلك ، فهناك العديد من الاشارات الي وقوع حروب بينهم بعد ذلك . ويستدل من النص المعروف بـ " Glaser1228 " ان " وهب ايل يحز " قد دخل في صراع حربي مع الريدانيين ، وقد ساعد السبأيين في الحروب بعض القبائل ومنها :مخطران و سخيم ، وزوخولان ، وبنوتبع ، بينما انضم الي الريدانيين سعد شمس ، ومرثد . ويشير نص اخر الي هذه الحروب مع الريدانيين ، ويعرف بـ " Jamme561Bis" وقد سجله بعض اقيال همدان وذلك عند تقديمهم تمثالا الي الاله المقة . ويتبين من هذا النقش ان هؤلاء الأقيال من قبيلة همدان كانوا في خدمة ملك سبأ ، وانهم قد اشتركوا مع ملك سبأ "وهب يل يخر" في تكبيد بني ريدان خسائر فادحة في الحروب التي نشبت بينهم ، كما يتبين من النقوش كذلك ان ارض همدان قد تعرضت قد تعرضت لغارات الاعراب ، وقد نجحوا في تاديبهم . وقد وردت اولي الاشارات عن الاعراب وغاراتهم علي السبأ يين وقوافلهم من عهد الملك " نشا كرب يهنعم " ، ويتضح من النص ان اعراب البادية كانوا قد اغاروا علي جماعة من السبأيين ، وانهم هاجموا ارض سبأ فأرسل الملك السبأي"كرب يهنعم"قوة من الجيش ومن الاهالي للاغارة عليهم (4)

3- دولة سبأ وذوي ريدان :

اتخذملوك سبأفي هذا العهد لقب جديد وهو " ملوك سبأ وذي ريدان" و ذلك اشارة الي ضم الريدانيين الي جانب دولة سبأ مما قد يرجع ان ذلك يعني تحالفا بين سبأ وقبائلها وكيان ذي ريدان وحمير . وقداختلف المؤرخون حول بداية هذا العهد ، فيتجه اغلب العلماء الا ان ذلك كان في حوالي عام 118او115او109ق.م الا ان البعض يتجه الي الاعتقاد بان ذلك اللقب لم يظهر الا في أواخر القرن الاول قبل الميلاد (5) وتتميز هذه المرحله من الناحية الداخلية بالاضطراب وعدم الاستقرار وكثرة الحروب الداخلية ،

---

1 - محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 296-298 احمد سليم:صـ135

2- جواد علي : المرجع السابق ، صـ 287-299 , احمد سليم : امرجع السابق ، صـ136 - 137

3- Bowen, G.A.,&Albright,f.,Archaeologial Discoveries in souabia,Balitmore,1958,p

4- احمد سليم : المرجع السابق صـ 126-129

5- جواد علي : المرجع السابق ، صـ 416 ، احمد سليم : الملرجع السابق ، صـ 139

وادي ذلك الي تهدم المدن وتخريب القري وعدم الاهتمام بوسائل الري مما حول الكثير من الاراضي الزراعية الي صحاري مجدبه . وتوجد من هذا العصر الكثير من النصوص التي يتوسل فيها الاهالي الي الآلهة بان تمن عليهم بنعمة الطمأنينة والهدوء والاستقرار . وكان من نتائج هذه الحروب انتشار الاوبئة والامراض . ولول ملوك هذا العصر هو " الشرح يحصب " وتشير النقوش المتبقية من عهده انة كان مقاتلا خاض العديد من الحروب وينسب الي " الشرح يحصب " تشييد قصر عمدان في صفاء ، وقد يشير ذلك الي اقامته في القصرين وحكم منهما ، وقدلمع اسم "صنعوا " اي صنعاء في ايام" الشرح يحصب"وهي لابدان تكون بنيت قبل عهده ، وكانت لتشييده قصره فيها اثرا في زيادة مكانتها حتي صارت عاصمة اليمن ومقر الحكام ومن الناحيه الخارجية ، فلقد تعرضت سبأ خلال هذا العهد للحملة الرومانية التي قادها " اليوس جالليوس" حاكم مصر الرومانية عام 24 ق . م ، وذلك بهدف الاستيلاء علي اليمن للسيطرة علي طرق التجارة التي كان يحتكرها السبأيون ، فقد تمكنت بحكم موقعها من التحكم في نقل السلع الاتية من الهند و افريقية الشرقية الي الشمال وذلك بتصدير ما تنتجة بلاد الجنوب العربي من محاصيل الى الشمال وقد مثلت هذة التجارة والطرق التجارية مصدر ثروة اليمن(1) وقد اعتمد"ألوس جاليوس"فى حملتة على مساعدة الا نباط لة الاان الحمله فشلت لم تحقق اغراضها،اذ تعرضت للامراض و الاوبئه وكان لفشل الحمله اثرفى عزوف الرومان عن السيطرة عن بلاد العرب بطريقه القوة . واقتصروا على محاولة السيطرةعلى التجاره البريه وتدعيم مصالحهم التجاريه عن طريق تحسين علاقاتهم السياسيه بالدوله العربيه والامارات في الجنوب العربي (2)

دولة سبأ وذوي ريدان وحضر موت ويمنات :

يبدأ هذا العهد من حوالي 300ويستمر حتي 525، ويشير تلقب الملوك بهذا اللقب وهو " ملك سبأ وذي ريدان وحضر موت ويمنات" علي ان دولة سبأ وذي ريدان اصبحت تضم اليها حضر موت وكذلك يمنات ، وهي في راي غالبية العلماء تشمل المنطقة الجنوبية الغربية من بلاد العرب ، من باب المندب وحتي حضر موت .

ولول ملوك هذه الدولة هو " شمر يهر عش " ولقد نسب اليه الكثير من الفتوحات ، حتي قيل انة وصل الي الصين واخضع فارس وخرسان والشام ومصر ، وفي هذا شيء من المبالغة حيث لا يوجد الادلة النصيه او الاثرية علي ذلك ، ولكن يبدو انه قام بالعديد من الفتوحات في جنوب بلاد العرب ، مما دعا الاخباريين العرب الي المبالغة في فتوحاتة . وبعد وفاة هذا الملك تمك الاحباش من احتلال اليمن 340م ، واخذ نجاشي الحبشة بلقب " ملك اكسوم و حمير و ذو ريدان و الحبشة و سبأ وصلح وتهامه و البيجاء و كسو "، وربما كان هذا الأحتلال الحبشي لليمن راجعاً الي عوامل اقتصادية، وذلك لحماية التجارة الحبشيه كرد فعل للغزو الذي قام بة ملوك حمير للسواحل الشرقية للحبشة(3) ونظراً لحدوث بعض الثورات في المناطق الافريقية لملك الحبشة وانشغال الاحباش بالقضاء علي هذه الثورات ، فقد انتهز اليمنيون الفرصة وطردوا الاحباش من اليمن وذلك فيما بين عامي 370، 378 م وادت هذه الاوضاع المضطربة الي توقف التجارة العالمية التي اشتهر بها عرب الجنوب وكان مصدر ثرائهم وازدهارهم ورخائهم ، ويضاف الي ذلك تصدع سد مارب .

وفي عام 575م تمكن الفرس من احتلال اليمن ، وظلت اليمن خاضعة لهم حتي ظهور الفتوحات الاسلامية الكبري في القرن السابع الميلادي التي انهت دولتهم . (4)

1- جواد علي : المرجع السابق ، صـ 420، احمد سليم ، المرجع السابق ، صـ 140-141

2- Strabo, xvi , 23,24

3- سعد زغلول : المرجع السابق صـ 196

4- جواد علي : المرجع السابق ، صـ 530 وما بعدها

ثانياً : دولة قتبان

أ-التكوين السياسي ونظام الحكم في دولة قتبان

قامت دولة قتبان الى الجنوب من دولة سبأ ،وتضمنت وادى بيحان ووادى حريب وما يشغل جزامن اليمن وجزءامن عدن الحاليين ،وقد عاصر كيانها السياسى فى بعض عصورها بقية الدول العربية الجنوبية سبأ وحضر موت ومعين وأوسان .

لقد تراوحت أراء الباحثين فى تعين بداية الكيان السياسى القتبانى بما بين منتصف القرن التاسع ق.م،وبين القرن السابع ق.م ،ولكن الوجود الاجتماعى والنشاط الاقتصادى لجماعات القتبانيين يرجع بداية التكوين القتبانى السياسى الى ما قبل ذلك بعدة قرون ،والدليل قيام التبادل التجارى بين الجنبتين القتبانيين وبين مصر القديمة فى عهد الملك تحوتمس الثالث خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ،وكذلك دراسة تتابع الفخار فى مستويات العمران فى هجر بن حميد حيث ارجعوا انواع الفخار فى اقدم مستويات هذة البلدة الى ما يدور حول القرن الحادى عشر والقرن العاشر ق.م.الى جانب ما افترضه البعض من ملاحظة مستويات اطلال المبانى فى المدن القتبانية احتمال بناء بعضها فى اواسط الالف الثانى ق.م.(1)

لقد بدأالحكم فى دولة قتبان بنفس الصيغة الثيوقراطية او الدينية التى بدأ بها فى بقية الدول العربية الجنوبية ،فقد تلقب اوائل حكامها الكبار منذ القرن السابع ق.م.بلقب ((مكرب))"(2) ،ومنذ نهاية القرن الخامس ق. م . او بداية القرن الرابع . ق.م غلب الحكام القتبانيون الصبغة المدنية والسياسية في حكمهم وتلقبوا بالقاب الملوك، وذلك عندما ازدادت سلطاتهم وتجاوزت حدود المعبد (3) كما انه ليس من المستبعد ان ذلك التحول من الحكم الديني الي المدني والسياسي قد ارتبط في حينه بنصر سياسي او حربي رفع من شأن الحاكم القتبناني في نظر نفسة ونظر شعبة وجعله لايقل مكانه عن ملوك سبأ الذين سبقوا في التحول الي نظام الملكية، لا سيما بعد ان خف الضغط الذي فرضتة هذه الدولة علي جيرانها في عهد ملكهاالداهية كرب ايل وتر الثاني (4) ذلك الملك الداهية الذي كان قد اقطع قتبان بعض الاراضي التي استولت جيوشة عليها من دولة اوسان مكافأة لها علي التزامها بموقف الحياد خلال حروبه ، وكانت هذه الاراضى الاوسانيه الاصل تطل علي ساحل البحر الاحمر وتنتفع من موارده التجارية ، ولهذا عملت قتبان علي تدعيم سلطانها علي اوسان . وعلي ايه حال فان التحول نحو الملكية في قتبان لم يمنع بعض الملوك من العودة الي التلقب بلقب مكرب بين الحين واخر تاكيدا لصبغتهم الدينية ولاسيما في اوقات الازمات . وقد تلقب به الملك "يدع اب ذبيان" في القرن الثاني ق.م ، وكذلك الملك "شهر يجل يهرجب " . واعتبر هؤلاء الملوك انفسهم ولد المعبود "عم" والابن البكر لكل من "انباي""وحوكم واستمر الحكم الملكي في دولة قتبان وراثيا يتولي العرش فية الابن بعد ابيه ، والاخ بعد ان تتقدم يشترك مع الملك الحكم في الحكم بعد ان يتقدم به السن كي ياخذ عنة خبرته ، ويؤيد حقه الوراثي في الحكم ، وعدم منافسه اخوته له فيه بعد موت ابيه . وحينذاك كانت تصدر المراسيم باسمى الحاكمين الشريكين معا (5) وفي ظل الملكية قام في قتبان مجلس للاعيان من شيوخ القبائل وكبار الموظفين اطلق عليه اسم (م س د)او (مسود) ،ووجد له شبية بنفس الاسم في دولة معين ، وقد جرت العادة ان يجتمع هذا المجلس في العاصمة "تمنع" بدعوة من الملك ، ربما لمرتين علي الاقل في كل عام ، للنظر فيما يعرض عليه من شئون الضرائب والمنشات العامة ، وللمداولة في امور الحرب والسلم ، ولاصدر العفو الكلي او الجزائي في القضايا الكبيرة وكان الملك يطلع علي قرارات المجلس فان اقرها صيغت علي هيئة مراسيم واعلنها باسم ،او وقعها معه رئيس مجلس المسود ، وربما وقعها كذلك في بعض الاحوال كبار رجال المجلس باسمائهم مشفوعة باسماء عشائرهم او قبائلهم ، فلقد توفرت لهذا المجلس القتبانى

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 71 72

2- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 72 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 104

3- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 72 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 104

4- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 73

5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 73 - 74

صفات متعددة : فهو مجلس ملكي يجتمع بامر الملك و ينفض بامره ، و هو مجلس استشاري يحق للملك ان يقبل اقتراحاته او يرفضها ، ثم هو في الوقت نفسه مجلس للدولة يضم كبار اعيان قبائلها و اقاليمهاويبحث في مصالحها،كما أنه مجلس تشريعي يصوغ القوانين بعد موافقة الملك عليها ثم يوقع رئيسه عليها وربما وقع اعضاؤه الكبار عليها كذلك بعد توقيع الملك عليها (1) و على الرغم من صدور المراسيم باسم الملك القتباني الحاكم الا انها لم تكن تؤرخ بسنوات حكمة ، و انما تؤرخ بعام رياسة رئيس مجلس مسود ، و يبدو انها كانت رياسة دورية يتعاقب عليها كبار اعضاء المجلس لفترات محدودة قد تقتصر على عام او عامين لكل منهم ، وقد تزيد عن العامين في احوال استثنائية يتجدد فيها اختيار الرئيس لكثر من مره لسبب او الاخر ، و كانت الاوامر تنقش على مدخل العاصمة " تمنع " احيانا و تنقش على نصب تقام في السوق الرئيسية و في المعابد . و من اهم ما تضمنته نقوش البوابة الجنوبية للعاصمة تمنع ، نقش لبقايا نص تشريعي صدر في عهد الملك " يدع اب ذبيان ابن شهر " في بداية القرن الثاني ق.م ، و فيه ما يقضي على القاتل القتباني بالحرمان من الحقوق المدنية او الدينية بحكم خروجه على القانون 2)

ب- النشاط السياسي لدولة قتبان :

لقد شهدت دولة قتبان اطوارا مختلفة من التوسع و من الانكماش في تاريخها الطويل ، و كيفت سياستها نحو جيرانها الاقربين . صداقة او عداء اوحيادا بما يتمشى مع قدراتها و امكاناتهم . فقد مر بنا في تتبع العلاقة بينهما و بين جارتها القوية سبأ ، كيف انها لزمت الحياد و الشماته ايام حروب كرب ايل وتر السبأي ضد معين ولوسان (قبل عام 130 ق.م) ، و كيف امنت بهذا على ارضها من اطماعه بل و حصلت منها على بعض اراضي اوسان القريبه من البحر الاحمر مكافاة لها على حيادها . غير ان تلاصق الحدود بين الدولتين الطموحتين سبأ و قتبان كان من شأنه ان يهيىء استمرار فرص التنافس و الاحتكاك و اشتعال الحرب بينهما . فقد ورد في نصين ذكر حربين بين سبأ و قتبان صعب تحديد توقيتهما ان كانتا سابقين على الايام الحياد في عهد كرب ايل وتر الثاني أم تاليتين لها، وترتيب اسبقية احدها على الأخرى . وقد تحدث عن هاتين الحربين قائد سبأ يدعى " تبع كرب "عن حرب بين الدولتين استمرت خمسة أعوام، وكانت قتبان فيما يبدو هي البادئة بها وانتهت الى ما يشبه الصلح او الهدنة الامر الذي دعا ملك سبأ ان يخصص اوقافا كثيرة لمعابد ارباب سبأ الكبار ، وذلك مما يعني ان يعتبر الصلح كسبا ينبغي شكر الارباب عليه، ويعني من ناحية اخرى ان الحرب بين الدولتين لم تنتهي الى نتيجة فاصلة وان اي دولة منهما لم تسطع القضاء على الاخرى. وقد تحدث قائد قتباني " زمر ملك" عن الحرب الاخرى وحكى عن مرحلة منها انه هزم عدة قبائل وعشائر واستولى على دنها ونخيلها وارضها ثم اعلن تقديمها الى المعبود " عم" والى اتباي والى ملكه" يدع أب يجل بن زمر عالي" ملك قتبان . وقد ارجع هذا النصر الى معبودي دولة قتبان والى الملك القتباني الذي كان يعتبر نفسه ولداً لهما وممثلاً لهما على وجه الارض. وقد زاد ذلك القائد عبارة في نصه تحدث فيها عن مرحلة حرب واسعة شنتها سبأ وإمارة رعنان وقيانها ضد قتبان. وبعد هذه الحروب التي لا يعرف شئ مؤكد عن نتائجها شقت قتبان طريقها وظلت تسيطر على اجزاء من المناطق الساحلية التي كانت تشغلها من قبل دولة اوسان والتي عاشت في بعض اجزائها قبائل حمير ذات الصلة والقرابة بالقبائل السبأية ، وقد تلونت هذه القبائل الحميرية حينذاك بالولاء القتباني واعتبرت نفسها من ولد" عم" معبود القتبانيين واطلقت على حصن رئيسي لها اسم " ريدان" وهو اسم يرى البعض انه قتباني الاصل وكان يطلق من قبل على حصن رئيسي للعاصمة القتبانية " تمنع".

على انه لم يكن من المنتظر ان تسير الامور في مصلحة قتبان دائما، فبعد عام 285 ق.م استطاعت جيوش الملك السبأي " يثع امر بين" ان تسترد بعض الاراضي التي اكتسبتها قتبان من اسلافه خلال القرن الرابع قبل الميلاد ، وذكر النص المدن التي استردها وهي مدن نعمان وصنعاء ونبحان ذو حمرور.

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 73 – 74 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـــ 252 – 253
2- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 73 – 75

ولقد شهدت قتبان فترة ازدهار في عهدالملك " شهر يجل يهر جب" الذي يؤرخ لحكمه ببداية القرن الاول ق.م وقد تطلعت قتبان في عهده الى دولة معين الواقعة الى الشمال منها ، فاقتطعت جانبا من اراضيها وعقدت معها حلفا احتفظت قتبان فيه بالمكانة الاسمى ، ولعل قتبان استهدفت من وراء هذا الحلف ان تضيق به على دولة سبأ فتضغط هي عليها من الجنوب وتضغط حليفتها معين عليها من الشمال ,ولكن يبدو ان بلوغ القمة قد يعقبه الانحدار احيانا، فقبيل عهد" شهر يجل يهر جب" اهتز احد المواردالاقتصادية للدولة بعد نجاح السفن المصرية في عصر البطالمة في اجتياز مضيق باب المندب حوالى عام 120 او 117 ق.م للاتجاه الى الهند والإتجار معها رأسا دون وساطة عرب السواحل الجنوبية ومنهم القتبانيون، وليس من المستبعد ان هذا الوضع كان من اسباب تحول اطماع قتبان الى دولة معين لكى تعوض من مكاسب تجارتها البرية بسبب خسارتها من مكاسب تجارة الساحل . وبسبب ضعف نفوذ قتبان الاضطراري على المناطق الساحلية للبحر الاحمر تألبت عليها قبائل حمير المنتشرة فيها ، ويبدو ان قبائل حمير قد نجحت في تجميع كلماتها من قبل بداية القرن الاول ق.م ، وبينت النية على الاستقلال عن قتبان ، ويبدو ان هذه القبائل الحميرية قد قاتلت قتبان لخذت من قتبان ما كان باقيا لها على تلك السواحل وقد استغلت سبأ تلك الفرصة حيث استغلت انشغال قتبان بمشاكلها ، وبدأت سبأ في مهاجمة دولة معين وعاصمتها واستولت على مناطق واسعة من اراضيها قبل الربع الثالث من القرن الاول ق.م ولقد انكمشت دولة قتبان من على خريطة الجنوب بعد ان خسرت ارض حمير وخسرت حليفتها دولة معين، ولكنها جاهدت في سبيل البقاء وساعدها على الإستمرار ان غريمتها دولة سبأ كانت تعانى هى الاخرى من مشاكل متعددة ، ولم تسطع احداهما ان تقضى على الاخرى ، واستمرت المناوشات بينهما.

وقد تولى حكم دولة قتبان في اواخر تاريخها مجموعة من الملوك الضعاف الحيلة ازاء اضطراب موازين القوى في الجنوب وكان ازدياد ضعفهم مشجعاً على الهجوم جديد ير متوقع من جارتها الشرقية وهى دولة حضر موت التى بسطت نفوذها على الاجزاء الشرقية من قتبان ، فقد عثر على ثلاثةنقوش في وادى بيجان القتباني تمجد ثلاثة ملوك حضر ميين، وقد روى احدها ان ملكة لاحضرمي عمل على تسوير مدينة " غيلان" بعد ان تغلب ابوه على قتبان او على جزء منها، وروى اخر انه تم في عهد ملك حضرمي مشروع للرى في منطقة " وعلان" القتبانية وفي عهد الملك " شهر هلال" حوالى 100 او 106 م دمرت تمنع عاصمة قتبان تدميراً عنيفا لازالت آثاره باقية في معالمها القديمة وعلى الرغم مما لحق بقتبان ، الا انها جاهدتفي سبيل البقاء لفترة اربعين عاما اخرى او نحوها ، واكتفت بمناطقها الغربية، ونقلت عاصمتها الى " حريب" والتى عثر فيها على اول عملة قتبانية سكت فيها . ويبدو ان قتبان قد اضطرت نتيجة لضعفها ان تنضم الى حضر موت ضد سبأ . فحاربت قتبان مع حضر موت ضد سبأ . ولكن بعد ذلك آلت قتبان فيما بعد الى حوزه دولة سبأ وزوريدان منذ اوائل القرن الرابع الميلادى .(1)

جـ - النشاط الاقتصادي :

اعتمدت اقتصاديات قتبان وسلطة حكماها على التجارة الداخلية والتجارة الخارجية وتنمية الثروة الزراعية والصناعية والثروة الرعوية ، وكذلك الاستفادة في الوقت نفسه من تحصيل الضرائب . وقد عثر على مسلة حجرية صغيرة داخل العاصمة " تمنع" نقشت عليها بعض تنظيمات التجارة الداخلية و الضرائب في عهد الملك " شهر هلال بن يدع اب " ، وقد هدفت من وراء ذلك ضمان الدولة في ضرائب الدولة ، و حماية مصالح المواطنين التجار و المستهلكين ، و تركيز تجارة العاصمة في سوق " شمر " و الزام التجار الاغراب بتبليغ الدولة عن شئون تجارتهم لتقدير الضرائب عليها وقد توفر للاستثمار الزراعي دور كبير اخر في اقتصاديات قتبان ،

1- عبد العزيز صالح : المرجع ، صـــ 85- 90 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق صــــ 258 - 260 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 105 - 107 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ2 ، صـــ 217 و ما بعدها

Pirenne, J., Le Royaume Sud - Arabe de Qataban et sa Datation , Louvain , 1961 , Philips , W., Qataban and Sheba , London , 1955

و لا سيما في سهل بيحان و حريب . وبدأت مشروعات الري في وادي بيحان منذ القرن الخامس ق.م . وقامت منشآت ري اخرى و شقت ترع في وادي حريب الذي يقع الى الغرب من وادي بيحان ، ولاتزال بعض اطلال مباني هذه المشروعات المائية ظاهرة بينما غطت الاكوام على بعضها الاخر . ولقد مارس القتبانيون انشاء السدود ضمن مشروعات الري ، على نطاق ضيق ، و منها سد فرعي في منطقة الحضرة يحتمل ارجاعه الى القرن الرابع ق.م و من المشروعات المائيه ايضا حفر الصهاريج ، ولاتزال على قمة جبل ريدان و سفوحه اثار صهاريج قتبانية كان البعض منها يتسع لالاف الجالونات . وقد اختلفت الاراء في توقيت حفر هذه الصهاريج بين ما يعاصر العصر الفارسي في القرن الخامس ق.م و بين القرن الميلادي الاول . ولم تغن كل هذه المشروعات القتبانيين عن حفر الابار العادية في المناطق التي تحتاجها . و مع كل هذه المشروعات لتوفير مياه الري و الشرب ، لوحظ في اثار المدن و القرى القتبانية انه كان يوجد امام كل دار حوض قليل العمق مليس من الداخل لملئة بالماء . وقد ظلت مشروعات المياه تؤدي اغراضها حتى القرن الثالث الميلادي لا سيما في وادي بيحان وقد استفادت الدولة من ضرائب الزراعة كما استفادت من ضرائب التجارة ، و يبدو ان الضرائب في قتبان و في غيرها من الدول العربية الجنوبية كانت تعادل العشر او ما يقترب منها ، و تؤدى عينية عادة اى من نفس محصول الارض و المصانع و المتاجر ، و كان يتولى الاشراف على تحصيلها ولاة الاقاليم و شيوخ القبائل احيانا . كما كانت الدولة تاخذ بنظام الالتزام في تحصيل ضرائبها احيانا اخرى ، فتسمح لبعض كبار اهل القرى و الاقاليم و المعابد بأن يتولوا جباية ضرائب معينة و تخصص لهم جزءا منها . و امتد تحصيل الضرائب الى ما هو اكثر من هذا . فورد في امر اصدره ملك قتباني الى كبير احدى القبائل بان يؤدي الى خزانته من ضرائب قبيلته " عشر كل ربح صاف و كل ربح يرد عن طريق الالتزام و كل ربح يجبى من بيع و من ارث " وقد تدل العبارة الاخيرة على تحصيل رسوم على عقود البيع و عقود التوريث ، على نحو ما تجري علية قوانين الضرائب في اغلب المجتمعات المعاصرة (1)

د – النشاط العمراني و الفني في دولة قتبان :

قدر الاتساع القديم لمدينة تمنع (هجر كحلان الحالية) عاصمة قتبان بنحو ، 52 فدانا – وخلد الرحالة بليني اهميتها حينما روى انها كانت تتضمن 65 معبدا ، و ان كان في هذا شيء من المبالغه في هذا العدد ، الا ان الاثار الباقية في تمنع تشهد على روعة هذه الاثار . و قد انشئت هذه العاصمة " تمنع " فوق ربوة مرتفعة بعض الشيء عند النهاية الشمالية لوادي بيحان ، و كان يحيط بها سور يحميها ، و قد تضمن السور اربع بوابات كشف عن اثنين منها ناحيتي الجنوب الغربي و الجنوب الشرقي للمدينة ، و كانت اولى البوابتين و تعرف عادة باسم البوابة الجنوبية ، و هي الاقدم . و قد عثر في داخل المدينة " تمنع " على مبنى متسع ضخم ، اختلفت الارداء بشأنه فقد اعتبره البعض معبدا رئيسيا و اعتبره البعض الاخر قصرا ملكيا للاحتفالات العامه . وقد بدا بنائه في عهود المكربين ، ثم جددت اجزاؤه و اضيفت اليه اضافات مرتين على الاقل في عصور الملكية القتبانية في اواخر القرن الرابع ق.م ، ثم في القرن الاول ق.م . و شيدت جدران المبنى خلال مرحلة بنائه الثانية بمشكاوات رأسية متسعه تعاقبت على مسافات متساوية و كان هذا الاسلوب المعماري شائعا في اقطار شرقية قديمة في العراق و مصر و فارس و غيرها ، و قد اخذت عناصره ببعض خصائص فن المعمارة الهيلينستية الشائعة في عصره . و امتع ما عثر علية بجوار جداره الجنوبي المواجه لبوابة العاصمة تمثالان من البرونز (ارتفاع كل منهما 61 سم و طوله 70 سم) ، و سجل على قاعدة احد التمثالين اسما الفنانين ثويب وولده عقرب ، و يظهر التاثر بالفن الهيلينستي السكندري في التمثالين . و كانت لقتبان فنونها المحلية في النحت و النقش و صناعي الحلي و قطع الزينة ، و من نماذج النحت في الحجر التي تأثرت بالفن الهيلينستي ، ودلت على اتساع صلات قتبان بالخارج ، رأس مرمرية ، وهي لانثى اطلق عمال الحفائر الاثرية علها اسم مريام او مريم فاشتهرت به ، و عثر عليها في احدى مقابر(حايد بن عقيل)جبانة العاصمة ويحتمل ارجاع صناعتها الى مابين القرن الاول و بين القرن الثاني ق.م . (1)

1- عبد العزيز : المرجع السابق ، صـــ 75- 81 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـــ 254 – 260 .

ثالثا : دولة معين

كانت دولة معين اقرب الدول الجنوبية اتصالا بالمناطق الشمالية فى شبة الجزيرة العربية . وقد نشأت دولة معين فى الجوف الجنوبى فيما يمتد بين حدود حضرموت و نجران ، و هى منطقة سهله غرينية ، اشتهرت بنخيلها و لخشابها و مراعيها التى تعتمد على مياه نهر خارد و فروعه ، و على الامطار (2) . و مصادرنا الاصلية عن دولة معين ، انما هى الكتابات التى تركهل لصحابها من اهل معين ، فضلا عن كتابات الرحالة القدامى من الاغريق و الرومان ، من امثال ديودور الصقلى ، و سترابو ، و اما المصادر العربية ، فلا علم لها بهذه الدولة ، و ان عرفت اسم معين و براقش على انهما موضعان في الجوف (3) لقد اختلفت تقديرات المستشرقيين فى تعين البداية السياسية لدولة معين فيما بين القرن الثالث عشر ق.م و القرن الحادى ق.م و بداية القرن السادس قبل الميلاد و بداية القرن الرابع قبل الميلاد ، و يبدو ان اكثر هذه التقديرات احتمالا هو بداية القرن السادس قبل الميلاد (4) . وقد اتخذت الدولة عاصمتها فى ميدنة " قرناو " فى شرقى الجوف الجنوبى . وتقع قرناو على مبعدة سبعة كيلو مترات ونصف إلى الشرق من قرية الحزم مركز الحكومة الحالى فى الجوف ، وقد عرفت قرناو كذلك بمعين ، كما عرفها الكتاب القدامى من اليونان والرومان باسم Karna،Carna وأما الإخباريون فإن معين فى رأيهم إنما هى من أبنية التابعية ، وأنها حصن بنى فى نفس الوقت مع براكش وبعد سلحين الذى بنى فيما بعد فى ثمانين عاما (5) وقد سورت هذه العاصمة بسور ضخم ذى مدخلين تحميهما الابراج الحجرية ، و قد قام الى جانب العاصمة معبد كبير يعرف باسم معبد رصف (6)

أهم المدن المعينية :

و قد تناولت البحوث الاثرية من مواطن العمران الاخرى فى معين مدن يثل (خربة براقش) و التى بقيت حتى ايام الهمدانى فوصف اثارها و خرائبها ، و لعل اسم المدينة " يثل " قد اصبح فى العربية الفصحى " وثلة " فقد ذكرها " الفيروز ابادى " فى القاموس اسما لقرية ، و قال من ناحية اخرى " وذو وثلة قيل " يعنى من اقيال اليمن . و مدينة نشق (خربة البيضا) التى استولى عليها السبأيون فى ايام " يدع ايل بين " مكرب سبأ ، و قد استولى عليها " اليوس جالليوس " ابان حملتة على اليمن . و هناك كذلك مدينة نشان (خربة السودا) و قد اكتشف فيها ما يدل على انها كانت مركزا صناعيا . و مدينة براقش و هى مدينة قديمة جدا عند الاخباريين ، و كان يسكنها عند ظهور الاسلام " بنو الاوبر من بلحارث بن كعب و مراد " و اما سبب تسميتها براقش فموضع خلاف بين الاخباريين ، فرواية تذهب الى انها سميت بهذا الاسم نسبة الى " كلبة " عرفت ببراقش ، بينما نتيجة رواية اخرى انها " لمراة " اسند اليها والدها تصريف أمور الدولة اثناء غيابه فى واحدة من غزواته ، و ذهبت رواية ثالثة الى انها نسبة الى براقش امراه لقمان بن عاد . و هناك كذلك موضع " لوق " و هو فيما يرى " جلازر " الذى ذكره بلينى من بين الاماكن التى استولى عليها اليوس جالينوس ، كما كان هناك مدينة كمنهو (خربة كمنة) ورجمة (فى لخدود نجران) (7) .

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 83 – 84 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 259 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 107

2- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 213 ، عبد العزيز : المرجع السابق ، صـــ 60 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 87

3- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 213 – 214

4- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 61

5- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 214 - 231 ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق صـ 61

6- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 61 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 231

7- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 231 - 233 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ2 ، صـــ 116 – 118 – 119 ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، صـــ 167 ، محمد توفيق : اثار معين فى جوف اليمن ، منشورات المعهد الفرنسى للاثار الشرقية ، القاهره 1951 ، صـــ 11

نظام الحكم في دولة معين :

تعاقب على حكم معين خمس اسرات حاكمة لم تحتفظ النصوص الباقية بألقاب حكامها الاوائل . ولكن يرجح ان سلطتهم بدات بنفس الصبغه الدينة التى ظهرت عند جيرانهم ، فتلقب كل منهم بلقب " مزود " ربما بمعنى من يزود المعبورات او المعابد بقرا بينها ، او من يزود دولته بخيراتها و اعتمد هذا الترجيح على بقاء هذا اللقب " مزود " ضمن القاب حكام معين المتأخرين حتى بعد ان تلقبوا بألقاب الملوك , و عندما استردت معين كيانها بدات بها عصور الملكية فى اوائل القرن الرابع ق.م . و اعتاد ملوكها على ان يتلقبوا بكنيات شخصية معبره مثل صدق بمعنى الصادق او العادل ، و يشور بمعنى المستقيم ، ووريلم بمعنى المتعالى . و على الرغم من غلبة نظام الحكم الملكى فى معين ظل لمشايخ القبائل و اعيان العاصمة مجلس مسود ، و قد وصف بأنه " مسد منعن " اى المجلس المنيع ، و كانوا يجتمعون فيه بدعوة من الملك للبحث فى امور الحرب ، و التصديق على العقود التى تبرمها الدولة مع كبار الافراد و تعهد اليهم بمقتضاها بتنفيذ بعض مشروعاتها الدينية او المدنية . و يغلب على الظن انه قامت الى جانب هذا المجلس الرئيسى فى العاصمة مجالس اخرى فرعية فى فى المدن الكبيرة و الاقاليم كانت تشكيلاتها و اختصاصاتها تشبة المجالس البلدية او القروية الحالية . غير ان الكبراء او الولاة لم يكونوا المشرفين وحدهم على جباية الضرائب و انما اخذت الدولة فى نفس الوقت بنظام الالتزام فى تحصيل بعض ضرائبها . و استمرت معين فى سبيلها السياسى و سبيلها الاقتصادى حتى دب الوهن فى نظامها الحاكم و اشتدد بأسس جيرانها ، و تجرات عليها دولة قتبان ودولة سبأ ، و بدات قتبان فاقتطعت جانبا من ارضها ، و أجبرتها على عقد حلف معها ، احتفظت لنفسها فيه بالمكانة العليا لا سيما فى ايام ملكى معين " وقه ايل يثع " وولده " ايل يثع يشور الثانى " . و حاولت قتبان ان تستغل معين فى التضييق على دولة سبأ من الشمال ، ولكن هذا زاد من حقد سبأ عليها فما لبثت سبأ حتى استغلت انشغال قتبان بمشكلاتها الداخلية مع قبائل حمير ، و انفردت بمعين فدمرت عاصمتها " قرناو " و استولت على اجزاء متسعه من اراضيها قبيل الربع الثالث من القرن الاول ق.م ، بحيث لم يذكرها استربوا فى عام 24 ق.م (1) .

النشاط الاقتصادي لدولة معين :

لقد عملت على استثمار اراضيها الصالحه للزراعه باقامة بعض مشروعات الرى الصغيره للاستفادة من الامطار و السيول و مياه نهر خارد و فروعه . الامر الذى جعل الرحاله بلينى يصف اراضيهم بأنها ارض خصبة تكثر فيها الاشجار و النخيل و الاعناب ولهم فيها قطعان كثيره ، غير ان معين اعتمدت فى حياتها الاقتصادية اكثر مما اعتمدت على الإشتراك بنصيب كبير فى تصدير منتجات الجنوب الى اسواق التجاره الخارجية ، ولا سميا منتجات اللادن و الكندر و المر التى كانت ترحب بها معابد الهلال الخصيب و دول البحر المتوسط ترحيبا كبيرا .

و بحكم موقع معين الشمالى ظلت معين اكثر اتصالا بطرق التجارة الشمالية الرئيسية التى كانت تخرج من عاصمتها " قرناو " و من تابعتها " نجران " الى بجد و ما وراتها و الى الحجاز و ما وراته . ولقد تعامل تجار معين ووسطاؤها من " معن " مع العواصم المصرية و استقر بعضهم فيها . و منهم رجل يدعى " زيد ايل بن زيد " دفن فى مصر ووجد له تابوت فى منطقة منف كتب علية بحروف المسند ما يفهم منه انه عمل فى خدمة معبد مصرى لعله سيرابيوم فى منف ، و تولى توريد بعض المنتجات العربيه اليه مثل المر و قصب الطيب فى مقابل ما كان يصدره الى بلده من المنسوجات المصرية . و ليعبر زيد ايل بن زيد عن إستغراقه فى الحياه المصرية تلقب بلقب " وعب " و هو لقب ديبنى مصرى قديمنى الكاهن المطهر ، و ارخ هذا النص بالعام 263 ق.م خلال عهد بطليموس الثانى . و قد وصل تجار معينيون بتجارتهم إلى جزيرة ديلوس فى بحر إيجة فى النصف الأخير من القرن الثانى ق.م. حيث عثر فيها على أثار صغيرة نقشت بنصوص عربية تدعو لأصحابها ألهة معين (وألهة سبأ) (2) .

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــــ 91 - 95 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 89

2- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 92 – 94 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 90 – 91

رابعاً: دولة حضرموت

أ - الموقع الجغرافي :

شغلت حضرموت منطقة واسعة من جنوب شبه الجزيرة العربية ، وجمعت فى أرضها الواسعة بين الجبال العالية وبين الوديان العميقة . ويبدو أن واديها الكبير وادى حضرموت كان مجرى مائيا ضخماً خلال الدهور الحجرية القديمة ، وكانت تجرى فية بضعة أنهار صغيرة منها نهر ميفع ، وهو نهر يحتمل أن يكون لأسمه صلة بإسم مدينة "ميفعة " التى كانت من أقدم العواصم المعروفة لحضر موت (1) . ولقد انتفعت حضر موت بساحل طويل على بحر العرب (أو المحيط الهندى) قامت علية ميناء رئيسية إسمتها النصوص القديمة " قنأ " وأطلق العبرانيون عليها إسم "كنيه " ، بينما أطلق عليها الأغريق "كانى" وتقوم على أطلالها "بير على" الحالية .

ب- التكوين السياسى :

لا زال الخلاف بين تقديرات الباحثين لبداية التكوين السياسى لحضر موت واسعاً . فبينما يرى البعض ببداية العصور الملكية فى حضر موت بأواخر القرن الحادى عشر ق.م ، يرى البعض الأخر بدايتها بأواخر القرن الخامس ق.م ، على أساس أنة بعد أن أختفت شخصية " كرب إيل وتر" الثانى القوية من الجنوب قامت الملكية فى حضر موت وربما بدأت بما يشبة التبعية لدولة معين بحيث حكمها ملك واحد يدعى " صدق إيل " . وإذا صح هذا فقد يعنى ترابط الدولتين معين وحضر موت فى مجالات التجارة وتحالفهما معاً للوقوف فى وجه دولة سبأ ذات المطالع الواسعة . (2)

جـ - النشاط السياسى لدولة حضر موت :

لقد إنفرد بحكم حضرموت أمير من أصل معينى يدعى " معد كرب " أسس بها أسرة حكم مستقلة تعاقب بعد عهد " يدع إيل بين " عدد من ملوك حضر موت ، أستطاعت دولتهم فى فترة ما من القرن الأول الميلادى أن تسيطر على الأجزاء الشرقية من دولة قتبان بعد أن ضعف شأن دولة قتبان فقد سيطرت حضر موت على أجزاء من وادىبيحان ، وعثر فية على ثلاثة نصوص تمجد أسماء ثلاثة ملوك حضرميين غير أن تدخل حضر موت فى شئون الجزء الجنوبى الغربى من شبة الجزيرة جر عليها مشكلات كثيرة مع القبائل الحميرية حتى أصبحت الحدود بينهما بين مد وجذر لإحديهما على حساب مصلحة الأخرى وجرت عليها مشكلات أخرى مع سبأ ثم أعقبت ذلك عهود سلام ظهر فيها الملك الحضرمي " إيل عزيليط " الثانى . وقد أثبت فى نص من النصوص أن" إيل عزيليط " ملك حضر موت ابن عم زخر وأنة سار إلى حصن أنود ليتلقب " بلقب الملك " وقد أشار عدد من أتباعة أنهم صاحبوه فى هذه الرحلة كما سجل رجلان من أشراف حمير أن ملك سبأ وذوريدان أوفدهما لحضور حفلة وتنم المصادر عن أن العلاقات بين حضرموت وبين دولة سبأ قد غدت علاقات طيبة وورد فى نص ملك حضرمى أخر أنه حين أحتفل بيوم توليته العرش فى حصن أنود ضحى بقرابين كثيرة تضمنت 35 ثوراً و كبشا و 25 غزلاً. ويذهب الظن إلى أن " إيل عزيليط " الثانى ابن عم زخر هو الملك الذى ورد ذكرة باسم " إليازوس " فى مصدرين إغريقيين ، عرف أحدهما بأسم كتاب الطواف حول البحر الأريترى .

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 96

2- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 96 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 95

و قد ذكر البازوس فى هذا المصدر بأنه ملك بلاد البخور و الطيب و انه اقام فى عاصمتة " شبوه " و امتد سلطانه الى " قنأ " . و ذكر عن هذا الميناء انها كانت سوقا لكل اللادن الذى ينمو فى البلاد ويؤتى به اليها على ظهور الجمال . و استمرت حضرموت فى سبيلها الاقتصادى و السياسى حتى اشتدت المنافسة بينهما و بين صديقتها القديمة سبأ و زوريدان ، و تطورت هذه المنافسة الى حروب عنيفة عملت حضرموت معها على زيادة حصونها و اسوارها لمقاومة السبأيين ، و بقيت من هذه الاسوار اطلال سور كبير كان يحمى منطقة ميفعة و لكن الحروب انتهت بانتصار السبأيين فى عهد ملكهم " شمر يهر عش " الثالث فى اواخر القرن الثالث الميلادى . و بلغ من اهمية انتصاره عليها ان شجعة على ان يبدا عهداً جديداً لملكية السبأية تلقب فيه هو و من تلاه من الملوك بلقب " ملك سبأ ونوريدان و حضرموت و يمنات " ، و يذهب الظن الى اعتبار " يمنات " هذه تمثل الجزء الجنوبى من حضرموت و المطل على ساحل البحر العربى . وربما حاولت حضرموت النهوض بعد ذلك بقليل ولكن الحملات السبأية الحميرية تكررت عليها و اخضعتها لنفوزها المباشر منذ اواسط القرن الرابع الميلادى (1) .

د- أهم مدن حضرموت :

كانت " شبوه " العاصمه هى اهم مدن حضرموت وقد ذكرها الرحالة اليونان و الرومان تحت اسم Sabbatha , Sabotha , Sabota . و يرجع السبق فى اكتشاف اثار شبوه الى " جون فلبى " و التى من اهمها بقايا المعابد و القصور و بقايا السدود التى كانت مقامة على وادى شبوه لحصر مياه الامطار ، و الاستفاده منها فى رى الاراضى (2) . و كانت " شبوة " ارض اللبان و المر ، وقد كان يصدران من ميناء قنأ (3) . و هناك كذلك " ميفعة " العاصمة القديمة لحضرموت ، و هى نفسها Mapharitis التى اشار اليها صاحب كتاب الطواف حول البحر الاريترى ، و هى Maiph Metrapolis عند بطلميوس الجغرافى . وقد عثر على الكثير من النصوص التى تتحدث عن تحصين ميفعه و عن تسويرها بالحجارة و بالصخر ، و الابراج التى اقيمت حول السور لصد الغزاة . و تضمنت ميفعه بيوتاً و معابد ، الا ان الخراب سرعان ما حل بها فى القرن الرابع الميلادى ، ثم حل محلها موضع عرف بـ " عزان " (4) . و هناك مدينة قنأ – ميناء حضرموت الرئيسى – حيث كان يجمع اللبان و البخور ، ثم يصدر منها براً و بحراً ، اما موقع " قنأ " فهو الى الشرق من عدن . وذهب بعض الباحثين الى انه فى مكان " حصن الغراب " الحالى ، و كان يعرف قديماً باسم " عرمويت " (5) وقد ورد ذكر هذا الميناء فى النصوص القديمة باسم " قنأ " و اطلق الالعبرانيون القدماء عليها اسم " كنية " بينما اطلق الاغريق عليها اسم " كانى " و تقوم على اطلالها بير على الحالية (6) و هناك مدينة " مذاب " وقد اشتهرت بمعبدها المكرس لعبادة اله القمر " سين " و تقع بقاياه فى الموقع المعروف باسم " الحريضة " و هناك من يرى ان مدينة مذاب و معبدها ، انما يعودان الى الفترة ما بين القرن الخامس و الثالث قبل الميلاد (7) . لقد عبر الحضرموت عن معبودهم الاكبر الذى تخيلوه يهيمن على القمر باسم " سين " ، و هو الذى عبر عنه جيرانهم من الجنوبين باسماء " عم " و " ود " و " المقة " . و هذا الاسم و هو " سين " فقد سبق ان اطلقة الأكديون و البابليون كذلك فى العراق على معبودهم الذى تخيلوه معنياً بالقمر ايضا ، مما يعنى انه كان اسماً سامياً قديماً و اسع الانتشار . وربما كانت له صلته ايضاً بتسمية سيناء المصرية (1) .

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 96 – 100 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 96 – 97 Philby, JB., Sheba's Daughters , London , 1939 . PP. 449 – 450

2- جواد على : المرجع السابق ، جـ2 ، صـــ 157 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 243 ., Ibid P. 79 .

3- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 243 .

4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 243 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ2 ، صـــ 158 - 159 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـــ 98

5- Forster, C., The Historical Geography of Arabia , II , P. 186 . محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 244

6- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـــ 96

7- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 244 – 245

خامساً : دولة اوسان

أ-الموقع الجغرافي و التكوين السياسي :

شهد جنوب شبة الجزيرة العربية من دوله الصغرى الثريه قصيرة الاجل دولة سميت باسم " اوسن " او " اوسان " نشأت الى الجنوب من قتبان و امتدت فى عصور مجدها (2) حتى حدود حضرموت . وقد بقى اسمها حياً فى القلب بعض (3) مواطنيها الى ما بعد ظهور الاسلام . ويبدو ان اوسان لم تكن فى بداية امرها غير منطقة رئيسية من دولة قتبان قرب مدخل البحر الاحمر ، وقد اشرفت على جزء من الساحل العربى الجنوبى ، ثم انفصلت عنها فى ظروف غير معروفة بعد ان جمعت حولها الاحلاف من اقاليم و قبائل مسورا و يافع و لحج وثينه و ابيان ، و قد وفرت اوسان لنفسها و لحلفائها كياناً (4) مستقلاً جنباً الى جنب مع قتبان و سبأ .

ب- النشاط السياسى لدولة اوسان :

بدأت سبأ تتطلع الى السيطرة على اوسان منذ ان مضت اوسان تشق طريقها الحضارى مستعينة بنشاطها التجارى حيث خليج عدن . فقد بدأت المناوشات بين الطرفين و حالف النصر لسبأ احياناً و حالف النصر اوسان احياناً اخرى . الامر الذى سمح للملوك الاوسانيين ان يسجلوا اخبار انتصاراتهم فى معابد اربابهم ، و سمح لهم كذلك بأن يأسروا جماعات من السبأيين و يحتفظوا بهم رهائن فى ارضهم. و لقد مالت كفه النصر الى جانب السبأيين فى عهد المكرب الداهية فى الحرب و السياسة " كرب ايل وتر " الثانى ، و استطاع هذا الملك ان يضمن حياد كل من قتبان و حضرموت فى حربه ضد اوسان و معين . وقد استمال الملك السبأى حلفاء اوسان و اتباعها للتخلى عنها و الانضمام اليه فاستجاب له بعضهم ، و من هؤلاء امير كان يتولى امر اقليم دهس و قبائل يافع ، و هو واحد من اكبر اقاليم اوسان و حلفائها (5) لقد انحط الملك السبأى كرب ايل وتر الثانى بجيوشه على اوسان فى عهد ملكها " مرتوم " (او مرتو او مرتاوا) ، وقد ادعى الملك السبأى فى نصوص انتصاراته التى سجلت بأمره فى معبد عاصمته بصرواح انه (اى جيشه) قتل من الاوسانيين الافا كثيرة تتراوح عددهم فى سياق عبارته بين 16 الفاً و بين ماهو اكثر من العشرين الفاً ، و انه اسر منهم الافاً كثيره تتراوح عددهم ايضاً فى سياق عبارته بين 40 الفاً و بين 56 الفاً . (6) و قد افتخر الملك السبأى بأنه حرر الاسرى السبأيين الذين احتجزهم الاوسانيون من انتصاراتهم القديمة ، و استعبد عوضاً عنهم اعضاء مجلس المسود الاوسانى و جعلهم رقيقاً للمعبودة السبأية " سمهت " إمعاناً فى اذلالهم ، و امر الملك السبأى بمحو و تهشيم النصوص التى كان ملوك اوسان قد تفاخروا فيها بانتصاراتهم القديمة على نصب معابدهم . و عامل حلفاء اوسان بنفس القسوه فقد دمر جيشه مدنهم و احرقها ، و استولى على مدناً اخرى لصالحه الخاص على نحو ما ذكر فى نص له انه " اقتنى كل اقليم بأحراره و عبيده " . واقطع اجزاء من جسم دولته و منحها لقتبان ، كما كافأ حضرموت ايضاً بأجزاء من دولته ، جزاء لهما على حيادهما فى حروبة مع اعدائه ، وربما تعويضاً لهما عن سبق اعتداء اوسان على اراضيهما

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 101
2- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صــ 329
3- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 101
4- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 101
5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 101 – 102
6- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صــ 102 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صــ 331 ، احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، صــ 163 – 164

و قد انطوت اوسان فى ظل الخضوع و النسيان لفترة طويلة ، ثم استردت كيانها السياسى ، و اعتلى عرشها من جديد ملوك و طنيون فى اواخر القرن الثالث ق.م . و اشهر من احتفظت الآثار بذكراه من هؤلاء الملوك ملك يدعى " يصدق ايل فرعم شرح عت " (1) بن " ود " ، وقد دعا هذا اللقب بعض العلماء الى القول بوجود فكرة تأليه الملوك فى اوسان ، و ان الرجل انما كان يعتقد انه من نسل الاله " ود " ، و قد خصص الاوسانيون معبدهم الرئيسى فى " وادى نعمان " للإله " ود " (2) و قد كان " ود " اسماً او صفه لمعبود تخيله المعينيون من قبل يهيمن على القمر ، و امتد تقديسه الى بعض قبائل و امارات العرب الشماليين ايضاً و كان فى انتساب . ملوك اوسان اليه و اعتبارهم ولداً له ضماناً لاحاطة حكمهم بالقداسة الدينية بين رعاياهم (3) . لقد ازدهرت اوسان فى عصر الملكية الاوسانيه و امتد نفوذها من باب المندب على الساحل الى الاحور . كما امتد فى الداخل الى حدود قتبان (4) و كان فى امتدادها الساحلى الطويل ما سمح لها بتجارة واسعة على شاطىء شرق افريقيا المواجه لها حتى " زنزبار " بحيث سمى جزء من هذا الشاطىء حيناً باسم الساحل الاوسانى ، وقد انعكست موارد هذه التجارة على ثراء مقابر ملوك اوسان و اثارهم (5) . اما بالنسبه للنهاية السياسية لدولة اوسان فقد افترض البعض ان النهاية السياسية لدولة اوسان قد حدثت فى اواخر القرن الثانى قبل الميلاد ، فى حين افترض البعض الاخر بقاء اوسان الى ما قبيل ميلاد المسيح ، و المرجح على اية حال هو ان اراضيها قد انطوت بعد ذلك تحت سيطرة حمير ثم دولة سبأ وزوريدان و دخلت معها تحت اشراف هذه الدولة الاخيره المناطق التى امتدت تجارتها او ولايتها اليها على الساحل الافريقى المواجه لها (6)

ج – النشاط الفنى :

لقد اشتهرت من مناطق اوسان الاثرية مسوره و مرخا و نعمان و خله و السقية و ام ناب وقد انعكس ثرائها الاقتصادى نتيجة تجارتها الواسعة مع شاطىء شرق افريقيا المواجه لها على ثراء مقابر ملوكها و اثارهم التى نقل بعضها الى متحف عدن ، و من اهمها بضعة تماثيل من الالباستر مثلت عددا منهم فى هيئاتهم العربية و ملابسهم القومية ، على الرغم من ان فنانيها قلدوا فى نحتها اسلوباً فنياً يشبه اسلوب الفن الهيلينستى الذى انتشر فى الشرق منذ القرن الثالث ق.م ، و كانت الاسكندرية من مراكزه الرئيسية و قد اظهرت بعض هذه التماثيل اصحابها يمدون ايديهم الى الامام كما لو كانوا يقدمون بها قرابين و هدايا الى معبوداتهم ، و تنوعت هيئة شعورهم فأظهرت بعضهم بشعور قصيره ، و بعض اخر بشعور طويلة تنسدل الى ما تحت الاذنين او تسترسل على هيئة الجدائل على الكتفين ، و مثلتهم حليقى اللحى ، و جعلت لبعضهم شوارب خفيفه ، و اظهرت بعضهم بثياب طويله كاسية مزخرفه ، و اظهرت بعضهم بنقبه طويلة ، و تبدو قامات هذه التماثيل قصيره احيانا الى حد ملحوظ ، و سيقانها غليظة ، و قد اصبحت هذه التماثيل بتنوع هيئاتها مصدراً مهماً للتعرف على سمات اهلها و ازيائهم (7)

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 102
2- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 330
3- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 103
4- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 103
5- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 103 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 329 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ2 ، صـ 502
Bowen , R.L 8 – Albright Archaeological Discoveries in South Arabia , 1958 , P . 39 , F. ,
6- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 104
7- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 103 – 104

الفصل السابع

مملكة كنده في نجد و ما حولها

لقبائل كندة تاريخ قديم قد لا تتأخر نشأته عن نشأة تاريخ تنوخ . وقد امتدت ايامها حتى نافست المناذرة و الغساسنة فى عنفوان مجدهم . لقد احاط الغموض بتاريخ كنده و يرجع هذا الى عدة اسباب انه لم تكتشف لجماعات كنده اثار قائمة مهمه او نصوص و غيره . و ان وجودهم فى اغلب عهودهم في قلب البادية اقصاهم الى حد ما عن معرفة المؤرخين الكلاسيكين و البيزنطيين فيما خلا اشارات مختصرة ذكرها عنهم كل من بلينى و بطلميوس ، وهى فى مجملها اشارات تحتمل كثيرا من الجدل . ثم ان اوائل المؤرخين و الادباء المسلمين الذين كتبوا عن كندة و ملوكها قد تأثروا الى حد ما بميولهم القبلية ، و نقلوا قصصها من مصادر متضاربة فخرجت اخبارهم عنها متباينه مختلطة .

ولقد استفادت اغلب روايات المؤرخين و الادباء المسلمين القدامى من مؤلفات هشام بن محمد الكلبى المفقودة الآن للأسف و أخصها " كتاب ملوك كنده " و " كتاب الكلاب الاول " و " كتاب الكلاب الثانى " . كما استفادت أغلب الدراسات الحديثة عن كنده مما حققه المتشرق " جونار أولندر "عن ملوك كنده او أسرة اكل المرار "فى مؤلفه المنشور عام 1927 .

ثم نشرت فى الاعوام الاخيرة بضعة نصوص سبأية و حميرية القت ضوءاً جديداً على نشأة كندة وارجعتها الى عهود اقدم مما تخيله المؤرخون المسلمون (1)

الاراء المختلفة التى دارت حول الموطن الأصلى لقبائل كندة :

يكاد يجمع النسابون على ان كندة ، انما هى قبيلة قحطانية . تنسب إلى كنده وهو " ثور بن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة" الذى ينتهى نسبه إلى " كهلان بن سبأ " وأن مساكنهم إنما كانت فى جبال اليمن الشرقية مما يلى حضرموت ، وأن مدينة " دمون " كانت حاضرة لهم ويرى " ألبرت جام " أن أرض كنده إنما كانت إلى الجنوب من" قشم " وذلك لأن نقش " جام 660" يضعها بين حضرموت ومذجج . على أن فريقاً من الكتاب العرب ، إنما يعتبر الكنديين مهاجرين إلى اليمن من البحرين و المشقر بينما يرى فريق أخر أن الكنديين عدنانيون ، وأنهم كانوا يقيمون فى دهرهم الاول فى " غمر كنده " أى فى مواطن العدنانيين (2) وتعرف كنده فى النقوش العربية الجنوبية " بكدت " أو " كدة بتشديد الدال " ، ونقرأ فى نقش (جام 635) ، والذى يرجع إلى عهد الملك " شعر أوتر " أن " ربيعة " من آل ثور ، كان ملكاً على كنده ، وعلى قحطان ، وأنه كان يحارب فى صفوف أعداء الملك " شعر أوتر " ، وهذا يعنى أن كنده كانت لها كيان سياسى ، منذ القرن الأول قبل الميلاد (3)

1- عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 183

2- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 599 – 600

جواد على ، المرجع السابق جـ 3 ، صـ 316 – 318 ، الهمدانى : صفة جزيرة العرب ، صـ 85 – 88

3- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 600

ملوك كندة:

تعاقبت على كندة رؤساء لقبهم المؤرخون المسلمون بألقاب الملوك ونسبوهم إلى جد أعلى يدعى ((ثور))ولختلفوا في حقيقة عددهم وفي مدةحكمهم ،وبعد أمد تحالف كندة مع الحميريين في عهد الملك الحميرى "أب كرب اسعد" أو ولده "حسان بن تبع". فولى لحدهما "حجر ابن عمرو "الملقب بآكل المرار على أرض"معد"فنزل ببطن عاقل بنجد ،وأغار ببكر ،فانتزع مكان بأيدى اللخميين من أرض بكر ,وانتشرت كندة فى أرض نجد وما فى شمالها وتصادمت مع الضجاعمة وحلفاءهم الغساسنة على أطراف الشام كما تصادمت مع المناذرة على أطراف العراق .(1)وولى بعد أكل المرار ولده "عمرو بن حجر "الذى لقب بالمقصور ربما لهبوط همتة لان الظروف قصرت حكمة على جزء من ملك أبية دون ملكة كله فقد لكتفى بمناطق ربيعة ومعد فى نجد وتخلى عن اليمامة لاخية ،وقد عوض هذا القصور بصداقته وولائة لجيرانه الحميريين واللخميين ومحاولة الاغارة على املاك الغساسنة .(2)لم يحمل "عمرو بن حجر "لقب ملك وانما لكتفى بلقب "سيد كنده" ؛ ويبدو ان كنده كانت على علاقة طيبة بملوك اليمن ؛ ومن ثم فقد تزوج بنتاً لحسان بن اسعد الاكبر .(3)وقد جاء بعد عمرو ولده " الحارث بن عمرو الكندى " من زوجتة أم اياس أو أم إناس بنت عوف (4)وكان ذلك فى نهاية القرن الخامس الميلادى كما يعتقد "جونار اولندر ".(5)على اية حال فقد كان الحارث بن عمرو الكندى اقوي ملوك كندة قاطبة ، واشدهم بأسا ، واعظمهم شخصية ،ولكثرهم طموحا، وقد ساعدتة الظروف فأصبح أعداؤه من بنى بكر وتغلب -بعد حرب البسوس التى دامت اربعين عاما-فى حالة ضعف شديد ، ومن ثم فقد نجح فى أن يعيد سلطانه على قبائل ربيعة فى نجد ، وعلى بنى أسد وبنى كنانة وبنى بكر (6)وسنحت الفرص لعلو شأن الحارث بن عمرو الكندى نتيجة لأمرين ، وهما انتقال صيته الى فارس بعد ان أغار اتباعة البدو علي حدود العراق وحوافة الزراعية وفشلت جيوش الحيرة فى اخضاعهم . ثم رغبة الملك الفارسى"قباذ " فى ايجاد منافس قوى امام المنذر الثالث ملك الحيرة حتى لا تزيد اطماعة بعد انتصاراته الاولية على الغساسنة. وذكر المؤرخون المسلمون ان قباذاً ملك الفرس أقر الحارث الكندى على ما استولى رجاله عليه من أطراف العراق . وبعد أن اطمأن"قباذ"اليه عزل المنذر الثالث وولى الحارث الكندى على أطراف العراق فحكمها من الحيرة أو من الأنبار وكان له أولاد كثيرون ولاهم رؤساء على القبائل العربية منذ ان ذاع صيتة فى البادية وخلال حكمة لمملكة الحيرة بوجه خاص ، واسند الى أكبرهم حجر رياسة قبائل أسد وكنانة

---

1 - جواد على ، المرجع السابق جـ 3 ، صـ 600

2- عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صـ184، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 604

3- عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صـ184، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 604-607

4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 607

5- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 608

6- عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صـ184

وهكذا زاد شأن الحارث بن عمرو الكندى واستمر على حكم الحيرة وما حولها ولكن لفترة قليلة تترلوح بين ثلاث واربع سنوات (525-528 ق.م) ، ثم ما لبث الأية أن انقلبت علية حين توفى ملك الفرس الذى ولاة وعضده . وكان المنذر الثالث قد لجأ بعد عزله الى بعض خلفائة من القبائل واستجمع قواة بينهم ثم عاد ليسترجع ملكه . ووجد التأيد من ملك فارس الجديد "كسرى أنوشروان" الذى سمح لة باسيتعادة ملك الحيرة ، وعزل الحارث الكندى ففر و تبعتة جيوش المنذر ولدت هزيمة الحارث لو قتلة إلى ان انقلبت القبائل الخاضعة لة بحيث قيل أن" تغلب" سلمت ثمانية واربعين فرداً من اسرتة الى المنذر فأمر بضرب رقابهم جميعا ونعاهم أمرؤ القيس كثيراً فى شعرة . وكان شر البليه أن تناحر أبناء الحارث بعضهم مع بعض حتى ذهبت ريحهم فقد ذكر على سبيل المثال أن ولداً للحارث يدعى "شرحبيل" كان يحكم قبائل بكر بن وائل وما والاها من قبائل المنطقة الشرقية اختلف مع أخ اصغر لة يدعى "مسلمة" كان يحكم قبائل تغلب والنمر ، وزكي المنذر ملك الحيرة الفرقة بين الأخين ، فتقاتلا واضعفت كل منهما هيبة الاخر . وهكذا تشتت أفراد أسرة أكل المرار ، واحتل الاحباش المسيحيون اليمن فى عام 527 ق .م. فلم يبق لهم نصير خارجى لامن الفرس ولا من اليمن ولا من الفرس ولا من الروم ولا من انفسهم بعد أن فرقت المطامع صفوفهم (2)كان لحجر عدة أبناء أصغرهم هو " إمرؤ القيس" من زوجته "فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير التغلبية " ، وكان إمرؤ القيس شاعرا وكان ميالا للهو ، وكان أبوه فيما ذكرتة الروايات العربية قد تبرا منه فى حياته حتى يقلع عن لهوه وشعرة ففارقه وظل على سفرة ولهوه حتى أتاة نعية ، وهو يشرب ويسمر فى "دمون " من ارض حضر موت (3) ويتجة بعض الباحثين الى القول بأن "إمرؤ القيس" قد ولد فى حوالى 500م، وتوفى فى أنقرة أثناء عودتة من القسطنطينية فيما بين عامى 530 ،540 م ، وان ذهب البعض الى أنة توفى فى عام 565 م (4)وقامت كندة بدورها حتى الربع الاول من القرن السادس ق. م. وفية احتدم التنافس بين القوى الثلاث الكبيرة فى شبه الجزيره وعلى اطرافها ، وكل منها نجد خلفها من يؤيدها نعنى بذلك مملكة الحيرة في عهدالمنذر الثالث وتؤيدها دولة الفرس ، ومملكة الغساسنة في عهد الحارث بن جبلة وتؤيدها دولة الروم ومملكة كندة في عهد الحارث بن عمرو بن حجر وتؤيدها دولة حمير (سبا و ذوريدان) (5)

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 609
(2) عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صــــــ185-186
محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 609-618
(3) عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صــــــ186
(4) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 192
(5) عبد العزيز صالح :المرجع السابق ، صــــــ192

الفصل الثامن

الممالك العربية المستقرة

أولا : دولة ددان ولحيان

قامت حاضرة هذه الدولة في واحة العلا قرب وادي القري الي الشمال الغربي من المدينة المنورة بنحو 328كم ، اعتمدت اقتصادياتها القديمه علي الزراعة لوفرة المياه الباطنية في واحة العلا وخصوبة ارضها ، وعلي التجارة نظرا لوقعها علي طريق القوافل التجارية الرئيسي القديم الممتد في غرب شبه الجزيرة بين اطراف الهلال الخصيب في الشمال . اطلق اسم " ددان " في بداية الامر علي الارض والدولة والشعب ونكرته قصص من التوراة يرجع اقدمها الي ما بين القرن التاسع ق.م . وبين القرن السادس قبل الميلاد كما تضمنته نصوص من الواحة نفسها قد يرجع أقدمها كذلك إلى القرن السادس ق . م . (1) وقد عرفت الواحة ودولتها وقبيلتها الحاكمة باسم ددان فى القرن الخامس ق . م . وهذا الإسم وهو ددان احتفظت به بطن من بطون العرب قبل ظهور الإسلام ثم اشتهر فى قبيلة " هذيل " ولقد توثقت علاقة " لحيان " بدولة معين الجنوبية على أساس الإشتراك فى المصالح التجارية وقد انتفعت الواحة من هذه العلاقة بمعرفة الخط المسند الجنوبى الذى تطور بعد تطويره إلى الخط اللحيانى ، وكان من أوائل الخطوط المعروفة التىكتبت بها نصوص العرب الشماليين ، وقد اتسعت علاقات لحيان بجيرانها فى الشام عن طريق البر ، وفى مصر عن طريق البر والبحر ، بحيث وجدت فى لحيان بضعة تماثيل أخذت بالأسلوب الفنى المصرى القديم ويرجع تاريخها إلى ما بعد القرن الخامس ق . م . ويبدو أن أصحابها من حكام لحيان أو أثريائها قد أعجبوا بأمثالها فى مصر القديمة فانتدبوا فنانين مصريين قاموا بنحتها من الصخر المحلى فى منطقة الخريبة ، وجمعوا فيها بين تقاليد الفن المصرى فى جسم التمثال وبين الملامح وأغطية الرأس اللحيانية فى الرأس والوجه (2) وتوثقت العلاقة بين لحيان وبين مصر فى عصر البطالمة ، ويبدو أنه قامت مفاوضة بينهما فى عهد بطلميوس الثانى فى أوائل القرن الثالث ق . م . لخروج المتاجر الواصلة إلى لحيان براً وبحراً بطريق مباشر من ساحلها إلى إحدى الموانى المصرية المقابلة لها على الساحل الغربى للبحر الاحمر (3) وقد شاعت بين اللحيانيين أسماء عربية مثل حمد وعاصم وعنزة وأوس وعمر وحجر ومسلمة ، وأسماء نسبوها إلى معبوداتهم القديمة مثل : زيد غوث وبركة غوث وعبدود وعبد مناة . وظهر من أسماء ملوك لحيان أسماء هناس بن مشهر ، وشامت جشم بن لوزان ، ومنعى لوزان (4) . ويبدو أن ازدهار لحيان فى القرن الثالث ق . م . أطمع فيها حليفتها دولة معين الجنوبية فمدت نفوذها إليها فى القرن الثالث قبل الميلاد وأصبحت للجالية المعينية فيها مكان الصدارة الإقتصادية وبعد أن كان يرأس الدولة ملوك من أهلها ، تولاها ولاة يتلقبون بلقب " كبر " وقد يشترك إثنان منهما فى الحكم فى أن واحد ربما ليكون أحدهما رئيساً للحيانيين ، ويمثل الأخر مصالح المعينيين وملك معين الجنوبى ، وأصبحت المنطقة تعرف باسم " منعن مصرن " . وهذا الإسم قد يقلد اسم الدولة الحليفة وهى معين من ناحية ، ويخصصها بلفظ " مصرن " من ناحية أخرى ربما يعنى المصرية على أساس قربها من مصر أو تعاملها الواسع معها أو بمعنى " الحدودية " (5) ويرجع إلى القرن الثالث ق . م . نص " زيد إيل زيد " ذلك التاجر المعينى الذى قام فى مصر حتى دفن فيها ، وكان يتولى توريد البخور وملحقاته إلى معبد السرابيوم فى منف ، ويصدر فى مقابلة أصنافاً من المنسوجات المصرية إلى بلده وكما أكرمه المعبد المصرى بلقب الكاهن المطهر يبدو أنه منحه قرضاً ليسدد به ديونه ،

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 159

(2) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 159 – 160

(3) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 160

(4) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 160

(5) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 160 – 161

على أن يعتبره مقدماً لتجارة يستوردها إليه وتعهد " زيد إيل " بالوفاء فى موعد معلوم كما وعد برصد جانب من ثروته لبعض المعابد المصرية (1) وأخذ اللحيانيون فى عقائدهم بتعدد المعبودات مثل غوث واللات وبعل ثمين وذى غابة وسلمان وكاتب أو سافر . ومن نصوصهم الطريفة نص ذكر أن معبودهم " بعل ثمين " (أى بعل السماء) حرم أن ترتقى النساء صخرة عالية قام عليها معبده أو قام بجوارها ، وإن كانوا فى الوقت نفسه سمحوا بوجود الكاهنات (أفكلت) فى بعض المعابد ، إلى جانب الكهنه (أفكل) الرجال (2) وكان لهم معبد واسع يقع فى الخريبة الحالية ، وقد وجدت فيه تماثيل بطول الإنسان لملوك لحيان ، كسر بعضها أهل العلا لنفسهم ، وأنقذ البعض الآخر ، وهذه التماثيل متأثرة بالفن المصرى (3) واستمر اللحيانيون فى طريقهم الحضارى حتى امتد نفوذ الأنباط إلى أرضهم وسيطروا عليها بعد أن ضعف شأن اللحيانيين وحلفائهم المعينيين فى حمايتها ، خلال القرن الأول قبل الميلاد (4)

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 161

(2) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 161

(3) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 530 ، عبد الرحمن الأنصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غربى الجزيرة ، مجلة الدارة العدد الأول 1975 ، صـ 81

(4) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 530 ، جواد على ، المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 250 – 253 ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 161

ثانياً الأنباط :

كانت دولة الأنباط أكثر اتصالاً ببادية جنوب الشام منها بشبه الجزيرة العربية ، حيث قامت كبرى عواصمهم في " بتراء " أو " البتراء " في شرق الأردن ، شأنهم في ذلك شأن الأدوميين الذين سبقوهم في هذه العاصمة نفسها . ولكننا نتناول طرفاً من تاريخ الأنباط هنا مع تاريخ شبه الجزيرة العربية بناءاً على ثلاث إعتبارات ، وهي :غلبة الأسماء العربية بينهم ، ولامتداد نفوذهم التجاري والسياسي والحضاري في شمال الحجاز ، ثم ضخامة الآثار التي تركوها في مدائن صالح ومغاير وشعيب (1)

أ- الموطن الأصلي للأنباط :

لقد إختلف المؤرخون في الموطن الأصلي للأنباط ، فذهب فريق إلى أنهم من أهل العراق ، وأن لغتهم التي تركوها على آثارهم إنما هي آرامية مختلفة عن لغة مابين النهرين ، وأنهم قد هاجروا من العراق إلى أدوم وذهب فريق آخر إلى أنهم عراقيون أتى بهم " نبوخذ نصر " في القرن السادس قبل الميلاد ، عندما إكتسح فلسطين ، فأنزلهم " البتراء " ومجاوراتها . وذهب فريق ثالث إلى أنهم من جبل " شمر " في أواسط بلاد العرب ، ثم سرعان ماتزحوا إلى العراق ، وأقاموا هناك حتى دهمهم الآشوريين أو الميديون ، فأخرجوهم من هناك ، وأخيراً ذهب فريق رابع إلى أنهم من شواطئ الخليج العربي ، بينما ذهب فريق خامس إلى أنهم من قبائل بدوية ، نزحت في القرن السادس قبل الميلاد (في حوالي 587 ق . م .) إلى شرق الأردن فنزلت أرض الأدوميين أحفاد عيسو بن اسحاق بن ابراهيم الخليل عليهما السلام ، وانتزعت منهم البتراء ثم سرعان ماامتدت سلطتهم إلى المناطق المجاورة (2) ولعل الخلاف الأصلي بين الباحثين يكمن في أن الأنباط قوم عرب ، أم آراميون ؟ وتتجه الآراء الحديثة إلى أنهم عرب ، حتى وإن تبرأ العرب منهم ربما لأنهم تأثروا بحضارة الآراميين وكتبوا بلغتهم ، وربما لأنهم خالفوا سواد العرب في احترافهم مهناً يزدر بها العربي الصميم ، ويحتكر من يشتغل بها كالزراعة والصناعات اليدوية ، وإن كانت بعض المراجع إنما تصف الأنباط بأنهم قوم يكرهون الزراعة ويزدرونها ، كما كانوا يأنفون من السكنى في بيوت مستقرة ، وقد كانوا رعاة يربون الأغنام وغيرها من الماشية ، كما كانوا لايأمنون وجود الأجانب بينهم خشية أن يقعوا تحت سيطرتهم، ومن ثم فقد كانوا إذا ما وجدوا غريباً بينهم قتلوه (3) وأياً ماكان الأمر فإن العلماء يقدمون كثيراً من الأدلة على عروبة الأنباط .

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 162

(2) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 494

جرجس زيدان : المرجع السابق ، صـ 81

(3) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 449 ،

جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 10 – 17

الدلائل على عروبة الأنباط :

أولاً : أن أسماءهم – كما ظهرت فى النقوش النبطية – إنما هى أسماء عربية خالصة ، ومن ذلك نقش " بوتيولى " على مقربة من نابلى بإيطاليا ، حيث نقرأ – ولأول مرة – اسم " على " الذى شاع بين المسلمين بعد ذلك ، كما نقرأ فى نقوش أخرى أسماء عربية مثل حبيب وسعيد وكهلان وسعد الله وخلف وتيم الله وعميره ووهب وحميد وسكينه وجميلة

ثانياً : أن الأنباط إنما كانوا يشاركون العرب فى عبادة الأصنام المعروفة عندعرب الحجاز ، مثل دوشرا (ذوى الشرى) واللات والعزى ومناة

ثالثاً : أن أثر التحريف العربى فى كتاباتهم الأرامية لايدع مجالاً للشك بأن لغتهم الوطنية ، إنما كانت لهجة عربية شمالية ، حتى بلغ الأمر من كثرة استعمال الكلمات العربية الصرفة فى إحدى الكتابات الأثرية المتأخرة والتى ترجع إلى حوالى 268 م أن النص كله يكاد أن يكون عربياً

رابعاً: أن أسماء ملوكهم كالحارث وعبادة ومالك وجميلة أسماء عربية ، وليس من شك فى أن للإعلام دخل كبير فى بيان أصول الأمم .

خامساً : أن الكتاب القدامى من اليونان والرومان وكذلك المؤرخ اليهودى يوسف بن متى إنما كانوا يطلقون على النبط كلمة العرب وعلى أرضهم لفظ العربية الحجرية " Arabia Petreae"

سادساً : أن لغتهم الأصلية إنما كانت العربية ، وأنهم لم يستعملوا اللغة والكتابة الأرامية إلا فى النقوش (1) وهكذا يتجه كثير من العلماء إلى أن الموطن الأصلى للأنباط ، إنما هو بلاد العرب – سواء أكان ذلك فى الوسط أو فى الجنوب – ومن ثم فإن فريقاً من الباحثين يذهب إلى أنهم قد نزحوا من البوادى إلى أعالى الحجاز حيث استقروا هناك واشتغلوا بالزراعة والتجارة والإشراف على القوافل التجارية ، بينما ذهب فريق أخر إلى أنهم من العربية الجنوبية ومن ثم فقد كان هذا سبباً فى إحترافهم الحرف المألوفة فى بلاد العرب الجنوبية منذ العهود القديمة (2) ويرى جواد على أن الأنباط عرب بل هم أقرب إلى قريش وإلى القبائل الحجازية التى أدركت الإسلام ، من العرب الجنوبيين ، وذلك لأنهم إنما يشاركون قريشاً فى كثير من الأسماء ، مثل حبيب وسعيد والحارث وقصى وعمرو ومسعود ، وفى كثير من عبادة الأصنام كاللات والعزى ومناة ، وأن خط النبط قريب من خط كتبه الوحى وأنهم يتكلمون لهجة قريبة من العربية (3) وقد ترك لنا الأنباط كتابات كثيرة فى مواضع متفرقة (4) كالبتراء والحجر والعلا وتيماء وخيبر ، وفى صيدا ودمشق ، فضلاً عن أماكن أخرى فى حوران وسيناء والجوف واليمن ومصر وإيطاليا – وقد اهتم العلماء بدراستها ونشرها . وعلى أى حال فقد وصلت مملكة الأنباط إلى أوج مجدها فى أيام "الحارث الرابع"(9 ق . م .- 40 م) ، وأنها كانت تشمل منطقة واسعة تضم دمشق وسهل البقاع والأقسام الجنوبية الشرقية من فلسطين ، وحوران وأدوم ومدن العلا وسواحل البحر الأحمر ، وبعبارة أخرى ، فإنها كانت تضم جنوبى فلسطين وشرق الأردن وسورية الجنوبية وشمال شبه الجزيرة العربية ، وهناك مايشير إلى وجود آثار للأنباط فى الأقسام الشرقية من دلتا النيل (5).

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 86 ، فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 81 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 497 ، بلاشير ، تاريخ الادب العربى ، بيروت 1956 ، صـ 55 – 56 ،

(2) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 10 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 498

(3) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 498

(4) Musil,A., In the Arabia Desert, N . Y . ,1930,P471

عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، صـ 166

(5) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ422 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 15

وقد ظهر الأنباط لأول مرة في القرن السادس قبل الميلاد ، كقبائل بدوية في الصحراء الواقعة شرقي الأردن ثم استمروا كذلك حتى القرن الرابع الميلادى رحلاً يعيشون في خيام ، ويتكلمون العربية ويكرهون الخمر ولا يهتمون كثيراً بالزراعة وفي القرن التالي تركوا حياة الرعي واتبعوا حياة الإستقرار ، وعملوا في الزراعة والتجارة ، وفي أواخر القرن الثاني قبل الميلاد تحولوا إلى مجتمع منظم متقدم في الحضارة (1) ولما أقدم ما وصلنا من أخبار عن الأنباط ، فإنما يرجع إلى عام 312 ق . م . حيث سجل هذا العام انتصار الأنباط على قوات "انتيجونوس" . (2)
ويبدو أن علاقة الأنباط بالبطالمة بدأت تتدهور على أيام الملك "بطلميوس الثاني" (284 – 246 ق . م .) حيث بدأ هذا الملك يفكر في إحتكار التجارة البحرية والسيطرة على البحر الأحمر ، ومن ثم فقد أمر بفتح القناة القديمة التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر ، وهكذا وضع بطلميوس الثاني الساحل العربي للبحر الأحمر تحت سلطانه ، كما عمل في نفس الوقت على توطيد علاقاته الطيبة " بديدان " على طريق القوافل وربطها بميناء جديد على البحر الأحمر ، مما أدى في نهاية الأمر إلى تحويل تجارة البخور عن طريقها القديم الذي كان يمر ببلاد الأنباط إلى هذا الطريق الجديد ثم العمل على نقلها بعد ذلك إلى مصر ، عبر البحر الأحمر ، عن طريق المراكب (3) وقد أدى ذلك كله إلى أن تشهد العلاقات التجارية بين مصر وبلاد العرب نشاطاً لم تعهده من قبل ، ولا أدل على ذلك من ان البطالمة قد أنشأوا منصباً جديداً في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الأول قبل الميلاد ، وهو منصب " قائد البحر الأحمر والبحر الهندي " إلا أن الأمر كان قد اختلف ، فقد كان استكشاف السواحل العربية على البحر الأحمر وإعادة القناة التي تصل النيل بالبحر الأحمر ، فضلاً عن خضوع فلسطين وفينيقيا لمصر ، إنما يعني سيطرة مصر على التجارة البحرية ، وهذا يعني ببساطة خسائر فادحة للأنباط الذين كانوا يحصلون على أرباح باهظة من تجارة القوافل التي كانت تمر ببلادهم ، ومن ثم فقد انتهز الأنباط فرصة الحروب التي دارت بين البطالمة والسلوقيين وأخذوا يغيرون على السفن الذاهبة أو الآيبة من مصر ، وقد أدى هذا إلى أن ينشأ بطلميوس الثاني قوة بحرية لحراسة هذه السفن التجارية ، كما أن من المحتمل أن الملك بطلميوس قد أرسل حملة ضد الأنباط فضلاً عن الإستيلاء على أهم المحطات والموانى التجارية ، كميناء " أيلة " عند خليج العقبة ، و" لوكي كومي " على ساحل الحجاز ، كما أنه من المحتمل كذلك أن بطلميوس قد استولى وقت ذلك على الشاطئ الشرقي للبحر الميت الذي كان في قبضة الأنباط ، كما أنه هناك احتمالاً أنه قد شجع " ميليتوس " على إنشاء مستعمرة لها على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر في مواجهة المدينة المنورة ، ومن هذا الثغر الذي عرف باسم " أمبلوني " كانت تجارة بلاد العرب والهند تنتقل إلى مصر (4)

---

(1) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 221 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 502
(2) مصطفى العبادي : مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي صـ 28 – 44 ،
لطفي عبد الوهاب : دراسات في تاريخ مصر ، جـ 1 ، صـ 85 – 94
(3) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 505 – 506
(4) ابراهيم نصحي : دراسات في تاريخ مصر ، صـ 150 ، 122 – 123
محمد بيومي مهران : " العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة " مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الإجتماعية ، العدد السادس ، الرياض 1976 ، صـ 287 – 437 ،
جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 20 - 28

ملوك الأنباط :

كان " الحارث الأول " (169 – 146 ق . م .) على رأس هؤلاء الملوك ، وكان يدعى عند اليهود " أريتاس " ملك العرب ، وقد تسمى باسم " الحارث " كثير من ملوك الأنباط ، ومن ثم فقد ذهب بعض الأراء إلى أن هذا الإسم إنما كان لقباً لملوك الأنباط ، مثله فى ذلك مثل لقب " فرعون " عند المصريين ، وقيصر عند الروم وكسرى عند الفرس والنجاشى عند الحبشة ، وتبع عند اليمنيين ، وكان الحارث معاصراً لمؤسس الأسرة المكابية وأن الأسرتين قد بدأتا عهدهما كحليفين ضد ملوك سورية السلوقيين (1) .

وقد جاء " زيد أيل " (146 – 110 ق . م .) وبعد الحارث الأول ثم خلفه " الحارث الثانى " فى الفترة (100 – 96 ق . م .) .وبعد الحارث الثالث الذى جاء بعد " رب إيل الأول " من أشهر ملوك الأنباط ، وقد اقترن عهده بفتوحات واسعة ، بدأت باستيلاؤه على دمشق ، وعلى سها البقاع فى حوالى (85 ق . م .) ، وقد عمل الحارث على الأستفادة من اليونانيين فى تنظيم جيشه وتدريبه وقد بدأ الحارث الثالث يتدخل فى شئون مملكة يهوذا ، وبدأ الجيش النبطى يهاجم يهوذا ، ويشتبك معها فى معركة ضارية عند " اللد " ينهزم فيها جيش اليهود شر هزيمة ، ويحاصر القدس وفى عام 62 ق . م . يدأ الرومان يتحرشون بالحارث الثالث النبطى ، ودارت الحرب بينهما وكانت الغلبة للرومان الأمر الذى جعل القائد الرومانى "سكورس" يأمر بأن تضرب النقود وعليها صورة الحارث وهو منكس الرأس ، وحاملاً سعفه تعبيراً عن استسلامه وهكذا انتهت آمال الحارث فى أن يرث مملكة السلوقيين فى الشام ، خاصة وأن " بومبى " كان قد استولى على دمشق عام 64 ق . م . ، بعد أن كان الحارث الثالث قد أخلاها منذ عام 70 ق . م .

وجاء بعد الحارث ولده " عبادة الثانى " الذى حكم فى الفترة (62 – 60 ق . م .) ولدينا من عهده عملة من الفضة من فئة الدراخما ، يرجع إلى العام الثانى أو الثالث من حكمه ، ويبدو أن سياسة الأنباط منذ أيامه كانت مقصورة على المحافظة على استقلالهم ، والإرتباط بالرومان بروابط الحلف والولاء ثم خلفه " مالك الأول " ويذكر عن عصره أن الأنواء كانت قد عصفت بسفينة الأنباط ، وتدهورت العلاقات بين الروم والأنباط تدهوراً كبيراً ، ربما بسبب امتناع الأنباط عن دفع الجزيه للرومان ، وربما لأن الأنباط وقفوا بجانب الفرس عندما أرادوا الإستيلاء على فلسطين وكانت " كليوباتره " صاحبة الحق فى جزية الرومان من الانباط ، غير ان الانباط قد إمتنعوا عن دفع الجزية لملكة مصر ومن ثم فقد طلبت كليوباترة من "مارك انطونيو" الاسراع فى تأديب الانباط . وكانت سياسة كليوباتره تهدف الي السيطره علي بلاد العرب الشمالية فضلا عما منحه إياها " أنطونيو " من اجزاء فى فينيقيا وسوريه، ومن ثم فقد ارادت التخلص من ملكى العرب واليهود على السواء. وبدأ " هيرودوس " يشن الهجوم على الانباط والتحم مع الانباط فى معركة ضارية عند " عمان " فانزل بهم خسائر فادحة ، فاقت خمسة آلاف قتيل واربعة الاف اسير ، وكان نتيجة ذلك كله ان اضطر الانباط الى دفع جزية الى " هيرودوس " وقد جاء بعد ذلك على عرش الانباط الملك " عباده الثالث " ، وخلفه على عرش الانباط " الحارث الرابع" لمدة حكم تقرب نصف قرن من الزمن (9 ق.م- 40 م) وقد حمل هذا الملك لقب " رحم عم" اى " المحب لأمته" ولقب " ملك النبط" وقد كان عهده عهد رخاء وسلام . وقد خلف الحارث الرابع الملك " مالك الثانى" (من 40 م- 71 م او 75 م) ويبدو ان الانباط قد فقدوا على أيامه مدينة دمشق، وقد وصل الينا من عهده عملات فضية وبرونزية نقشت عليها صورته وصورة زوجته التى وصفت بأنها" شقيقة الملك" ، مما يشير إلىان بعض الملكات كن زوجات شقيقات للملوك الحاكمين ، متبعين فى ذلك عادة البطالمة ، والذين نقلوها بدورهم عن الفراعنة ،

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 508

وفي هذا اشارة الى ان المرأة النبطية انما قد وصلت الى منزلة رفيعة اثناء عهد الملكية. ويوجد ما يشير الى ان هذا الملك " مالك الثاني" قد اشترك بفرقة من جيشه في الهجوم الذي شنه" تيتوس" في عام 70 م على اورشليم، والذي انتهى بتدمير المدينة المقدسة، وبانتهاء الكيان السياسي لليهود في فلسطين وجاء بعد مالك الثاني الملك" رب ايل" ويبدو ان حكمه كان تحت وصيه امه " شقيلة" وان اخاه " انيس" كان يساعد امه في شئون الحكم ، وحينما بلغ الصبي رشده تزوج من اخته " جميلة" التي نقشت صورتها بجانب صورته على احدى العملات واستقل بالحكم ، ويبدو انه هو الذي وصف بأنه " الذي جلب الحياة والخلاص لشعبه" . ويبدو ان الظروف السياسية بدأت تتغير عند وفاة "رب ايل الثاني" فقد امر "ترجان" نائبه في سوريه بأن يزحف على البتراء ، وان يضم دولة الانباط الى الامبراطورية الرومانية في عام 106 م وهكذا اصبحت تعرف فيما بعد بأسم " المنطقة العربية" وغدت بصرى عاصمة لها ، بينما اخذت البتراء تتضائل شيئاً فشيئاً . على ان نشاط الانباط الاقتصادي رغم ضياع نفوذها السياسي لم يتوقف وظلوا يمارسون التجارة وقيادة القوافل بين مصر وبلاد العرب وموانئ البحر الاحمر وبخاصة تلك التي تواجه السواحل المصرية كما تدلنا على ذلك كتبا نبطية من سيناء ومن داخل مصر(1).

البتراء : تعد البتراء واحدة من أشهر مدن العالم القديم ، وكانت عاصمة لأدوم ، ثم صارت لمؤاب ، ومن بعدهم أصبحت البتراء عاصمة للأنباط ، وتقع البتراء إلى الشرق من وادي عربة ، في منتصف المسافة تقريباً بين رأس خليج العقبة والبحر الميت أو على مبعدة خمسين ميلاً إلى الجنوب من البحر الميت ، والبتراء كلمة يونانية تعني الصخر ، وهي ترجمة للكلمة العبرانية " سلع " التي جاءت في التوراة والتي كانت تطلق على البتراء من قبل ، كما كانت كلمة " سلع " تعني كذلك " الشق في الصخر " وربما كانت التسمية العبرية أكثر دقة ، لأن مدخل البتراء يتسم بوجود أخدود عميق بين جبلين يعرف اليوم باسم " السيق " ولعله لفظ نبطي متوارث ، حرفه الناس عن " الشق " في السبأيه القديمة . أما الإسم العربي للبتراء فهو " الرقيم " وربما هو اسم ثان للبتراء كان الأغريق يعرفونه به هو " Arke " فحرفه العرب إلى الرقيم ، وربما أرادوا بالرقيم " خزانة فرعون "وأما اسمها الحديث فهو " وادى موسى" وقد وصف " سترابون " البتراء بأنها عاصمة الأنباط ، وذكرها أنها كانت غابة نخيل وموضع غني بالمياه ولقد ازدهرت البتراء في أخريات القرن الرابع ق . م . ، واستمرت كذلك حوالي أربعة قرون ، وكانت تشغل مركزاً خطيراً على طريق القوافل الذي يقطع الصحراء واصلاً بين سبأ في الجنوب وثغور بحر الروم في الشمال ، ويبدو أن ملوك الأنباط قد أقاموا في أخريات دولتهم في " بصرى " ثم جاء الغزو الروماني لمدينة البتراء في عام 106 م ، فانتقل الثقل بصفة نهائية إلى " بصرى "ولعل أهم أثار البتراء خزانة فرعون المنحوتة في الصخر ، ومعبد بني في القرن الأول ق . م . وكان يضم عدة أصنام على رأسها " دوشرا " (ذي الشرى) وكانت سيدة الألهات عند الأنباط " اللات " التي اعتبرها هيرودوت " أفروديت " كما يوجد بها " النجر " وهو جبل مقدس ، تمتد على مقربة منه مذابح تقديم القرابين ، وقد مر الرسول – صلى الله عليه وسلم – على البتراء حينما خرج في السنة السادسة من الهجرة لغزو بني لحيان (2)

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 53 ، عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 224 ، جرجس زيدان : المرجع السابق ، صـ 73 ، محمد مبروك نافع : المرجع السابق ، صـ 87 ، فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 428 – 429 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 521 – 523

(2) أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 199

ثالثا : مملكة تدمر

تدمر وتطورها التاريخي :

تقع مدينة تدمر على بعد 100 كم من حمص ، 150كم إلى الشمال الشرقي من دمشق ، في منتصف المسافة بين دمشق والفرات (1) ومن ثم فقد كانت موقعاً هاماً على الطريق التجاري بين العراق والشام ، بل كانت نقطة إلتقاء التجارة القادمة من أسواق العراق ، وما يتصل بها من أسواق في إيران والهند والخليج والعربية الشرقية ، وبين تلك التي على البحر المتوسط ، وبخاصة في الشام ومصر ، فضلاً عن اتصالها بالعربية الغربية وبأسواقها الغنية بأموال أفريقية والعربية الجنوبية والهند ، وهكذا أصبحت تدمر ملتقى جميع القوافل ، وبخاصة فيما بين القرن الأول قبل الميلاد ، وعام 273 م ، ومن ثم فقد وجد في نقوشها عبارة " زعيم القافلة " وزعيم السوق " باعتبار أن المشار إليه من زعماء المواطنين (2) واسم تدمر اسم سامي ، يرجع ظهوره للمرة الأولى إلى أيام الملك الأشوري تجيلات بيليسر الأول في صورة " تدمر أمورو " (3) وأما اسم تدمر فهو النطق الأرامي لكلمة " تتمر " العربية ، ومعناها المدينة التي يكثر فيها التمر والنخيل (4) وربما كان لها صلة بكلمة " تتمورتا " السريانية ومعناها " يعجب من"(5) وقد ورد اسم تدمر في المصادر العبرانية ، فكاتب الحوليات العبراني يسجل في التوراة أن سليمان عليه السلام قد بنى مدينة تدمر في البرية والأمر كذلك بالنسبة إلى المؤرخ اليهودي " يوسف بن متى " وليس من شك في أن وجهة النظر اليهودية هذه خاطئة ، ذلك لأن تدمر إنما ذكرت في النصوص الأشورية قبل أن يولد سليمان – عليه السلام - وبفترة تسبق ما دون في التوراة بشأنها ، بأكثر من سبعة قرون (6) ومن هنا فقد رأى العلماء أن الرواية التي تذهب إلى أن سليمان هو الذي بنى تدمر ، إما أنها أرادت تعظيم شأن مملكة سليمان كعادة الروايات اليهودية ، ومن ثم فقد نسبت إليه بناء هذه المدينة التي تقع في منطقة بعيدة عن حدود دولته اسرائيل (7) وإنما أن هناك خطأ وقع فيه كاتب الحوليات العبراني حين خلط بين " ثامار " التي أسسها سليمان وهي موضع جاء ذكره في سفر حزقيال ، وربما كانت الشهرة التي اكتسبها تدمر على أيام كتبة الأسفار العبرانيين هي السبب في نسبة بنائها إلى النبي الكريم ، ومن ثم فقد ذهب هؤلاء الكتبة إلى أن المدينة التي بناها سليمان ، ليست هي " ثامار " وإنما هي " تدمر " والتي كانت مدينة عامرة بسكانها وذات شهرة في مجاوراتها فيما بين عامي 300 ، 200 ق .م . (8)وأما الإسم اليوناني للمدينة فهو " بالميرا " " Palmyra " وهي ترجمة لكلمة " ثامار " العبرية، وتعني مدينة النخيل ، وأن الإسكندر المقدوني هو الذيأطلق عليها اسم (Palmyra) بعد أن استولى عليها ، بسبب كثرة النخيل فيها ، ومن ثم فقد عرفت عندالبونان واللاتينيين بهذا الإسم (9) وهناك مايشير إلى وجود نفوذ سلوقي في تدمر

---

(2) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 81 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 199
G . A . Cooke , Palmyra in Encylopaedia Biblica , 17 , 1964 , P . 274 , 279 .
(3) D . D . Luckenbi, Ancient Records of Assyria and Babionia , Chicago , 1927 ,287 , 308 . E . Dhraome . Palmyra dans les Texts Assyriens , RB,1924 106
(4) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، الإسكندرية 1971 ، صـ 115
(5) فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 433
(6) E . Dhorme , OP . Cit . , P 106
محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ 2 ، اسرائيل ، القاهرة 1973 ، صـ 33 – 34
(7) فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 432 ، جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 77
(8) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 77 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، صـ 535
(9) أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 199 ، عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان والعبريين ، القاهرة ، 1960 ، صـ 22

وربما كانت تدمر من نصيب السلوقيين بعد وفاة الإسكندر المقدونى فى عام 323 ق . م . ، وتقسيم امبراطوريته بين قواده ، وقد عثر فيها على حصن سلوقى ، ربما أقيم فى عام 280 ق . م . (1) أما الروايات العربية – وهى روايات متأخرة دخلت إلى المسلمين من أهل الكتاب – فقد نسبت بناؤها إلى الجن بأمر سليمان عليه السلام (2) على أن " ياقوت الحموى " إنما يستبعد نسبة تدمر إلى سليمان ، معللا ذلك بأن أهلها إنما يزعمون أنها ترجع إلى ماقبل عهد سليمان . وأن الناس إذا ماراوا بناءاً عجيباً لم يعرفوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن (3) وهناك من يقدم لنا أبياتاً من شعر " النابغة الذبيانى " يذهب فيه إلى أن المدينة من بناء جن سليمان وقد نسى أصحاب هذا الزعم أن النابغة لم يكن عالماً من علماء التاريخ والآثار ، حتى يكون شعره حجة فى بناء مدينة يرجع ظهورها فى التاريخ إلى أخريات القرن الثانى عشر أو الحادى عشر قبل الميلاد . أما الإخباريون فقد ذكروا قصة بناء المدينة بأمر من إمرأة تدعى " تدمر بنت حسان بن أذينة" (4) " ولعل بلينى " (32 – 79 م) أول الكتاب الكلاسيكيين الذين أشاروا إلى تدمر ، فقد وصفها بأنها مدينة شهيرة ذات موقع ممتاز ، وأرض خصبة ، وأن بها عيوناً وينابيع ، وتحيط بحدائقها الرمال ، وأنها تقع بين الإمبراطورية الرومانية والفارسية ، ومن ثم فقد إضطر أهلها – ضماناً لاستقلالهم - أن يقفوا موقف الحياد بين القوتين المتصارعتين (5) ولعل أقدم كتابه عثر عليها فى المدينة ، فإنما ترجع إلى شهر نوفمبر من السنة التاسعة قبل الميلاد (6) وليس من شك فى أن أهل تدمر كانوا عرباً وشأنهم فى ذلك شأن الأنباط فى البتراء – بدليل وجود بعض المصطلحات والكلمات العربية الاصيلة فى كتاباتهم ، كما أن أسماء الاصنام عندهم عربية ، والامر كذلك بالنسبة إلى أسماء الأعلام ، ومن ثم فقد رأى البعض أنهم من القبائل العربية التى اخذت تستولى على المناطق الخصبة فى شرق الأردن ، عقب انهيار الدولة البابلية الحديثة وسقوط بابل حتى السيادة الفارسية فى عام 539 ق . م . ثم أخذت تستعمل الارامية – وهى لغة الكتابة والثقافة فى غرب الفرات وقت ذلك – لغة لها ، ومع هذا فإن لغتهم هذه ليست إلا لهجة من اللهجات الأرامية العربية ، وأنها لا تختلف كثيراً عن لغة الأنباط ، وعن الأرامية المصرية . وقد طور التدمريون الكتابة الأرامية ، وعنهم انتقلت إلى السريان فى " الرها " فظهر منها الخط السريانى القديم المعروف باسم " الخط السرنجيلى " (7) أما الثقافة التدمرية فكانت مزيجاً من الثقافات العربية والأرامية واليونانية واللاتينية ذلك أن تدمر كما كانت من قبل البتراء – قد نمت فى ظل حضارة الأرامين ، واتخذت لغتهم فضلاً عن المبادئ الأساسية فى تفكيرهم الثقافى والدينى . هذا فى الوقت الذى أخذت فيه كذلك كثيراً من دنيا اليونان والرومان (8) هذا وقد قامت فى تدمر جالية يهودية ، وربما كان ذلك قبل سقوط القدس فى أيدى الرومان على أيام الإمبراطور " فسباسيان " (69 – 79 م) ، وقد عمل هؤلاء بالتجارة وربما نشطوا فى تهويد بعض السكان وربما رجع فريق من هؤلاء اليهود إلى القدس قبل تدميرها

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 85 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 201

(2) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 433

(3) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 536

(4) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 536

(5) W . Wright , an Account of Palmyra and Zenibia with Travels and Adventures in Bashan and the Desert , 1896 , P – 110

(6) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 81 ، حسن ظاظا : المرجع السابق ، صـ 115 محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 537 – 538

(7) حسن ظاظا : المرجع السابق ، صـ 115 – 121

(8) موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 203

على يد " تيتوس " فى عام 70 م . (1) وعلى أى حال فقد بدأت تدمر تزداد قوة وشهرة منذ النصف الأول من القرن الأول قبل الميلاد بسبب الأهمية التجارية والدبلوماسية لموقعها بين امبراطوريتى الفرس والروم المتنافستين ، ثم ساعد موقعها الجغرافى على عدم تمكن أى من الفريقين المتنازعين من سهولة الإستيلاء عليها (2) وقد حاول الإمبراطور " مارك انطونيو " عام 41 ق . م . الإستيلاء على خزائن المدينة ففشل فمدينة هذه مثل تدمر تتمتع بالثروة الضخمة ، وليس لها جيش قوى ضخم لايمكن أن تبقى فى مأمن ومنجاة عن مطامع الغزاة حتى ولو كانت فى بقعة منعزلة أو فى بادية بعيدة (3) ومن هنا فإن تدمر – على الأرجح – قد اعترفت بنوع من السيادة عليها للرومان ، منذ أوائل العصور المسيحية والدليل على ذلك المراسم الإمبراطورية التى ترجع إلى عهد " تيبيريوس " (14 – 37 م) (4) ، والتى تتعلق بالرسوم الجمركية ، وقد عثر فى تدمر على قوائم ترجع إلى عام 17 م ، تبين بعض الرسوم على البضائع وأثمانها باليونانية والتدمرية . (5) هذا ويبدو أن تدمر قد أصبحت على أيام فسباسيان ، تحت الإشراف الرومانى ، وإن كان هذا لايعنى الخضوع لروما ، وإنما كان هناك إشراف رومى عام على المدينة ، بدليل أن الروم قد سمحوا للمدينة بحق الإحتفاظ بحامياتها في خارج تدمر (6) وقد بذل " تراجان " (98 – 117 م) جهده لضم تدمر إلى المقاطعةالعربية التى أنشأها فى عام 106 م ، واتخذ من " بصرى " مقراً لها ، وفى عام 130 م زار هدريان بالميرا ، كما أصبحت المدن التابعة لتدمر تابعة لروما ، وفى الواقع لقد نالت تدمر عناية كبيرة من " هدريان " حتى قيل أنه هو المؤسس الثانى لها ، فاهتم بحماية الطرق البرية التى توصلها إلى نهر الفرات ، والتى كانت شرياناً هاماً للتجارة العالمية أنذاك ، ثم كانت العلاقة الطيبة بين الفرس والروم فى عهده سبباً فى رخاء تدمر وقد عثر على كتابة ترجع إلى عام 137 م أصدرها مجلس شيوخ مدينة تدمر لتنظيم التجارة وتثبيت الضرائب وكيفية جبايتها (7) وفى أوائل القرن الثالث الميلادى منح " سبتميوس سيفيروس" (193 – 211 م) تدمر حقوق المستعمرة ، واستمرت كذلك حتى على أيام " كراكلا " (211 – 217) وهكذا اكتسبت تدمر حق الملكية والإعفاء من الخراج ، فضلاً عن الحرية التامة فى إدارة شئونها ، وبدأ كبار القوم يضيفون إلى أسمائهم العربية أو الأرامية أسماء رومية ، بل وقد أضافت إحدى الأسر اسم " سبتميوس " أمام اسمها السامى ، ممايدل على تمتعها حق الرعاية فى عهد " سيفيروس " وربما كان ذلك بسبب الخدمات التى قدمتها تدمر فى صراع الرومان ضد الفرس ، إلا أن ذلك لا يعنى أن تدمر أصبحت مقاطعة رومية تماماً وإنما كانت حكومة شبه مستقلة ، تدير شئونها الإدارية بنفسها ، ولكنها تخضع لإشراف روما عليها (8) وانتهزت تدمر فرصة إنشغال روما بغزوات الجرمان التى كانت تهدد دولتهم فى أوروبا الغربية وأخذت توسع رقعتها وإن ظلت وفيه للروم وهكذا أصبحت تدمر تشمل عدداً كبيراً من المدن الصغيرة التابعة لها مثل " دورا " والرصافة (9)

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 84 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 200 – 201
(2) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 433
(3) جواد على : المرجع السابق جـ 3 ، صـ 84
(4) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 311 ، 312 ، 363
(5) G . A . Cooke , OP . cit ,P 313 – 332 أحمد سليم المرجع السابق ، صـ 203
(6) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 86
(7) جواد على : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 87 G . A . Cooke . OP . cit ., P 322 أحمد سليم : المرجع السابق : صـ 302
(8) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 435 – 436
(9) عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب جـ 1، صـ 249

أسرة أذينة :

لقد ارتفعت أسرة أذينه التيكان يتصدر اسمها كلمة " سبتميوس " إلى مكانة الزعامة في تدمر في منتصف القرن الثالث الميلادى وهناك مايشير إلى أن جد أذينة الكبير كان يدعي "ناصر " (نصرو) ولد " وهب اللات " (وهبلات) وأن هذا الأخير إنما هو ولد " خيران " أبو " أذينه " (1) وقد عثر على كتابة ترجع إلى عام 235 م ورد فيها اسم " أذينة بنت خيران بن وهب اللات بن نصرو " وأن كان عضوا بمجلس الشيوخ الروماني ، كما أن أباه "خيران " كان يحمل لقب " سبتميوس خيران " وأنه كان رأس تدمر ، وعضو مجلس شيوخها ، وأنه قد تمكن من تثبيت حكم أسرته ، والهيمنة على شئون المدينة ، ومن توسع تجارتها عقد لكتسب منزلة كبيرة عند أهل تدمر وعند الرومان (2) وفي عهد " خيران " هذا أخذت تدمر دورها في القضايا الدولية ، وما أن قامت الدولة الساسانية في عام 226 م تحت زعامة " أردشير بن بابك بن ساسان " (226 – 241 م) حتى بدأ الشرق يضطرب بالصراع بين الروم والفرس ، وكان على أهل تدمر أن يختاروا الإنضمام إلى إحدى القوتين الكبرتين ، فاصروا الإنضمام إلى الروم بسبب العلاقات القديمة وقد إغتنم أهل تدمر فرصة نجاح "سابور" (241 – 272 م) ملك فارس في التوغل في سوريا والقبض على الإمبراطور الروماني " فاليران " (253 – 260 م) بعد هزيمة الجيوش الرومانية قرب "أديسا" في عام 260 م ، واستيلاء الفرس على آسيا الصغرى وشمال سورية (3) وكان لأذينة ثأر عند الرومان ، منذ أن قتل قائدهم " روفينوس " أباه " أذينة الأول " ومن ثم فإن أذينة ما أن علم بهزيمة الروم في عام 260 م وأسر " فاليران " حتى أسرع بالإتصال بالفرس ، مقدما لهم الهدايا ، وعارضا عليهم صداقته إلا أن الإمبراطور الفارسي رفض وتوعد أذينة بسوء المصير ، وكان هذا التصرف الأحمق من ملك الفرس سببا في أ، يجمع أذينة أهل تدمر ويخرج بهم للإنتقام من ملك الفرس وتنتهي المعركة بينهما بهزيمة منكرة للفرس ، وذهبت بعض الروايات إلى أن أذينة قد طارد المهزومين حتى أسوار عاصمتهم " اصطخر " التي خلفت مدينة "برسيبوليس " القديمة (4) ويكتب أذينة إلي الإمبراطور الروماني " جالينيو " بكل هذه الأحداث ويسعد الامبراطور الروماني لهذه الأخبار ، ويطلب من أذينة الإستمرار في الحرب ، وينعم على أذينة بلقب " زعيم الشرق مما جعله أشبه بنائب الإمبراطور الروماني في الشرق . وفي عام 265 ماتجه أذينة أو ملك الملوك إلى محاربة الفرس من جديد ، ربما لأنه لم ينسي إهانة امبراطور الفرس " سابور " له ، ويضطر " سابور " إلى أن يظهر استعداده لعقد محالفة مع أذينة، وأن الرومان بموت أذينة،إنما فقدوا الحماية لإمبراطوريتهم في الشرق (5)

الزباء : جاءت الزباء (زنوبيا) إلى العرش وصية على ولدها القاصر " وهب اللات " بعد مقتل أبيه أذينة ، وتدعى في الكتابات التدمرية " بيت زباى " أي " إبنة العطية " وهي الزباء في المصادر العربية ، وإن اختلفت هذه المصادر في اسم هذه المرأة ، فهي " الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة " ، وهي " ليلى " على زعم آخر ، ولها أخت دعوها "زبيبة" لها قصر حصين على شاطئ الفرات الغربي . وينسب الأخباريون إلى الزباء كثيرا من القصص بعضها لطيف وبعضها غريب

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 90 – 91

(2) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 91

(3) آرثر كريستنس : ايران في عهد الساسانيون مترجم بالقاهرة ، 1957 ، صـ 210 – 212 ، عبد العزيز صالح المرجع السابق ، صـ 251

(4) أحمد فخري : مصر الفرعونية ، صـ 229 ، آرثر كريستنس ، المرجع السابق ، صـ 80
A. M usil , Palmyrena, N.Y.1930, P 247 .

(5) جواد علي المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 98 – 99 ، فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 438

وإن كان معظمه بعيد عن الحقائق التاريخية وأياً ماكان الامر ، فهناك روايات يفهم منها أن الزباء إنما كانت تزعم أنها مصرية ، من سلالة كليوباترا ، وأنها كانت تتحدث المصرية بطلاقة، وقد ألفت كتاباً في التاريخ - وبخاصة في تاريخ مصر - خطته بيدها (1) . وأنها كانت مثقفة ومن ثم فقد استدعت إلى عاصمتها المشاهير من رجال الفكر وذهبت روايات أخرى إلى أنها سمحت لجالية يهودية بالإقامة في عاصمتها ، وأن هذه الجالية قد جاءت إلى تدمر بعد تدمير بيت المقدس على يد " تيتوس " في عام 70 م ، وأنها بلغت حوالي نصف سكان المدينة (2) ويختلف المؤرخون في أصل الزباء ، فقد ذهب فريق منهم إلى أنها مصرية ، وذهب فريق ثان إلى أنها من العماليق ، وذهب فريق ثالث إلى أنها أدومية ، واتجه فريق رابع إلى أنها من أصل عربي ، ولكنها من دم مصري من ناحية الأم ، بل إن المؤرخ المسعودي يرى أنها رومية تتكلم العربية ، ومع ذلك فإن الغالبية إنما تكاد تجمع على أنها عربية (3) وأياً ماكانت المبالغة في ذلك كله ، فالذي لاشك فيه أن تلك المراة كانت خير خلف لزوجها البطل ، وأنها منذ أن أعلنت نفسها ملكة على العرش ، بدأت تعمل على تكوين دولة عربية قوية تحت زعامتها ، وأنها أدركت بفطنتها السياسية أن أعداء تدمر ، إنما هم الرومان والذين لايفكرون إلا في مصلحة روما فحسب ، ومن ثم فقد بدأت تتقرب إلى العناصر العربية المستوطنة في المدن ، فضلاً عن الأعراب الذين كانت ترى أنهم عمادها في القتال وسندها في الحروب إلا أن الرومان كانوا أسرع منها فقضوا على آمالها قبل أن تتحقق ، بل إحتلوا تدمر نفسها (4) وكانت بداية النزاع بين الزباء والرومان ، يوم أرسل جالينو بجيش لإحتلال تدمر والقضاء على الزباء قبل أن يستفحل خطرها ، متظاهراً بأنه يريد محاربة الفرس ، إلا أن الملكة العربية سرعان ماإكتشفت السر ، ومن ثم فقد دارت بين الفريقين معركة حامية كتب النصر فيها للزباء ، وحاقت الهزيمة بالرومان ، وفي نفس الوقت خافت الملكة أن يستغل الفرس الفرصة ، فيوجهوا إليها ضربة ، ومن ثم فقد أنشأت حصناً على الفرات أطلق عليه " زنوبيا " نسبة إلى اسمها (5) وأخيراً بدأت الزباء ترنو بناظريها نحو أرض الكنانة ، تلك الأرض الخصبة الآهلة بالسكان وذات التاريخ المجيد والثقافة العريقة بعد أن ذاعت صدقاً أو كذباً أنها مصرية من نسل كليوباترة ، وجاءتها الفرصة ممثلة ، في مقتل جالينو عام 268 ، وتولية " كلوديوس " (268 – 270) خلفاً له ، وفي نفس الوقت كان الألمان والقوط قد بدأوا يهاجمون القسم الغربي من الإمبراطورية الرومانية ، مما دفع " بروبوس " الحاكم الروماني في مصر إلى أن يخرج بأسطول الإسكندرية لمطاردة القوط وهنا بدأ الزعماء المصريون وعلى رأسهم تيما جنيس وفرموس يحرضون الزباء على فتح مصر ، بل ويقدمون لها العون المادي على هذا الفتح .

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 107

E. Gibbon, the Decline and fall of the Roman Empire , London . 1950 , P 202

(2) محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم ، صـ 549

(3) سعد زغلول : المرجع السابق ، صـ 158

E . Wright , OP . cit . , P.131

ادوارد جيبون : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها معرب بالقاهرة

(4) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 113 ،

أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 206 - 207

(5) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 113 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 207

وهكذا تحرك " زبدا " قائد جيش الزباء على رأس حملة ، قوامها سبعون ألف رجل إلى مصر ، وهناك دارت معركة رهيبة بين الفريقين ، وانتهت بنصر لجيش زنوبيا ، وهزيمة ساحقة لجيوش روما وضم مصر إلى دولة الزباء ، وما أن علم " بروبوس " بما حدث حتى أسرع إلى مصر وأخذ يتعقب الجنود التدمريين ويطاردهم في كل مكان ، وتعلم الزباء بالتطورات ، فتأمر " زبدا " قائدها بالعودة إلى مصر ، حيث يشتبك الرومان والتدمريين في معارك ضارية (1) . وتنتهي المعارك باتفاق بين الزباء والرومان في أخريات أيام " كلوديوس " على أن يكون حكم مصر مشتركاً بينهما ، والدليل ما عثر عليه من عملات تدمرية نقشت في الإسكندرية في عامي 270 – 271 م ، وعلى وجهها صورة القيصر " أورليان " (270 – 275 م) بجانب صورة " وهب اللات " (ابن الزباء) مما يدل على الحكم المزدوج بينهما . (2) كان فتح الزباء مصر والإستيلاء على الإسكندرية أهم مدن الإمبراطورية الرومانية قاطبة بعد روما ضربة أصابت الرومان في الصميم ، ثم جاءت سياسة الزباء التوسعية في الشام وآسيا الصغرى دليلاً على طموح تلك المرأة القوية ومن ثم فإن الامبراطور " أورليان " بعد أن قضى على الإضطرابات في روما ورد هجوم القوط ، حتى بدأ يعد العدة لمعركة فاصلة مع الزباء غير أن الملكة العربية سرعان ما علمت بدورها بنية الإمبراطور الروماني ، وقررت أن تتحدى الرومان و نرها تأمر بإلغاء الاتفاقية المبرمة مع " كلوديوس " فتصدر النقود في الاسكندرية وقد خلت من صورتها صورة " اورليان " و اقتصرت على صورة ولدها " وهب اللات " الذي اتخذ لقب " اغسطس " ، و هو اللقب الخاص " بأورليان " (3) . و هناك رواية تذهب الى ان الزباء قد اتصلت بالملكة " فيكتوريا " ملكة اقليم الغال لتنسيق خططها ضد الرومان ثم بدأت جيوشها تتوغل في اسيا الصغرى ، ووصلت جيوشها حتى " خلقدونية " مقابل بيزنطة و هكذا استطاعت ملكة البادية ان تكون لنفسها و لابنها امبراطورية انتزعتها من بين مخالب النسر الروماني و هو في اوج قوته . (4) غير ان تنفيذ هذه الخطه دعا الزباء الى ان تسحب كثيرا من قواتها من مصر و انتهز " اورليان " تلك الفرصة ، و نجح قائده في أن يلحق بالتدمريين في عام 271م هزيمة كانت نتيجتها خروج مصر من امبراطورية الزباء و انقطاع ضرب النقود في الاسكندرية باسم ولدها " وهب اللات " ، كما بدأت الزباء تفقد الثقه بنفسها و بجيشها كما شجعت اهل " خلقدونية " باسيا الصغرى على صد هجوم التدمريين ، فضلاً في نجدة قريبة تأتي من القيصر الروماني ، و هكذا استطاع " اورليان " في عام 272م ان يخضع الحاميات التدمرية في اسيا الصغرى و ان يتابع مسيرته حتى سورية (5) .

و استعدت الزباء لملاقاة " اورليان " في حمص على رأس جيش قوامه سبعون الفا ، و تكرر ما حدث في انطاكية ، نصر للزباء في أول الأمر ثم هزيمة لها بعد ذلك ، مما اضطرها الى ترك حمص ، و الاحتماء بتدمر نفسها ، وهكذا دخل " اورليان " حمص وزار معبدها و قدم القرابين لاله المدينة كما تعهد بتجميل المعبد و توسيعه (6) . و قد حاولت الزباء الاتصال بالفرس طلباً للمساعده ضد عدوها المشترك ، غير ان الفرس قد انصرفوا عن ذلك ، بموت " سابور " و تولية ولده

---

(1) أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 207 – 208

(2) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 115 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 208

W . Wright , OP . cit , P . 137

(3) جواد علي : المرجع السابق ، جـ3 ، صـ 116 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 208

(4) فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 440 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 208

(5) جواد علي : المرجع السابق ، جـ3 ، صـ 117 ، أحمد سليم : المرجع السابق ، صـ 209

(6) فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 440 ، E. Gibbon, op . cit ., P . 256 .

" هرمز الاول " (272 – 273) ، ثم عزله بعد عام واحداً (1) . و يبدا الرومان محاصرة تدمر و يعرض القيصر على الزباء التسليم بشروط معتدلة ، و ترفض الملكة العربية العرض و معلنه انها تفضل مصير كليوباترة على عار الاستسلام للقصير و انها سوف تلقنه درساً قاسياً على جرأته على الكتابة اليها طالبا منها الاستسلام ، و يأتي اليها العون من الفرس و العرب و الأرمن ، ولكنها أدركت انها تحارب في معركة خاسرة ، و من ثم فقد قررت ان تذهب بنفسها الى ملك الفرس ، الا انها لم تنجح في مهمتها و يقبض عليها خيالة الرومان و هي في طريقها الى ملك الفرس ، وهكذا فقدت الزباء الامل في نصرة الفرس لها ، كما فقدت ابنها و هو يذود عن بلاده (2) . و هكذا لم يصبح امام تدمر سوى الاستسلام ، و من ثم فقد فتحت ابوابها في اوائل عام 173م لقيصر روما ، فدخلها " اورليان " دخول الفاتحين ، كما جردها من تحفها الثمنية التى اخذ بعضها لتذين معبد الشمس الجديد في روما ، و هكذا عادة تدمر الى حظيرة الامبراطورية الرومانية بعد ان شقت عصا الطاعة منذ اسر " فالريان " في عام 206م (3) و اخذت الزباء الى حمص و هناك عقد مجلس لمحاكمة الملكة العربية ورجال بلاطها . وهكذا اخذت تدمر تتوارى في الظلام ، حتى انها عدت على ايام " دقلديانوس " (284 – 305) بمثابة قرية صغيرة ، و قلعة من قلاع الحدود . و في اوائل القرن الخامس الميلادى ، اصبحت تدمر تابعة لولاية فينيقيا و قد عين فيها " ثيودوسيوس " (408 – 405 م) فرقة من الجنود لحمايتها من هجمات رجال البادية ، وقد امر " جستنيان " (527 – 565 م) بتقوية حاميتها و اصلاح ما تهدم من مبانيها ، و تحصين قلاعها و اسوارها و تحسين موارد مياها ، ثم اتخاذها مقراً لحكم ولاية فينيقيا ، و مع ذلك فإن تدمر بدأت تفقد اهميتها شيئاً فشيئاً ، و ظلت هكذا حتى فتحها " خالد بن الوليد " صلحاً في عام 634م على ايام الخليفة الراشد ابى بكر الصديق رضى الله عنه و ارضاه (11 – 13هـ = 632 – 634م) غير انها لم ولن تعود كما كانت على ايام الزباء (4) .

---

(1) ارنركريستنس : المرجع السابق ، صـ 215 ، ادوارد جيبون : المرجع السابق ، صـ 271 – 272
w.Wright , op . cit ., P . 167 . FF .

(2) جواد على : المرجع السابق ، جـ3 ، صـ 127

(3) فيليب حتى : المرجع السابق ، صـ 272 W.Wright . op cit ., P . 160 E . Cooke , op . ot . P 267.

(4) جواد على : المرجع السابق ، جـ3 ، صـ 127 – 129 ، احمد سليم : المرجع السابق ، صـ 212
A . Musil , Palmyrcna , p . 247 – 248 . W.Wright , op . cit ., p . 169 .

الفصل التاسع

بعض المظاهر الحضارية

أولاً : الحياة الاقتصادية

نظراً لاتساع رقعة شبة الجزيرة العربية فقد اختلفت ظروفها المناخية الامر الذي كان له اكبر الاثر فى تنوع اقتصادها و عدم اعتمادها على مورد واحد او اثنين . و تعد موارد المياه فى شبه الجزيرة العربية محدودة باستثناء مساحة صغيرة فى الجنوب الغربى تتمثل فى الطائف و فى ابها . و من خلال ذلك نستطيع القول بأن شبة الجزيرة منطقة صحراوية ، ولم تعد تعتمد على مياه الامطار الا فى مناطق قليلة و متفرقة . ولذلك اثرت هذه الطبيعة على الحياة النباتية لان الحرارة مرتفعة و الامطار ضئيلة و السماء خالية من السحب و من هنا كانت النباتات العشبية الفقيرة و الشجيرات خاصة فى المناطق التى بها عيون للمياه و الوديان من حولها و بالتالى حرمت مناطق كبيرة من شبه الجزيرة خاصة المناطق الوسطى من الزراعة المنظمة .
و نظراً لتوافر المياه بصفة خاصة في الجنوب و في الوديان ، فقد انتظمت الانشطة الزراعية هناك و كان الاعتماد الاكبر على الرى و استطاعوا زراعة مساحات واسعة و اتبعوا اساليب و انظمة رى غاية فى الاتقان مثلت فى فن بناء السدود و بذلك حولوا الصحارى و سفوح المرتفعات الى اراضى خصبة (1) لعل من اهم المحاصيل الزراعية فى بلاد العرب انما هما القمح و الشعير و كان القمح و هى كلمة شامية او مصرية او ارامية من " قمحو " (camho) غذاء الطبقة الموسرة المترفة فى الغالب لغلاء ثمنه بالنسبة للفقراء . و الحنطة من الالفاظ الشائعة للقمح عن العرب ايضاً فهى " حطاه " (خطاه) (chittah) عند العراقيين . و اما الشعير فهو ارخص من القمح (الحنطة) ، و من ثم فقد كثر استعماله فى الاكل ، و ما يزال خبز اهل القرى و الاعراب ، و قد كان يهود يثرب يتاجرون فيه ، و خاصته فى سوق " بنى قينقاع " (2) . و كان هناك زراعة الذرة و قد عرفت فى اليمن خاصة ، و كان القوم يخبزونها و يستخرجون منها شراباً ، يقال له " المذر " اشير اليه فى كتب الحديث و الفقه ، وقد نهى الرسول – صلى الله عليه و سلم – عن شربة . وقد عرف العرب زراعة الحمص ، كما عرفوا زراعة العدس ، و الجلبان و القثاء و الثوم و البصل و القرع و البطيخ و الحنظل و كانوا يعالجون به امراضاً كثيرة (3) . ولقد عرف العرب فى الجاهلية انواعاً مختلفة من المعاملات الزراعية ، لعل من اهمها المحاقلة : و هى استئجار الارض بالحنطة او الذهب او اى شىء اخر . المزارعة و هى الاتفاق على ان يزرع شخص ارض شخص اخر نظير نسبة معلومة من الثمر او الحصاد يتفق علية بالثلث او الربع او اقل من ذلك او اكثر . المخابرة : و هى على نمط المزارعة . القصارة : و هى ما تبقى عن السنابل بعد التذرية ، فيكون هناك اتفاق بجعل هذه القصارة من نصيب الذارى احياناً ، و من نصيب صاحب الزرع احياناً اخرى . المساقاة : و هى الاتفاق بين طرفين على قيام احدهما بتوصيل الماء الى ارض الاخر و ذلك فى مقابل تعهد بقسمه الطرف المستفيد من الماء بجزء من المحصول او اى شىء اخر . المحاينة : و هى الحصاد نظير اجر و اخيراً المخاضرة : و هى بيع الثمار قبل ان تنضج ربما للتخلص من معاملات جنى الثمار ، و كانت المخاضرة فى كثير من الاحيان مثار لعدد من الخلافات و المنازعات بين الاطراف المتعاقدة . وقد ادى تواتر هذه الخصومات الى ان نهى سيدنا رسول الله – صلى الله عليه و سلم . عن بيع المحصول قبل ان ينضج (4) .

1- شافيه بدير و نور جلال : تاريخ الشرق الادنى القديم ، صـ 32 – 33
2- محمد بيومى مهران : حضارات الشرق الادنى القديم ، جـ1 ، الاسكندرية ، 1999 ، صـ 211 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ7 ، صـ 58
3- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 211 – 212
4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 212 – 214

ولقد تنوعت الحياة الحيوانية في الاراضى الجافة و شبة الجافة . و تزخر الصحارى بأنواع متعددة من الحيوانات الضارة و القليلة النفع للانسان . كان اهم هذه الحيوانات الجمل و قد كان هناك نوعان جمل العدو و جمل الحمل . و كان الجمل ثروة العربى ، و هو اداة انتقاله ، بل هو نقده الذى يتبادل السلع بواسطته ، و فى نظرى البدوى كان الجمل سفينة الصحراء . كذلك اشتهرت بلاد العرب بجمال خيلها و بتربيتها لاحسن الخيول و بتصديرها لها , والى جانب ذلك عرفت بلاد العرب البغال و الحمير . و كان هناك من الحيوانات البرية الاسد و الفهد و النمر و الضبع و الثعلب و الذئب و الارانب و الغزلان ، و من الطيور هناك النعام و الكروان و الغراب و الهدهد و النسر و العقاب و الصقر (1) . كما كانت للصناعة دور هام فى اقتصاد شبة الجزيرة فقد عرفوا انواعاً من الصناعات المعدنية و الحجرية و الفخارية و الحراب و السهام ، و كان الكثير من المنتجات يعتمد على المنتجات الزراعية كصناعة السلال و الحصير و المقاعد و الاسرة و ساعدهم على ذلك وجود الزراعة ووجود المواد الخام لباقى الصناعات البسيطة (2) . تحتوى الجزيرة العربية على عدد من المعادن فقد كان الذهب و الفضه يتصدران قوائم صادرات شبه الجزيرة و دفعتها قبائلها كجزية و هدايا لموك بلاد النهرين و بلاد الشام . وقد اشار الكتاب و الرحالهة اليونان و الرومان الى وجود الذهب و الفضة فى شبة الجزيرة كمادة خام (3) بالنسبة للذهب فهو من المعادن التى استخرجت من العصور القديمة ، و قد ذكر لنا الجغرافيون العرب اسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب فيها مثل " بيشه " و " خنكان " و المنطقة بين القنفذة و مرسى حلج . اما بالنسبة للفضة فقد وجدت مناجم قديمة للفضة شرقى القنفذه و قد عثر على خامات الرصاص و الزنك شرقى القنفذة و فى منطقة مهد الذهب ، كما عثر على مناجم الحديد فى وادى فاطمه ، و على مصنوعات حديدية فى الخرائب و الاثار و الاماكن القديمة فى اليمن ، و التى اشتهرت بسيوفها فى الجاهلية و الاسلام (4) . و تأتى التجارة ، كمورد هام من الموارد الاقتصادية الهامة فى شبة الجزيرة . فقد كان العرب القدامى – شأنهم شأن غيرهم من الشعوب التجارية . نشيطون فى عالم التجارة . و من البدهى ان موقع شبة الجزيرة انما ساعد كثيراً على ان يحتل اهلها مكانة ممتازة فى العالم التجارة ، حتى ان البعض انما يذهب الى ان الحياة الاقتصادية لجنوب الجزيرة العربية انما كانت تقوم الىجانب الموارد الزراعية على التجارة الدولية (5) و من هنا كان الاهتمام بالتجارة و تنظيمها ، و قد عثر على وفرة من الالفاظ ذات المعانى التجارية التى تتصل بالبيع و الشراء و الامتلاك و العقود و الاوامر التى كانوا الملوك يصدرونها لتنظيم جباية المكوس (الضرائب الجمركية) على السلع التى تباع فى الاسواق و ما يترتب على مخالفتها او التهرب منها من عقوبات . وقد كانت القوانين القتبانية من اقدم و اشهر القوانين التى كانت تنظم الاتجار و التعامل فى السوق و فى تعيين حقوق الدولة و نصيبها من الارباح (6) و اما اهم السلع التى كان العرب يتاجرون فيها فهى الذهب ، و كان على راس السلع التى حملها تجار العرب الى الاشوريين و حكومات العراق و بلاد الشام ، و فى التوراة ذكر الذهب الذى كان يجلبة العرب الى العبرانيين ، و ربما كانت الفضة من سلع التجارة العربية ، فقد ذكر الاخباريون ان " أباسفيان " حمل معه تجارة من الفضة لبيعها فى اسواق الشام فى احدى رحلاته التجارية .

1- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 223 – 227
2- شافية بدير ونور جلال : المرجع السابق ، صـ 36
3- شافية بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صـ 37
4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 219 – 220
5- موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 197 ، محمدبيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 228
6- جواد على : المرجع السابق ، جـ7 ، صـ 232 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 228 – 229

الفصل التاسع

بعض المظاهر الحضارية

اولاً : الحياه الاقتصادية

نظراً لاتساع رقعة شبة الجزيرة العربية فقد اختلفت ظروفها المناخية الامر الذي كان له اكبر الاثر فى تنوع اقتصادها و عدم اعتمادها على مورد واحد او اثنين . و تعد موارد المياه فى شبه الجزيرة العربية محدودة باستثناء مساحة صغيرة فى الجنوب الغربى تتمثل فى الطائف و فى ابها . و من خلال ذلك نستطيع القول بأن شبة الجزيرة منطقة صحراوية ، ولم تعد تعتمد على مياه الامطار الا فى مناطق قليلة و متفرقة . ولذلك اثرت هذه الطبيعة على الحياة النباتية لان الحرارة مرتفعة و الامطار ضئيلة و السماء خالية من السحب و من هنا كانت النباتات العشبية الفقيرة و الشجيرات خاصة فى المناطق التى بها عيون للمياه و الوديان من حولها و بالتالى حرمت مناطق كبيرة من شبه الجزيرة خاصة المناطق الوسطى من الزراعة المنظمة .

و نظراً لتوافر المياه بصفة خاصة فى الجنوب و فى الوديان ، فقد انتظمت الانشطة الزراعية هناك و كان الاعتماد الاكبر على الرى و استطاعوا زراعة مساحات واسعة و اتبعوا اساليب و انظمة رى غاية فى الاتقان مثلت فى فن بناء السدود و بذلك حولوا الصحارى و سفوح المرتفعات الى اراضى خصبة (1) لعل من اهم المحاصيل الزراعية فى بلاد العرب انما هما القمح و الشعير و كان القمح و هى كلمة شامية او مصرية او ارامية من " قمحو " (camho) غذاء الطبقة الموسرة المترفة فى الغالب لغلاء ثمنه بالنسبة للفقراء . و الحنطة من الالفاظ الشائعة للقمح عن العرب ايضاً فهى " حطاه " (خطاه) (chittah) عند العراقيين . و اما الشعير فهو ارخص من القمح (الحنطة) ، و من ثم فقد كثر استعماله فى الاكل ، و ما يزل خبز اهل القرى و الاعراب ، و قد كان يهود يثرب يتاجرون فيه ، و خاصته فى سوق " بنى قينقاع " (2) . و كان هناك زراعة الذرة و قد عرفت فى اليمن خاصة ، و كان القوم يخبزونها و يستخرجون منها شراباً ، يقال له " المذر " اشير اليه فى كتب الحديث و الفقه ، وقد نهى الرسول – صلى الله عليه و سلم – عن شربة . وقد عرف العرب زراعة الحمص ، كما عرفوا زراعة العدس ، و الجلبان و القثاء و الثوم و البصل و القرع و البطيخ و الحنظل و كانوا يعالجون به امراضاً كثيرة (3) . ولقد عرف العرب فى الجاهلية انواعاً مختلفة من المعاملات الزراعية ، لعل من اهمها المحاقلة : و هى استئجار الارض بالحنطة او الذهب او اى شىء اخر . المزارعة و هى الاتفاق على ان يزرع شخص ارض شخص اخر نظير نسبة معلومة من الثمر او الحصاد يتفق علية بالثلث او الربع او اقل من ذلك او اكثر . المخابرة : و هى على نمط المزارعة . القصارة : و هى ما تبقى عن السنابل بعد التذرية ، فيكون هناك اتفاق بجعل هذه القصارة من نصيب الذارى احياناً ، و من نصيب صاحب الزرع احياناً اخرى . المساقاة : و هى الاتفاق بين طرفين على قيام احدهما بتوصيل الماء الى ارض الاخر و ذلك فى مقابل تعهد يقدمه الطرف المستفيد من الماء بجزء من المحصول او اى شىء اخر . المحاينة : و هى الحصاد نظير اجر و اخيراً المخاضرة : و هى بيع الثمار قبل ان تنضج ربما للتخلص من معاملات جنى الثمار ، و كانت المخاضرة فى كثير من الاحيان مثار لعدد من الخلافات و المنازعات بين الاطراف المتعاقدة . وقد ادى تواتر هذه الخصومات الى ان نهى سيدنا رسول الله – صلى الله عليه و سلم . عن بيع المحصول قبل ان ينضج (4) .

1- شاليه بدير و نور جلال : تاريخ الشرق الادنى القديم ، صـــ 32 – 33
2- محمد بيومى مهران : حضارات الشرق الادنى القديم ، جـ1 ، الاسكندرية ، 1999 ، صـــ 211 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ7 ، صـــ 58
3- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 211 – 212
4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 212 – 214

ولقد تنوعت الحياة الحيوانية فى الاراضى الجافة و شبة الجافة . و تزخر الصحارى بأنواع متعددة من الحيوانات الضارة و القليلة النفع للانسان . كان اهم هذه الحيوانات الجمل و قد كان هناك نوعان جمل العدو و جمل الحمل . و كان الجمل ثروة العربى ، و هو اداة انتقاله ، بل هو نقده الذى يتبادل السلع بواسطته ، و فى نظرى البدوى كان الجمل سفينة الصحراء . كذلك اشتهرت بلاد العرب بجمال خيلها و بتربيتها لاحسن الخيول و بتصديرها لها , والى جانب ذلك عرفت بلاد العرب البغال و الحمير . و كان هناك من الحيوانات البرية الاسد و الفهد و النمر و الضبع و الثعلب و الذئب و الارانب و الغزلان ، و من الطيور هناك النعام و الكروان و الغراب و الهدهد و النسر و العقاب و الصقر (1) . كما كانت للصناعة دور هام فى اقتصاد شبة الجزيرة فقد عرفوا انواعا من الصناعات المعدنية و الحجرية و الفخارية و الحراب و السهام ، و كان الكثير من المنتجات يعتمد على المنتجات الزراعية كصناعة السلال و الحصير و المقاعد و الاسرة و ساعدهم على ذلك وجود الزراعة ووجود المواد الخام لباقى الصناعات البسيطة (2) . تحتوى الجزيرة العربية على عدد من المعادن فقد كان الذهب و الفضه يتصدران قوائم صادرات شبه الجزيرة و دفعتها قبائلها كجزية و هدايا لموك بلاد النهرين و بلاد الشام . وقد اشار الكتاب و الرحالهة اليونان و الرومان الى وجود الذهب و الفضة فى شبة الجزيرة كمادة خام (3) بالنسبة للذهب فهو من المعادن التى استخرجت من العصور القديمة ، و قد ذكر لنا الجغرافيون العرب اسماء مواضع عرفت بوجود خام الذهب فيها مثل " بيشه " و " خنكان " و المنطقة بين القنفذة و مرسى حلج . اما بالنسبة للفضة فقد وجدت مناجم قديمة للفضة شرقى القنفذه و قد عثر على خامات الرصاص و الزنك شرقى القنفذة و فى منطقة مهد الذهب ، كما عثر على مناجم الحديد فى وادى فاطمه ، و على مصنوعات حديدية فى الخرائب و الاثار و الاماكن القديمة فى اليمن ، و التى اشتهرت بسيوفها فى الجاهلية و الاسلام (4) . و تأتى التجارة ، كمورد هام من الموارد الاقتصادية الهامة فى شبة الجزيرة . فقد كان العرب القدامى – شأنهم شأن غيرهم من الشعوب التجارية . نشيطون فى عالم التجارة . و من البدهى ان موقع شبة الجزيرة انما ساعد كثيراً على ان يحتل اهلها مكانة متازة فى العالم التجارة ، حتى ان البعض انما يذهب الى ان الحياة الاقتصادية لجنوب الجزيرة العربية انما كانت تقوم الىجانب الموارد الزراعية على التجارة الدولية (5) و من هنا كان الاهتمام بالتجارة و تنظيمها ، و قد عثر على وفرة من الالفاظ ذات المعانى التجارية التى تتصل بالبيع و الشراء و الامتلاك و العقود و الاوامر التى كانوا الملوك يصدرونها لتنظيم جباية المكوس (الضرائب الجمركية) على السلع التى تباع فى الاسواق و ما يترتب على مخالفتها او التهرب منها من عقوبات . وقد كانت القوانين القتبانية من اقدم و اشهر القوانين التى كانت تنظم الاتجار و التعامل فى السوق و فى تعيين حقوق الدولة و نصيبها من الارباح (6) و اما اهم السلع التى كان العرب يتاجرون فيها فهى الذهب ، و كان على راس السلع التى حملها تجار العرب الى الاشوريين و حكومات العراق و بلاد الشام ، و فى التوراة ذكر الذهب الذى كان يجلبة العرب الى العبرانيين ، و ربما كانت الفضة من سلع التجارة العربية ، فقد ذكر الاخباريون ان " أباسفيان " حمل معه تجارة من الفضة لبيعها فى اسواق الشام فى احدى رحلاته التجارية .

1- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 223 – 227
2- شافية بدير ونور جلال : المرجع السابق ، صـــ 36
3- شافية بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صـــ 37
4- محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 219 – 220
5- موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 197 ، محمدبيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 228
6- جواد على : المرجع السابق ، جـ7 ، صـــ 232 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 228 – 229

وكان " الطيب " من أهم الموارد التى تاجر بها العرب الجنوبيون مع بلاد الشام ومصر والعراق فضلاً عن بلاد العرب نفسها ، وهو نوعان : محلى ومستورد من الهند وأفريقية وقد كان البخور من أهم المواد الثمينة ذات السعر العالى بالنسبة لتجارة تلك الوقت ، بسبب أنه كان أساسياً فى طقوس الشعائر الدينية داخل المعابد وكان القوم يحرقون البخور فى المباخر ويبخرون به المعابد والتماثيل كما كانوا يبخرون الضيوف ويطيبون ثيابهم ، وهكذا كانت أشجار البخور واللبان هى السلعة الأساسية التى تحملها القوافل التجارية من جنوبى شبه الجزيرةالعربية لتجد طريقها إلى أسواق مصر والشام ، ثم لتجد طريقها من موانئ الشام بوجه خاص إلى بلاد اليونان والرومان الذين كانوا يستخدمون كميات هائلة من الطيوب واللبان للأغراض الدينية والطبية ولأغراض الزينة التى تقوم مقامها الأن الروائح العطرية (1) وكان هناك " المر " من المواد الثمينة الغالية فى قائمة المنتجات العربية التى تباع فى بلاد العرب نفسها ، كما تباع فى خارجها ، وقد أقبل المصريون والعبرانيون على استيراده للأغراض الدينية فى التحنيط وفى المعابد وفى علاج بعض الأمراض ثم كان هناك " الصبار " والقرفة والكندر (العلك - اللبان) واللبان مشهور فى العربية الجنوبية وقد أشارت التوراة أن العبرانيين كانوا يستوردون اللبان من شبا (سبأ) ، ثم هناك العود والعنبر والمسك وكلها سلع تجارية هامة (2) . ومن البدهى أن العرب الجنوبيين قد كسبوا مكاسب هائلة من السلع التى كانوا يتاجرون فيها سواء أكانت محلية أو مستوردة من الهند والحبشة وبعض مناطق السودان أو غيرها وقد كانت صادرات العرب أكثر بكثير من وارداتهم (3) لقد نشأت الطرق والدروب الصحراوية لتسلكها التجارة وقد أصبح جنوب غرب الجزيرة وجنوبها مركز إشعاع تخرج منه القوافل التجارية إلى الشمال - عبر مكه ويثرب - حتى الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، وحول خليج العقبة إلى مصر وكانت موانئ الخليج العربى مركز الإشعاع الثانى للطرق والدروب الصحراوية ، فمنه تخرج الطرق إلى غرب شبه الجزيرة وإلى جنوبها وشمالها الغربى (4) ونتيجة لهذه الرحلات التجارية تأثرت حضارة شبه الجزيرة العربية بحضارات تلك المناطق سواء فى مصر أو الشام أو العراق ، ويمكن لمس هذا التأثير فى كثير من النواحى الحضارية .

---

(1) لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، صـ 111 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 229 - 230

(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 230 - 231

(3) لطفى عبد الوهاب : المرجع السابق ، صـ 307 - 309

محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 231

(4) محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، صـ 124 - 127 ،

محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 233

ثانياً : الحياة الإجتماعية

- إختيار الزوجة :

كان العربى كثير الإهتمام باختيار زوجته من ذوات الحسب والنسب ، إيماناً منه بأن الزوجة سكنه ومتاعه وقسيمته فى إنتاج أولاده ، يرثون منها كما يرثون منه ، وقد كانت الزوجه المثلى تمتاز بصفات تحببها إلى الرجل منها المجد والإشتهار بمكارم الأخلاق (1) وكان العربى – كما كان المصرى (2) واليهودى – يفضلون المرأة الولود ، إذ كانوا يفرحون بكثرة الأولاد – ولاسيما الذكور – ويعتزون بهم وبكثرتهم وكانوا يعيروا بقلته (3) .
لأن حياتهم القبلية إنما كانت تعتمد على العصبية والنصرة فى الحروب ، وفى كثرة العدد عزة وفى قلته ضعف واستهانة . وكان القوم غير ميالين إلى الزواج من المرأة الشيب ، ويروى عن عمر رضى الله عنه فيما بعد " أنكحوا الجوارى الأبكار ، فإنهن أطيب أفواها وأنتق أرحاماً " بل إن النبى – صلى الله عليه وسلم – إنما كان يحث على إختيار البكر . كما كان القوم غير ميالين إلى إختيار المتمارضة والغنية التى تمن بمالها على زوجها (4) هذا وقد كان العربى – وكذلك اليهودى – إنما يفضل أن تكون زوجته من نفس قبيلته ، حيث التقاليد والرغبة فى نقاء الجنس أمران لهما أهمية كبيرة فى الحياة القبلية ، إلى جانب الإعتقاد الذى كان سائداً بينهم أن بنت العم أصبر على ريب الزمان، ومن هؤلاء بنو عبس، فحينما سئلوا أى النساء وجدتهم أصبر ؟ قالوا بنت العم.(5) على أن هناك من كان يفضل الإغتراب ، اعتقاداً منهم بأن ولد الرجل من قرابته إنما يجئ ضاوياً نحيفاً فقد جاء فى أمثالهم : " النزائع لاالقرائب واغتربوا ولا تضووا أى انكحوا فى الأباعد حتى لايولد لكم ضاو " . (6) على أن لاغتراب العرب بواعث أخرى ، فالمصاهرة بين قبيلتين تصلهما برباط من المودة والتحالف والمحبة .
ومع ذلك كله فإن المرأة كانت تفضل أن تتزوج فتى من عشيرتها ، رغبة منها فى أن تقيم بوطنها ولقربها من أهلها (7) .

---

(1) أحمد محمد الحوفى : المرأة فى الشعر الجاهلى ، القاهرة 1945 ، صـ 118
(2) A . Erman , The Literature of the Ancient Egyptian , 1927
(3) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ،القاهرة 1967 ، صـ 352
(4) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، جـ 27 الإسكندرية 1996 ، صـ 33
(5) أحمد محمد الحوفى : المرجع السابق ، صـ 127 ،
محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، جـ 1 ، صـ 24
(6) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 24
(7) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 25

- الزواج من الأجانب :

كانت الفتاة العربية – وكذا قومها – إنما يرون أن الزوج يجب أن يكون عربياً ، ذلك لأن القوم ذو حمية وأنفة واعتداد بالنفس والجنس ، ويرون أنفسهم أرقى الأمم وأصفاها . ويبدو أن كثيراً من الشعوب القديمة ، إنما كانت تشارك العرب وجهة نظرهم بالنسبة إلى زواج المرأة من غير أبناء جنسها . فقد رأينا أن القوم لايزوجون بناتهم من الأغراب ، حتى أن الفرعون أمنحوتب الثالث رغم ترحيبه بمصاهرة الشرق وأمرائه – إنما كان ضنيناً عليهم بأميرات بيته ، حيث كان يرى أن دماء الفراعنة ليست من عامة الدم وإنما هي دماء عزيزة مقدسة ، وأن بناته اللاتي يجري في عروقهن الدم المقدس أرفع من أن تحتويهن مضاجع الملوك من غير آل فرعون ونقرأ في رسائل تل العمارنة عن الملك البابلي " كادشمان إنليل" الذي طلب من الملك إمنحوتب أن يزوجه من أميرة مصرية ، فرفض فرعون هذا الطلب باحتقار وتعلل بحجة أنه " لم يسبق أن زوجت أميرة مصرية إلى أي إنسان " ثم يعيد الملك البابلي طلبه ويطلب من الفرعون أية إمرأة ولم يشترط سوى أن تكون مصرية فحسب (1) والأمر كذلك بالنسبة إلى بني إسرائيل ، الذين كانوا يظنون ، أنهم شعب مقدس إختاره الرب ليكون شعبه المختار دون شعوب بقية الأرض ، ومن ثم فقد خاطبهم في سفر الخروج "واتخذنكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً " وهكذا نظر الإسرائيليون إلى أنفسهم على أنهم الشعب الذي اصطفاه الله وفضله على العالمين ، وأن من عداهم من الشعوب أقل منهم مكانه ، وانطلاقاً من هذا الزعم فإنهم إنما كانوا يحرمون زواج بناتهم من الكنعانيين أو غيرهم (2) هذا وقد كان اليونانيون لايزوجون شعباً آخر ، لأنهم أطلقوا على غيرهم من الشعوب كلمة " بربر " ونظروا إليهم على أنهم دونهم ، والأمر كذلك بالنسبة للرومان ، حتى أن الإمبراطور " فالنتيان " قد سن قانوناً يقضي بالإعدام على كل رومانية تتزوج بغير الروماني (3) على أن هذا كله لايمنع من وجود زيجات تمت بين هذه الشعوب . وطبقاً لرواية التوراة فقد تزوج سليمان عليه السلام من إبنة فرعون (4) والذي ربما كان " سي أمون " (5) و"بسوسنس الثاني " بل ربما كان " شاشانق الأول " وإن لم تكن هناك أية إشارة من الجانب المصري تؤكد هذا الزواج (6)هذا وقد تزوج " هيرودوس " ملك اليهودية من إبنة" الحارث الرابع " ملك الأنباط ، وإن كان قد تجرأ بعد حين من الدهر فطلقها ليتزوج من راقصة كانت السبب الرئيسي في مقتل يوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام) ، مما كان سبباً في حروب طاحنة بين الفريقين انتهت بانتصار الحارث في " جلعاد " . (7)

---

(1) أحمد بدوي : في موكب الشمس ، جـ 2 ، القاهرة 1950 – 1955 ، صـ 578
S . Mercer , the Tell el – Amarna , Tablets , I , P . 13, 63 .

(2) محمد بيومي مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم ، اسرائيل ، جـ 2 ، الإسكندرية ، 1978 ، صـ 113-109.

(3) علي عبد الواحد وافي : الأسرة والمجتمع ، القاهرة ، 1945 ، صـ 33 – 35 ، أحمد محمد الحوفي : المرأة في الشعر الجاهلي ، صـ 139

(4) محمد بيومي مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة ، الرياض 1976 ، صـ 375

(5) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، صـ 389

(6) Gardiner . Egypt of the Pharahos , Oxford ,1964 P.359 Breasted , J . H ., A History of Egypt 1946 , P . 529

(7) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 3 ، صـ 43 – 44 ، فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جـ 1 ، صـ 420 – 422

- حرية المرأة فى إختيار الزوج :

كانت المرأة البدوية فى الجاهلية تتمتع بحظ وافر من الحرية ، ربما تم تعرفه أختها الحضرية . لقد استمتعت المرأة بحق الحرية فى اختيار زوجها ، فلم تكن تتزوج بغير مشورة ، بل إنها فى بعض الأحايين كانت تزوج نفسها بنفسها كما أنها كانت تستطيع هجر زوجها والعودة إلى أهلها إذا لم يحسن هذا الزوج معاملتها ، وهكذا نجد " ماوية بنت عفزر " تتزوج مما أرادت ، إذ وازنت بين خاطبيها الثلاثة- النابغة الذبيانى – حاتم الطائى ورجل من النبيت . وهناك " خود بنت مطرود البجلية " فقد خطبها سبعة أخوة من بنى عامر من الأزد ، فدخل عليها أبوها يسألها ، فأخذت رأى أختها التى أشارت عليها برفضهم جميعاً (1) وهناك زواج مولانا وسيدنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل البعثة من أم المؤمنين خديجة ، رضوان الله عليها ، وقد كانت يومئذ أوسط نساء قريش نسباً ، وأعظمهم شرفا ، وأكثرهم جمالاً ، كل قومها كان حريصاً على خطبتها ، وقد تم هذا الزواج برغبة من السيدة الجليلة واقتناع كامل بالمصطفى – صلى الله عليه وسلم – ومن ثم فقد بعثت إليه من يقول له " إنى قد رغبت فيك لقرابتك وشرفك فى قومك ، ولأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ، ثم عرضت عليه الزواج . وقد كانت أم الفتاة ذات رأى فى تزويج ابنتها ، حيث كان يستشيرها الأب وتشير عليه وتهتدى البنت برأى أمها هكذا فعلت زوجة أوس بن حارثة وكذلك فعلت زوجة علقمة ، ويظهر أن المرأة أحياناً كانت تغلب زوجها على أمره ، على أن هذا كله ، لم يمنع القول بأن ولى أمر الفتاة، إنما كان صاحب حق ، هذا فضلاً عن أن ابن العم إنما كان مقدماً على غيره فى زواج ابنة عمه (2) .

- المهر والصداق :

المهر فى الأصل إنما هو العوض الذى يدفع لأهل المرأة أما الصداق فالعوض الذى يدفعه الرجل للزوجة (3) وكان الأصل فى المهر عندالجاهليين دفعه للمرأة ، غير أن ولى أمرها هو الذى يأخذه لينفق منه على مايشترى لتأخذه المرأة معها إلى بيت الزوجية ، وقد يأخذ ولى أمرها المهر لنفسه ولا يعطيها منه شيئاً لاعتقاده أن ذلك حق يعود إليه (4) ، ومن ثم فقد نهى الإسلام عن ذلك بقوله سبحانه وتعالى " وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيئ منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً " (5) . ومن هنا كانت " النافجة " فى اللغة ، هى البنت لأنها تعظم مال أبيها بمهرها ، ومن ثم فقد كان القوم يهنئون من ولدت له بنت بقولهم " هنيئاً لك النافجة " أو "بارك الله لك فى النافجة" لأنه كان يأخذ مهرها فيضمه إلى ماله فينتفخ (6) هذا وقد يسمى أمهر أحياناً " الحلوان " وهو أن يزوج الرجل إبنته أو أخته أو إمرأة ما بمهر مسمى ، على أن يجعل له من المهر شيئ مسمى ، وإن لم يكن ذلك شائعاً بين القوم ، ومن هنا رأينا أن إمرأة عربية تفخر بأن زوجها لم يأخذ من بناته " حلواناً " ، لأن الحلوان إنما كان مما تعير به العرب (7) .

---

(1) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، جـ 7 ، صـ 31

(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 33 – 34

(3) أحمد الحوفى : المرجع السابق ، صـ 151

(4) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 531

(5) سورة النساء آيه 4

(6) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532 ، أحمد الحوفى : المرجع السابق ، صـ 151

(7) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532 ، أحمد الحوفى : المرجع السابق : ، صـ 151

وهكذا يبدو واضحاً أن العرب في الجاهلية لم يكونوا على عرف واحد بالنسبة إلى حق الإنتفاع بالمهر ، فمنهم من كان يعطيه كله للمرأة ، ومنهم من كان يعطيه ويزيد عليه إكراماً لابنته ن ومنهم من كان يأكله كله أو بعضاً منه (1) وعلى أى حال ، لم يكن للمهر عند العرب الجاهليين حد معلوم ، وإنما كان الأمر يتوقف في أغلب الأحايين على قدرة الرجل المالية وعلى مكانة أسرة العروس ، وقد بلغ أحياناً مائة من الإبل أو مائة وخمسين وربما زاد على ذلك وهناك مايشير إلى ان أهل " كنده " إنما كانوا يغالون في مهور بناتهم حتى أنهم كانوا لايزوجون بناتهم بأقل من مائة من الإبل ، وربما مهرت الواحدة ألفاً . هذا وقد أمهر مولانا وسيدنا محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السيدة خديجة خمسمائة درهم وقيل إثنتا عشرة أوقية ذهباً . وعلى أى حال فقد ورد النهى في الحديث النبوى الشريف عن الغلو في صدقات النساء ، فقد ورد عن الرسول– صلى الله عليه وسلم –"أن خير النساء أيسرهن صداقا"ونهى الفاروق – رضى الله عنه وأرضاه – عن المغالاة في المهر بقوله " لاتغالوا في صدقات النساء " (2)

ـأنواع الزواج :

كان الزواج المألوف بين العرب القدامى هو زواج هذا اليوم ، أى الزواج القائم على الخطبة والمهر وعلى الإيجاب والقبول ، وهو مايسمى بزواج البعولة (3) ومن ثم فقد وجدت عندهم كلمة " نكاح " وفسرت على أنه يقصد به " الزواج " حيث يقدم للمرأة مهراً من الأبل والمال . وكان العرب يخطبون المرأة إلى أبيها أوأخيها أوعمها أو بعض بنى عمها وكان يخطب الكفء إلى الكفء . وتشير الوثائق المعينية إلى أن ملوك دولة معين إنما كانوا يصدرون أوامرهم بالموافقة على عقود الزواج على نحو ماتفعله الحكومات الأن من إصدار وثائق عقود الزواج . ولم يعترض الأن على أية وثيقة تثبت أن المرأة كانت تكره على الزواج بمن لاتريد ، بل أنها كانت كالرجل تماماً لها حق اختيار الزوج (4) . وأما عن أنواع النكاح عند العرب غير نكاح البعولة والذى كان بمهر فأهمها:

ـ نكاح الضيزن (نكاح المقت) :

وهو أن المرأة حين يموت زوجها كان أكبر أبنائه أولى بها من غيره ، فيلقى ثوبه عليها ويرث نكاحها ، ومن ثم فهو حر فيها ، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت ، فيرث مالها ، إلا أن تفتدى نفسها منه بفدية ترضية ، أو يتزوجها بعض إخوانه بمهر جديد (5) وقد كان هذا النوع من الزواج معروفاً عند العبرانيين الذين كان البعض منهم يتزوج إمرأة أبيه واستمروا كذلك حتى السبى البابلى في عام 586 ق . م . ، والأمر كذلك بالنسبة للرومان والسريان (6) .

ـنكاح المتعة :

يختلف عن الزواج العادى في أنه يخلو من الخطبة والصداق في أغلب الأحايين ، وأنه كان إلى أجل ، وقد عرف هذا النوع قبل الإسلام (7)

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 35 – 36

(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 36 – 37 ، أحمد الحوفى : المرجع السابق ، صـ 155

(3) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 533 .

(4) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532

(5) عبد العزيز سالم : عصر ما قبل الإسلام ، صـ 611 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 534 ، عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، صـ 156

(6) Smith , W . R . Kingship and Marriage in Early Arabia , London1907 , P. 90

(7) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 536

وكان هذا الزواج يفسخ عقده إذا ماانتهى الأجل ، وعلى المرأة أن تعتد قبل أن تقترن بزوج آخر ، كان ينسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم في الغالب وإن كان هذا لايمنع من انتساب الأبناء إلى الأب ومن حقهم في الأرث (1) .

- زواج البدل :

وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن إمرأتك ، وأنزل لك عن إمرأتي فهو زواج بطريق المبادلة بغير مهر (2) .

- زواج الشغار :

وهو زواج فردي كالزواج العام ، إلا أنه لامهر فيه ، كأنه يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الآخر ابنته أو أو أخته (3) . وذهب البعض الى انه لا يكون الا في القرائب ، كأن تزوج الرجل و ليتك على ان يزوجك وليته ، ولا يكون بينهما مهر ، و قد نهى النبي – صلى الله عليه و سلم – عن هذا النوع من الزواج حيث لاشغار في الاسلام (4) . ولعل زواج الشغار هذا ، انما كان هو قريب من زواج البدل .

زواج الاستبضاع :

زواج غريب ، يذهب الاخباريون فيه الى ان الرجل كان يقول لامرأته اذا طهرت من طمثها إرسلي الى فلان فاستبضعي منه لتحملي منه ، و يعتزلها زوجها ، ولايمسها احد حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي إستبضعت منه ، و كان لا يلجأ إليه الإرجل عاجز عن مباشرة زوجته (5) .

نكاح الظعينة :

ذلك ان الرجل اذا سبى أمرأة ، فله ان يتزوجها ان شاء ، و ليس لها ان تأبى عليه ذلك ، و هذا الزواج يكون بغير خطبه أو مهر (6) .

نكاح الاماء :

ذلك ان العربي كان من حقه ان يتزوج من امته ، فإن إنجب منها ابناء كان من حقه ان يعتقهم و يلحقهم بنسبة ، و من حقه ألا يفعل ذلك و يظلوا عبيراً (7) .

و هناك نوع اخر من الزواج اشار اليه " استرابون " ذهب فيه الى ان الاخوة كانوا يتزوجون من إمرأة واحدة تكون مشتركة بينهم ، و لكن الرئاسة إنما تكون للاخ الاكبر و ان الواحد منهم ان اراد الاتصال بالزوجة وضع عصا على باب الخيمة ، فلا يدخلها احد غيره ، اما في الليل فتكون المرأة من نصيب الاخ الاكبر .

تعدد الزوجات :

لم يكن العرب بعيدين عن التعدد فقد كان الواحد منهم لايكتفي بالزوجة الواحدة ، و إنما يتزوج بأكبر عدد ممكن من النساء بقصد انجاب عدد كبير من الاولاد . لقد وجد من العرب من يعددون الزوجات حتى ان الامام الطبري يروى في تفسيره ، ان الرجل من قريش كان يتزوج العشر من النساء ، و يروى ان الرجل منهم كان يتزوج الخمس و الست و العشر . و اشترط القرآن الكريم العدل بين الزوجات في حالة التعدد على ان لا يزيد عددهم عن اربع (8) .

---

(1) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 611

(2) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 537

(3) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام مجـ5 ، صـــ 538

(4) المرجع السابق : جـ5 ، صـــ 538

(5) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 198

(6) جواد علي : المرجع السابق ، جـ5 ، صـــ 546

(7) عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، جـ1 ، مصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية 1968 ، صـ 116

(8) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ1 ، القاهره 1967 ، صـــ 54

وهكذا يبدو واضحاً أن العرب في الجاهلية لم يكونوا على عرف واحد بالنسبة إلى حق الإنتفاع بالمهر ، فمنهم من كان يعطيه كله للمرأة ، ومنهم من كان يعطيه ويزيد عليه إكراماً لابنته ن ومنهم من كان يأكله كله أو بعضاً منه (1) وعلى أي حال ، لم يكن للمهر عند العرب الجاهليين حد معلوم ، وإنما كان الأمر يتوقف في أغلب الأحايين على قدرة الرجل المالية وعلى مكانة أسرة العروس ، وقد بلغ أحياناً مائة من الإبل أو مائة وخمسين وربما زاد على ذلك وهناك مايشير إلى أن أهل " كنده " إنما كانوا يغالون في مهور بناتهم حتى أنهم كانوا لايزوجون بناتهم بأقل من مائة من الإبل ، وربما مهرت الواحدة ألفاً . هذا وقد أمهر مولانا وسيدنا محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – السيدة خديجة خمسمائة درهم وقيل إثنتا عشرة أوقية ذهباً . وعلى أي حال فقد ورد النهي في الحديث النبوي الشريف عن الغلو في صدقات النساء ، فقد ورد عن الرسول– صلى الله عليه وسلم –"أن خير النساء أيسرهن صداقاً"ونهى الفاروق – رضي الله عنه وأرضاه – عن المغالاة في المهر بقوله " لاتغالوا في صدقات النساء " (2)

-أنواع الزواج :

كان الزواج المألوف بين العرب القدامى هو زواج هذا اليوم ، أي الزواج القائم على الخطبة والمهر وعلى الإيجاب والقبول ، وهو مايسمى بزواج البعولة (3) ومن ثم فقد وجدت عندهم كلمة " نكاح " وفسرت على أنه يقصد به " الزواج " حيث يقدم للمرأة مهراً من الأبل والمال . وكان العرب يخطبون المرأة إلى أبيها أوأخيها أوعمها أو بعض بني عمها وكان يخطب الكفء إلى الكفء . وتشير الوثائق المعينية إلى أن ملوك دولة معين إنما كانوا يصدرون أوامرهم بالموافقة على عقود الزواج على نحو ماتفعله الحكومات الأن من إصدار وثائق عقود الزواج . ولم يعترض الأن على أية وثيقة تثبت أن المرأة كانت تكره على الزواج بمن لاتريد ، بل أنها كانت كالرجل تماماً لها حق اختيار الزوج (4) . وأما عن أنواع النكاح عند العرب غير نكاح البعولة والذى كان بمهر فأهمها:

- نكاح الضيزن (نكاح المقت) :

وهو أن المرأة حين يموت زوجها كان أكبر أبنائه أولى بها من غيره ، فيلقي ثوبه عليها ويرث نكاحها ، ومن ثم فهو حر فيها ، إن شاء نكحها وإن شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت ، فيرث مالها ، إلا أن تفتدي نفسها منه بفدية ترضية ، أو يتزوجها بعض إخوانه بمهر جديد (5) وقد كان هذا النوع من الزواج معروفاً عند العبرانيين الذين كان البعض منهم يتزوج إمرأة أبيه واستمروا كذلك حتى السبي البابلي في عام 586 ق . م . ، والأمر كذلك بالنسبة للرومان والسريان (6) .

-نكاح المتعة :

يختلف عن الزواج العادي في أنه يخلو من الخطبة والصداق في أغلب الأحايين ، وأنه كان إلى أجل ، وقد عرف هذا النوع قبل الإسلام (7)

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532 ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 35 – 36

(2) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، جـ 7 ، صـ 36 – 37 ، أحمد الحوفي : المرجع السابق ، صـ 155

(3) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 533 .

(4) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 532

(5) عبد العزيز سالم : عصر ما قبل الإسلام ، صـ 611 ، جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 534 ، عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، صـ 156

(6) Smith , W . R . Kingship and Marriage in Early Arabia , London1907 , P. 90

(7) جواد علي : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 536

وكان هذا الزواج يفسخ عقده إذا ماانتهى الأجل ، وعلى المرأة أن تعتد قبل أن تقترن بزوج آخر ، كان ينسب أولاد المتعة إلى أمهاتهم في الغالب وإن كان هذا لايمنع من انتساب الأبناء إلى الأب ومن حقهم في الأرث(1) .

- زواج البدل :

وهو أن يقول الرجل للرجل أنزل لي عن إمرأتك ، وأنزل لك عن إمرأتي فهو زواج بطريق المبادلة بغير مهر (2) .

- زواج الشغار :

وهو زواج فردى كالزواج العام ، إلا أنه لامهر فيه ، كأنه يزوج الرجل ابنته أو أخته على أن يزوجه الأخر ابنته أو أو أخته (3) . وذهب البعض الى انه لا يكون الا في القرائب ، كأن تزوج الرجل و ليتك على ان يزوجك وليته ، ولا يكون بينهما مهر ، و قد نهى النبي – صلى الله عليه و سلم – عن هذا النوع من الزواج حيث لاشغار في الاسلام (4) . ولعل زواج الشغار هذا ، انما كان هو قريب من زواج البدل .

زواج الاستبضاع :

زواج غريب ، يذهب الاخباريون فيه الى ان الرجل كان يقول لامرأته اذا ظهرت من طمثها إرسلي الى فلان فاستبضعي منه لتحملي منه ، و يعتزلها زوجها ، ولايمسها احد حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذى إستبضعت منه ، و كان لا يلجأ إليه الإرجل عاجز عن مباشرة زوجته (5) .

نكاح الظعينة :

ذلك ان الرجل اذا سبى أمرأة ، فله ان يتزوجها ان شاء ، و ليس لها ان تأبى عليه ذلك ، و هذا الزواج يكون بغير خطبه أو مهر (6) .

نكاح الاماء :

ذلك ان العربى كان من حقه ان يتزوج من امته ، فإن إنجب منها ابناء كان من حقه ان يعتقهم و يلحقهم بنسبة ، و من حقه ألا يفعل ذلك و يظلوا عبيراً (7) .

و هناك نوع اخر من الزواج اشار اليه " استرابون " ذهب فيه الى ان الاخوة كانوا يتزوجون من إمرأة واحدة تكون مشتركة بينهم ، و لكن الرئاسة إنما تكون للاخ الاكبر و ان الواحد منهم ان اراد الاتصال بالزوجة وضع عصا على باب الخيمة ، فلا يدخلها احد غيره ، اما في الليل فتكون المرأة من نصيب الاخ الاكبر .

تعدد الزوجات :

لم يكن العرب بعيدين عن التعدد فقد كان الواحد منهم لايكتفى بالزوجة الواحدة ، و إنما يتزوج بأكبر عدد ممكن من النساء بقصد انجاب عدد كبير من الاولاد . لقد وجد من العرب من يعددون الزوجات حتى ان الامام الطبرى يروى في تفسيره ، ان الرجل من قريش كان يتزوج العشر من النساء ، و يروى ان الرجل منهم كان يتزوج الخمس و الست و العشر . و اشترط القرآن الكريم العدل بين الزوجات في حالة التعدد على ان لا يزيد عددهم عن اربع (8) .

---

(1) عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، صـ 611
(2) جواد على : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 537
(3) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام مجـ5 ، صــ 538
(4) المرجع السابق : جـ5 ، صــ 538
(5) احمد الحوفى : المرجع السابق ، صــ 198
(6) جواد على : المرجع السابق ، جـ5 ، صــ 546
(7) عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب ، جـ1 ، مصر ما قبل الاسلام ، الاسكندرية 1968 ، صـ 116
(8) عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ1 ، القاهرة 1967 ، صــ 54

الطلاق :

عرف العرب القدامى الطلاق – كما عرفوا الزواج – و يعني تنازل الرجل عن كل حقوقه التي كانت على زوجه و مفارقته لها ، و كان الواحد منهم يقول لزوجه إذا أراد طلاقها " حبلك على غاربك " أو " إلحقي بأهلك " أو " أخترت الظباء على البقر " أو " فارقتك " أو " سرحتك " (1) و اما اسباب الطلاق فكثيرة ، منها التطاول على عشيرة الزوج . و الطلاق كان بين الرجل ، حله و عقده ، غير ان بعض النساء استطعن أن يطلقن أزواجهم برضى الرجال انفسهم . و كان من حق المرأة أن تطلب الطلاق و يجاب إلى طلبها ، بل إن من حقها أن تشترط أن تكون العصمة في يدها ، و هكذا كانت هناك نوه من العرب يشترطن على ازواجهم ان يكون امرهن بيدهن ، ان شئن أقمن و إن شئن تركن معاشرتهم و اوقعن الطلاق . و جاء الاسلام فأبقى على حق المرأة في الطلاق إذا اشترطته على الزوج ، كما اباح لها أن تختلع و تطلب التفريق لعيب في الزوج أو لا متناعه عن الانفاق او كسوه عشرته او لغيبته الطويلة (2) . و كان من أنواع الطلاق الظهار : كأن يقول الرجل لا مرأته " انت على كظهر امي او كبطنها او كفخذها او كفرجها " فيقع بذلك الظهار اي تحريم المرأة على زوجها تحريماً مؤبداً (3) هذا و كان الجاهلون يعدون الظهار من اشد أنواع الطلاق تحريماً . وقد أبطل الاسلام الظهار و حرمه (4) . و من انواع الطلاق كذلك الايلاء : و هو القسم على ترك المرأة مدة شهوراً او سنة او سنتين ايذاءاً لها فلا يقربها ، ثم جاء الاسلام فجعل التربص مدة لا تزيد على اربعة اشهر ثم يطلق ان شاء او يفيء في يمنيه (5) . ومن انواع الطلاق كذلك الخلع : و هو أن تفتدي المرأة من زوجها بمالها و تختلع منه اذا اساء عشرتها (6) وجاء الاسلام و أقر الخلع لمصلحة المرأة . و هناك كذلك العضل ، و هو أن ينكح الرجل المرأة الشريفة ، فلعلها لا توافقه فيفارقها ، على الا تتزوج ، فيأتي بالشهود و يكتب ذلك عليها فإذا خطبها خاطب ، فإذا اعطته و ارضته اذن لها و الاعضلها (7) . و لعل من الاهمية هنا الاشارة الى عدة أمور تتصل بالطلاق منها العدة : و هي تلك الفترة التي يسمح فيها للمرأة بأن تتزوج بعد طلاقها و كذلك بعد وفاة زوجها استبراء للرحم و محافظة على النسب (8) . و قد كانت عدة الوفاة في الجاهلية حولاً كاملاً تمضيه المرأة في بيت صغير فتلبس شر ثيابها و لاتضع طيباً او كحلاً او ماءً ولا تقلم لظافرها و لا تزيل شعرها حتى يمر العام فتخرج في قبح منظر ثم ترجع بعد ما شاءت من طيب او غيره (9) . هذا وقد أبطل الاسلام ذلك كله و جعل عدة المتوفى عنها زوجها اربعة أشهر و عشرا .

---

(1) جواد علي : المرجع السابق ، جـ5 ، صـــ 548 – 549
(2) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 215
(3) جواد علي : المرجع السابق ، جـ5 ، صـــ 550
(4) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 213
(5) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 213
(6) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 211
(7) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، جـ7 ، صـــ 67 - 68
(8) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 220 – 221
(9) احمد الحوفي : المرجع السابق ، صـــ 221 ، جواد علي : المرجع السابق ، جـ5 ، صـــ 557

- الميراث :

يذهب المؤرخون المسلمون الى ان العرب القدامى انما كانوا ينظرون الى المرأة و كأنها متاع ، و كانوا يحرمونها ايما نصيب من إرث زوجها المتوفى و انها هى نفسها كانت تورث كجزء لا يتجزأ من تركة المتوفى . و اذا كان الامر كذلك فمن اين حصلت النساء على من ملكني، حتى كان منهن ثريات مشهورات الثروة . لاشك انهن كان يحصلن على ذلك عن طريق الهبة او الوصية او العطاء و ربما عن طريق الميراث . و اننى اميل الى ان المرأة فى الجاهلية انما كانت ترث نصيباً من تركة اهلها – و ان لم يكن كبيراً – و انها كالمرأة المصرية لها حق الملكية و حق البيع و الشراء و ان المرأة الحضرية كانت اكثر املاكاً و اعظم حرية فى تصريف شئونها المالية . و هذا وقد ابدت بضعة نصوص نبطية قديمة ما توفر للانثى (المقتدرة) من إرادة مالية و ملكية خاصة سمحت لها بما كانت تسمح به للرجال من تحديد اسماء المنتفعين بمقبرتها ، و اباحة دفن الغير فيها ان شاءت على شريطة الحصول على اذن منها . كذلك كان للمراة الممتلكات العقارية الدينوية ، من ارض و مزارع و مساكن فى المجتمع النبطى و فى بعض المجتمعات العربية الاخرى المعاصرة للعصر النبطى و من امثلة هذا ملكية مزرعة لاخوات ثلاث ملكية توريث تنتقل منهن الى اعقابهم و ذلك فى نص " لحيانى " من واحة العلا ، كما ورد فى نص من تيماء مايفيد ان رجلاً يدعى " ذنب بن حجاج " اشترى بعيراً اسود من سيدة تدعى " ذات هنأن " فنفق عنده ، فقضى حاكم تيماء المدعو " كلح " بأت تعوضه المرأة بحمار و هذا يدل على انها ربما كانت تمتلك بعض الدواب و الانعام . (5)

مكانة المرأة العربية :

لقد بلغت مكانة المرأة عند العرب درجة تسمح لها ان تشارك فى الاحلاف التى تعقد بينهم و من ذلك " حلف الاحابيش " الذى عقده " عبد مناف بن قصى " مع خزاعة و بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وقد اشتركت فيه " عاتكه بنت مره بن هلال بن فالح " زوجة عبد مناف . و هناك " حلف المطيبين " الذى اشتركت فيه واحده من بنات عبد المطلب حفيد عبد مناف . و هناك " حلف الفضول " الذى عقد بين قبائل من قريش .

كذلك بلغت المرأة العربية مكانة جعلتها من " المجيرات " و من ثم فقد رأينا يجرن كالرجال تماماً ، فيقبل جوارهن و يحمين الرجال و يصان حماهن .

---

(5) عبد العزيز صالح : المرأة فى النصوص و الاثار العربية القديمة ، الكويت 1985 ، صـــ 15 – 17 – 24 - 29 – 30

و كان للمرأة سواء كانت أماً او اختاً او زوجه مكانتها عند العرب ، فقد رأينا بعض الملوك ينسبون الى امهاتهم و كذلك بعض الافراد بل لم يقتصر الامر على ذلك ، بل إننا نجد قبائل بأسرها تنسب الى امهاتهم . كذلك كان للأم تأثيراً كبيراً فى ابنائها ، حتى ان هناك بعضاً من مشاهير العرب انما قد غيروا ديانتهم بتأثير من امهاتهم ، كذلك كانت الزوجة العربية تحتل مكانة هامة عند زوجها اذ كان الرجل ينظر الى زوجته على انها شريك فى الحياة جديرة بالرعاية و الحب و الاعزاز ، و كان يحسن عشرتها ، و يستمع فى كثير من الاحيان الى مشورتها (1) . و كان الزوج غالباً ما يبدى حبه و تقديره لزوجته ، بأن يناديها بألقاب التكريم او باسمها مجرداً ، اشعاراً بالالفة و قرب النفس الى النفس وربما ناداها باسمها مصغراً تدليلاً او قد يناديها باسم ابنها اعزازاً لها (2) . هذا و هناك مايشير الى ان المرأة العربية وصلت مكانتها عند اهلها ان تتدخل فى الصلح بين ابيها و جدها .

ثالثاً : الحياة الدينية

كانت عقائد العرب القدامى – شأنهم فى ذلك شأن بقية الساميين (3) – انما تختلف من فريق الى اخر ، فمنهم من امن بالله و اعتنق التوحيد ، و منهم من امن بالله ولكنه تعبد لهذا الصنم على زعم منهم ان هذه الأصنام انما تقربهم الى الله زلفى ، و الى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى " و الذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زلفى " (4) .
و لعل هذا يشير الى ان القوم انما كانوا يعتقدون فى وجود " الله " سبحانه و تعالى ، و لكنهم يخالطون ايمانهم هذا بعبادة الاصنام و إتخاذ الأولياء و الشفعاء . على ان فريقاً منهم انما كانوا يعبدون الاصنام على انها النافعة الضارة و منهم من دان باليهودية او النطرانية و منهم من دان بالمجوسية . ثم ان العرب القدامى انما قد عرفوا – فى عصور ما قبل الاسلام بعضاً من رسالات السماء ، و من ثم فقد كان " هود " فى الاحقاف ، و كان صالح فى " ثمود " و كان شعيب فى مدين ، و كان موسى الذى ناده ربه من جانب الطور الايمن ، على تخوم شبه الجزيرة العربية ، ثم كان من قبل ابراهيم الذى بنى البيت و اسماعيل الذى شارك فى البناء (5)
و لعل من الجدير بالاشارة هنا ، ان العرب فى هذا ، انما كان شأنه شأن بنى اسرائيل ، الذين بدأت عبادة الاصنام تتسرب اليهم بعد ان اعتنقوا ملة ابراهيم ، و سار على نهجها اسحاق و يعقوب و يوسف ، عليهم السلام ، حتى على ايام يعقوب و اثناء اقامتهم فى مصر ، بل وحتى الى ما بعد نزول التوراة ، و موسى عليه السلام ، بل و حتى بعد الخروج من مصر و عبور البحر مباشرة ، ثم بقيت بينهم عبادة العجل تتجدد حيناً بعد حين ، حتى اذا ما حدث الانقسام الى مملكتين فى اعقاب موت سليمان عليه السلام فى عام 922 ق.م ، تبنى بنو اسرائيل ديانات الشرك الى جانب ديانة " يهوه " فأقاموا عجولاً من ذهب و ضعوها فى مبان كالمعابد ، كما فعل " يربعام " و " اخاب " حيث اتخذ من " البعل " إلهاً معبوداً يقيم لها الهيا كل و تقدم له القرابين و العرب شأنهم فى ذلك شأن بقية الساميين ، فعبدوا الاصنام و قدموا لها القرابين(6)

---

(1) احمد امين سليم : المرجع السابق ، صـ 258 – 259
(2) احمد الحوفى : المرجع السابق ، صـ 160 – 161 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 114 – 115
(3) محمد بيومى مهران : " الساميين و موطنهم الاصلى " مجلة كلية اللغه العربية – جماعة الامام محمد بن سعود الاسلامية العدد الرابع ، الرياض 1974 ، صـ 245 – 271
(4) سورة الزمر ايه 3
(5) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، جـ7 ، صـ 326 – 327 ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، جـ1 الرياض 198 ، صـ 237 – 262 ، صـ 263 – 288 ، صـ 289 - 307 ، صـ 285 – 493 ، صـ 113 - 235
(6) سورة الاعراف ايه 138 – 140 ، سورة البقرة : ايه 51 - 54 – 92 - 93 ، سورة النساء : ايه 153 ، سورة طه : ايه 83 - 98
Roth, C. A Short History of the Jewish People , London , 1969 , P. 25 , Noth , M. The History of Israel , London , 1965 , P . 242

سادت جنوب شبه الجزيرة العربية عبادة ثالوث من الكواكب هى : القمر و الشمس و الزهرة ، و يمثل القمر فى هذا الثالوث دور الأب و تمثل الشمس دور الأم بينما كانت الزهرة تمثل دور الابن . وربما كان العرب الجنوبيون متأثرين فى هذا الثالوث ببلاد النهرين ، وقد كانت عبادة " التثليث " امراً شائعاً بين سكان منطقة الشرق الادنى القديم و قد اشار القرآن الكريم الى ان العرب عبدوا الشمس و القمر ، يقول سبحانه و تعالى : " و من آياته الليل و النهار و الشمس و القمر ، لا تسجدوا للشمس ولا القمر ، و اسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون " (1)

القمر :

اعتبر العرب الجنوبيون القمر اباً فى الثالوث الكوكبى (2) و من ثم فقد صار له منزلة خاصة فى ديانة القوم ، فهو كبير الالهة ، و هو الذى ينفرد بالكثرة المطلقة من الاسماء و الالقاب فى الاساطير و فى الطقوس و فى التقويم . و كان الاله القمر قوياً مما دفع بعض الباحثين الى القول بأن الديانة العربية الجنوبية انما هى " ديانة قمرية " .

و هناك الكثير من الادلة على ان اله اليهود " يهوه " انما هو فى الاصل قمرى (3) ، كما لايستبعد ان يكون لاسم سيناء علاقة بإله القمر " سين " (4) هذا و يعرف الاله القمر عند المعينيين بالاله " ود " و عند السبأيين بالاله " المقه " ، و عند القتبانيين بالاله " عم " ، و عند الحضرميين باسم الاله " سين " (5) . وقد كان الاله " ود " فى طليعة الالهه المدونة فى نصوص المسند و هو اله دولة معين الكبير ، فضلاً عن قبائل عربية اخرى ، كثمود و لحيان فى العربية الشمالية ، كما كان من الاصنام الكبرى فى الحجاز عند ظهور الاسلام . وقد اشار القرآن الكريم عنه بأنه اله جاهلى قديم ، و جد قبل زمان الطوفان ، وقد عبده قوم نوح ، قال تعالى " و قالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن وداً ولا سوعاً ولا يغوث و يعوق و نسرا " (6)

لقد جاءت اشاره له فى شعر " النابغة الذبيانى " كما كان له معبد فى " دومة الجندل " فضلاً عن اسماء رجال جاهليين سموا به (عبدود) ، و كانت قريش تتعبد لصنم دعته " ود " او " اد " (7) . كانت كلمة " ود " تعنى " حب " و يقصد بها هنا الحب الالهى ، و من ثم فقد دعوه " الاب " تعبيراً عن عطفه على المتعبدين له ورحمة بهم (8) . كان " ود " هو المعبود القومى لاوسان – كما كان المعبود القومى لدولة معين – و ان الاوسانيين قد خصصوا معبدهم الرئيسى فى وادى نعمان للاله " ود " (9) و اما المقة ، اله سبأ الكبير ، فقد انتشرت عبادته بين الاحباش ، فضلاً عن السبأيين انفسهم المقه ربما يعنى الاله المقتدر او الامر او الاله البهى او الجميل و قد دل لفظ " إل " او " إيل " عند العرب الجنوبيين و عند شعوب سامية قديمة فى العراق و الشام على معنى الاله (10) و اما " سين " اله حضرموت (11)

---

(1) سورة فصلت : آيه 37

(2) محمد بيومى مهران : العرب و علاقاتهم الدولية فى العصور القديمة ، الرياض 1976، صـ 297 – 306

(3) محمد بيومى مهران : اسرائيل – الكتاب الرابع الاسكندرية 1979 ، صـــ 21 – 25

(4) محمد بيومى مهران : الديانة العربية القديمة ، الاسكندرية 1978

(5) حسن ظاظا : المرجع السابق ، صـــ 138 – 139

(6) سورة نوح : آيه 23

(7) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ5 ، بيروت 1957 ، صــ 366 ، جواد على : المرجع السابق ، جـ6 ، صـــ 293

(8) لويس شيخو : شعراء النصرانية ، بيروت 1890 ، صـــ 705

(9) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، صـــ 213 – 233

(10) عبد العزيز صالح : تاريخ شبة الجزيرة فى عصورها القديمة صـــ 57

(11) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، صـــ 235 – 245

فهو اسم سومرى ، و ليس اسمه سامياً ، نقله الاكديون عن السومريين ، و نظائره السامية هى " ود " لدى عرب الجنوب و " سهر " لدى الارامين ، و " أرخ " او " يرخ " لدى الاموريين (1) .

الشمس :

تعبد العرب للشمس فى اماكن مختلفة من شبه الجزيرة العربية ، و كانت عبادة الشمس موجودة على الاقل منذ القرن العاشر ق.م ، ذلك ان القرآن الكريم يحدثنا ان ملكة سبأ على ايام سيدنا سليمان عليه السلام ، انما كانت و قومها يسجدون للشمس من دون الله ، و لما كان سليمان عليه السلام يحكم فى القرن العاشر ق.م (2) ، فإن عبادة الشمس قد و جدت فى سبأ منذ القرن العاشر ق.م على الاقل . و قد عبدت الشمس فى قتبان و حضرموت و سبأ تحت اسم " شمس " حيث كان العرب ينطقونها كذلك أما العبرانيون و الأرامبون فكانوا ينطقونها " شمش " و أهل اوجاريت كانوا ينطقونها " شبش " ، و كان اهل اوجاريت و عرب الجنوب يعتبرون الشمس الهة مؤنثة ، كما جاء ذلك فى احدى رسائل تل العمارنة من عسقلان ، بينما كان السومريون و الاكديون و المصريون يعتبرونها الهاً ذكراً (3) و غالباً ما تبدأ أسماء الشمس فى بلاد الجنوبية بلفظ " ذات " . و تعرف الشمس عند السبأيين باسم " ذات غفرن " و " ذات حمى " و " ذات حميم " ، و هذا يعنى انها " ذات حرارة " (4) . و ان كان هناك من يفسر اصطلاح " ذات حميم " بمعنى " ذات الحمى " و الحمى ذلك الموضع الذى يحمى و يخصص بالأله او المعبد او الملك او سيد القبيلة ، و المكان الذى يحيط بالمعبد فيكون حرماً امناً لا يجوز لاحد انتهاك حرمته (5) . وقد ورد ذكر الشمس فى النقوش القتبانية " ذات صهرن " و " ذات رصبين " و " إثرت " و هو بعينه اللفظ العبرى " اشرت " ، و هذا الاسم القتبانى انما يشير عادة الى الهة الشمس ، و الى زوج الاله " ود " (6) . وقد اشارت التوراة الى ان عقوبة عبادة الشمس ، انما هى الموت ، ورغم هذا . انتشرت عبادتها فى مدن " يهوذا " فضلاً عن تخصيص لاماكن معينة لعبادتها عرفت باسم " بيت شمس " . هذا و قد انتسب بعض العرب الى الشمس ، فسمي الواحد منهم " عبد شمس " ، و طبقاً لرواية الاخباريين ، فان سبأ الاكبر ، كان اول من تسمي بهذا الاسم ، كما كان اول من تعبد للشمس ، و من ثم فقد دعى باسم " عبد شمس " (7) . و قد كانت " اللات " هى الهة الشمس عند الصفويين (8) و هم نصف بدو يحترفون الزراعة فى المنطقة الواقعة شرق جبل الدروز او جبل حوران فى سوريه – و من ثم فهى على اتصال بالثقافة الارامية النبطية الحورانية ، و لهذا فهى متأثرة بطقوس عبادة الشمس السامية الشمالية ، و من ثم فاننا نجد ان الهة الشمس فى النقوش الصفوية تذكر تحت اسم " اللات " ، و كانت ترسم احياناً كقطعة من الشمس ، و قد تصور حسب الطريقة السامية الشمالية انساناً ، و هذا الانسان يمثل حسناء عارية ، و ان كانت الصورة فى الواقع تشبة تمثال الالهة " عشتارت " (9)

---

(1) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 254 – 255

(2) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، صـــ 343

(3) موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، صـــ 194 – 256 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 344

(4) على الاريانى : فى تاريخ اليمن ، القاهرة 1973 ، صـــ 11 – 12 ، ديتلف نلسن و اخرون : التاريخ العربى القديم ، معرب بالقاهرة 1958 ، صـــ 217

(5) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ2 ، صـــ 307 – 309 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 345

(6) ديتلف نلسن : المرجع السابق ، صـــ 218 – 219

(7) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 346

(8) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 361 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 347

(9) فريتز هومل : التاريخ العربى القديم ، صـــ 219 – 220

الزهرة :

الزهرة هى الأله " عثتر " ، وتقابل " عشتار " عند البابليين والأشوريين و" عشتارت " لدى الكنعانيين والأحباش ، و" عتر " عند السريان " مما يدل على انتشار عبادة هذه الأله ، وإنه كان من الألهه الكبرى قبل الميلاد (1) . والجدير بالإشارة هنا أن الأله " عثتر " العربى الجنوبى ، إنما هو إله ذكر ، بينما كانت نظائره فى جميع الأديان السامية الأخرى مؤنثة ، وهكذا نرى الشعر العربى يذكر الزهرة مذكرة ، وفى الجنوب العربى كان ينظر إلى الزهرة ، كطفل صغير ابن لاله القمر ولمه إلهة الشمس (2) وعلى أية حال فقد استنتج بعض الباحثين من عبادة هذا الثالوث الكوكبى (القمر – الشمس – الزهرة) فى بلاد العرب الجنوبية ، أن عبادة القوم كانت عبادة قمرية ، وأن هذا الثالوث يمثل عائلة إلهية مكونة من ثلاثة أرباب (الأب وهو القمر ، والإبن وهو الزهرة ، والأم وهى الشمس) (3) ولم تكن عبادة الكواكب فى بلاد العرب مقصورة على الثالوث المشهور (القمر والشمس والزهرة) ، وإنما عبد القوم كذلك وبخاصة قبائل لخم وخزاعة وحمير وقريش – " الشعرى العبور " ويذهب الإخباريون إلى أن أول من سن عبادتها للعرب هو " أبو كبشة " من خزاعة ، حيث خالف قريشاً فى عبادة الأصنام وعبد " الشعرى العبور " والتى سميت بهذا الإسم لأنها تعبر السماء عرضاً وأنها هى المقصودة فى قوله تعالى فى سورة النجم " وإنه هو رب الشعرى " ويوجد ما يشير إلى أن بعض العرب عبدوا " الثريا والنجم " بدليل وجود أسماء مثل " عبد الثريا " و " عبد نجم " وهناك من العرب من عبد " جملاً أسوداً " ومن عبد " الخيل " وتبرك أخرون بالناقة (4) وإلى جانب الألهة المشتركة كانت هناك طائفة كبيرة من الألهة الخاصة تحمى بعض الأماكن أو القبائل ، بل والأسر ويشار إليها غالباً باسم " بعل " واسم بعل فى الأصل اسم عام معناه " صاحب أوسيد " (5) .

الألهة الشمالية :

ذو الشرى :

هو إله النبط الكبير الذى نشر القوم عبادته فى أماكن تجاوزت حدود نفوذه ، ومن ثم فقد ذكر فى النقوش الثمودية والصفوية ، بعد أن انتقلت عبادته إلى أماكن استقرارهم ، بالصيغة الأرامية الأصلية " نشر " (دوشرا) وأما الصيغة العربية لمستحدثة فهى " ذو الشرى "، ويبدو أن الإسم الأرامى القديم لهذا الإله هو " عرا " وأما " دوشرا " فلقب عربى أطلقه الأنباط عليه ومعناه " سيد شرا " والمقصود هنا " بالشراة " هى المنطقة الجنوبية التى تقع جنوبى البتراء ، ولا تزال تسمى بهذا الاسم حتى اليوم (6) . وقد جعله الكتاب اليونان بمنزلة إلههم " ديونيسوس " إله الخصب و بخاصة الكروم . و على أيه حال ، فإن دوشرا عند الانباط (7) إنما هو " ذو الشرى " عند عرب الجاهلية ، و هناك كتابات نبطية جاء فيها مع اسم " ذو الشرى " اسم " مناة " و "هبل " و الاخير هو صنم قريش الرئيسى .

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 6 ، صـ 302

(2) ديتلف نلسن : المرجع السابق ، صـ 199

(3) أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة 1963 ، صـ 162 ، موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 194

(4) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، صـ 349 - 350

(5) موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 127 – 194

(6) ريجيس : تاريخ الادب العربى – العصر الجاهلى معرب بيروت 1956 ، صـ 63

(7) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، صـ 493 - 524

الألهة الشمالية :

ذو الشرى :

هو إله النبط الكبير الذى نشر القوم عبادته فى أماكن تجاوزت حدود نفوذه ، و من ثم فقد ذكر فى النقوش الثمودية و الصفوية ، بعد ان انتقلت عبادته إلى أماكن إستقرارهم ، بالصيغة الأرامية الأصلية " نشر " (دوشرا) ، و أما الصيغة العربية المستحدثة فهى " ذو الشرى " . و يبدو أن الإسم الأرامى القديم لهذا الاله هو " عرا " و أما " دوشرا " فلقب عربى أطلقه الأنباط عليه ، و معناه " سيد شرا " و المقصود هنا " بالشراة " هى المنطقة الجنوبية التى تقع جنوبى البتراء ، و لاتزال تسمى بهذا الاسم حتى اليوم (1) وقد جعله الكتاب اليونان بمنزلة إلههم " ديونيسوس " إله الخصب و بخاصة الكروم . و على أية حال ، فإن دوشرا عند الأنباط (2) إنما هو " ذو الشرى " عند عرب الجاهلية ، و هناك كتابات نبطية جاء فيها مع اسم " ذو الشرى " اسم " مناة " و " هبل" و الاخير هو صنم قريش الرئيسى .

اللات :

كانت " اللات " كبيرة ألهة الصفويين ، و أكثرهم ورودا فى دعواتهم ، بل ربما كانت أهم الألهة عندهم . وقد عرفها اللحيانيون فقد كان من أسمائهم "تيم اللات " (3) . كما تعبد لها الأنباط سواء فى حوران أو فى الحجاز و قد اعتبروها إما للألهة ، و يذهب البعض إلى أنها كانت الألهة الأم لمدينة البتراء ، و أنها بمثابة الألهة " أرتميس " عند القرطاجيين ، و أطلق على معبدها فى البتراء " معبد الأم العذراء " (4) . وقد ذكرت " اللات فى الكثير من النقوش النبطية و بخاصة التى عثر عليها فى " صلخد " فى حوران (5) و قد عرف التدمريون " اللات " ، و تصور " اللات " فى الأثار غالبا بسمات الإلهة اليونانية " أثينى " إلهة الحرب و الحكمة . و كانت " اللات " تصور و فى صحبتها أسد ، و هو الحيوان الذى نجده مع الألهتين الساميين عشتأرت و أترجانس . وقد كان اسم " اللات " يكون الجزء الأخير من اسم أخر ملوك تدمر " وهب اللات " (ابن أذينة و الزباء) . و كانت " اللات " أول صنم عربى يرد ذكره عند اليونان ، فقد جعل منها هيرودوت ، صنواً للألهة اليونانية " أورانيا " إلهة علم الفلك (6) . " و اللات " من الأصنام القديمة المشهورة عند العرب ، و يبدو انها قد انتقلت الى الحجاز من الانباط و القبائل العربية الشمالية ، و تروى المصادر العربية انها كانت صخرة مربعة بنت عليها قبيلة ثقيف فى مدينة الطائف بيتاً به الكعبه المشرفة ، و كان العرب تعظم بيت اللات . و كان العربى اذ قدم من سفر توجه الى بيت اللات و تقرب اليه و شكر " اللات " على عودته سالماً ، ثم يذهب الى بيته (7) . و كان اسم " اللات " يدخل فى تركيب بعض الاسماء ، فكانت العرب تسمى : زيد اللات و تيم اللات و سكن اللات و شكم اللات ووهب اللات و عائذ اللات و شيع اللات . و كان العرب يحملون رموزاً لها معهم فى ميادين القتال و كانت للات حمى و حرم فى جوار الطائف يقصده اهل مكة و غيرها و يقدمون لها الذبائح ، و تذهب المصادر العربية الى ان قريشاً قبل الاسلام ، انما كانت تطوف بالكعبة . و تقول: " واللات و العزى و مناة الثالثة الاخرى ، وان شفاعتهن لترتجى " (8) .

الاله بيل :

ربما كان " بيل " أو " بل " اله تدمر ، و هو الاله السامى " بعل " (9)

---

(1) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 360

(2) ريجيس : تاريخ الادب العربى – العصر الجاهلى معرب بيروت 1956 ، صـــ 63

(3) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، صـــ 493 – 524

(4) جواد على : المرجع السابق ، جـ6 ، صـــ 232 ، موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 358 ، رينه ديسو العرب قبل الاسلام ، معرب بالقاهرة 1959 ، صـــ 111

(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 357 – 358

(6) رينيه ديسو : المرجع السابق ، صـــ 115 ، موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 359

(7) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 359 – 360

(2) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 362 – 362

(8) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 360

(9) موسكاتى : المرجع السابق ، صـــ 367

عبادة الكواكب :

الاله " رضى " و هو من الهة الثموديين و الصفويين ، و قد جاء بصيغ مختلفة فى النقوش الثمودية منها ، " رضو " و " رضا " و " رضى " (1) و قد ذكرته النصوص الصفوية كثيراً فى نقوش يتوسل فيها اصحابها اليه بأن يمن عليهم بالسلامة و النعم و ان يبعدعنهم شر الاعداء ، و يحاول بعض الباحثين ان يروا فى الاله " رضى " الاله " عثتر " ، و اما الاخباريون فقد رأوا فيه صنماعبده بعض القوم . و قد ذهب بعض الباحثين الى ان " رضى " (رضا) انما عبد عند عرب الجاهلية كالهة انثى فى صيغة " رضى " او " رضاء " ، و عبد كاله ذكر عند الثموديين فى صيغة المذكر " رضو " . وقد جاء اسمة فى بعض اسماء تدمر مثل " تيم – رضو " (2) .

الاصنام :

يرى علماء اللغة ان كلمة الاصنام ليست عربية اصلية ، و انما هى معربة من كلمة " شنم " (3) ، ورغم انهم لم يذكروا لنا اسم اللغة التى عربت منها ، فربما كانت من اللغة الارامية " صلموا " او العبرية " صلم " (4) . و على ايه حال فان الكلمة وردت فى النصوص العربية الجنوبية تحت اسم " صلمو " بمعنى صنم و تمثال ، و فى الكتابات العربية الشمالية من اعالى الحجاز ، تحت اسم " صلم " كأسم لاله علم . ازدهرت عبادته حوالى عام 600 ق.م فى تيماء حيث عد له فيها على بقايا معبد ، وقد عثر فى هذا المعبد على نقش محفوظ الان بمتحف اللوفر مكتوب بالخط الارامى يشير الى ان كاهناً كان قد اتى بضم جديد و بنى له معبداً ، و عين له كاهناً (5) . تروى المصادر العربية ان عبادة الاصنام كانت منتشرة بين العرب قبل الاسلام ، حتى كان الواحد منهم يتخذ فى داره صنماً يتعبد له هو و أهله و يطوف به حين خروجه ، و أنه اذا ما أراد سفراً تمسح به حين يركب و حين يعود من سفره و يذكر صاحب كتاب الاصنام : " و اشتهرت العرب فى عبادة الاصنام فمنهم من اتخذ بيتاً ، و منهم من اتخذ صنماً ، و منهم من لم يقدر عليه ولا على بناء بيت ، نصب حجراً " . و هناك من يرى ان عبادة الاصنام لم تكن معروفة فى بلاد العرب الجنوبية ، و ربما كان السبب فى ذلك ان القوم هناك انما قد تعبدوا لالهة منظورة فى السماء و هى الكواكب الثلاثه : الشمس و القمر و الزهرة . ولعل من الجدير بالاشارة هنا ، ان العرب انما كانوا يفرقون بين الاصنام و الاوثان فالصنم فى تعريف علماء اللغة هو ما اتخذ الهاً من دون الله ، و ما كان له صورة كالتمثال ، و عمل من خشب أو ذهب او فضة او نحاس او حديد او غير ذلك ، و قد عرف بعضهم الصنم بأنه ما كان له جسم او صورة فان لم يكن له جسم او صورة فهو " وثن " و يذكر ابن الكلبى فى كتابه الاصنام (6) ان التمثال عنده اذا كان معمولاً من خشب او ذهب او فضة او غيرها فى صورة الانسان فهو " صنم " و اذا كان من حجارة فهو " وثن " .

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ6 ، صـــ 170 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـــ 364 – 365

(2) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ، جـ4 ، القاهرة 1952 ، صـــ 141

(3) محمد عبد المعيد خان : الاساطير العربية قبل الاسلام ، القاهرة 1936 ، صـــ 113

(4) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، صـــ 370

(5) أبو المنذر هشام محمد السائب الكلبى : كتاب الاصنام ، القاهرة 1965 ، صـــ 33

(6) ابن الكلبى : كتاب الاصنام ، صـــ 53

وأما النصب فهو حجر غفل ، ليس على صورة معينة (1) ، تجرى عليه قبيلة من القبائل أوضاع العبادة .
وأما أهم الأصنام غير ما ذكر من قبل فهى :

العزى :

كانت العزى أعظم أصنام قريش وبنى كنانة ، وكانوا يتقربون إليها بالذبح . والعزى أحدث من اللات ومناة ، لأن العرب سمت بهما قبل العزى (2) وقد نسب الإخباريون عبادة العزى إلى عُمرو بن لحى . وهناك رواية تذهب إلى أن العزى سمرات (ضرب من شجر الطلح) لها حمى ، وكان الناس يتقربون إليها بالنذور ، فى حين يذكر الإمام الطبرى أن العزى حجر أبيض ، ويذهب آخرون أنها شجرة بنخلة ، بينما تتجه رواية رابعة إلى أن العزى شيطانة . ولعل الأقرب إلى الصواب أن العزى صنم له بيت ، وقد أصبحت العزى عند العرب إله الخضر (3) هذا ويبدو أن عبارة العزى كانت واسعة الإنتشار فى بلاد العرب ، فقد تعبدت لها قريش وكنانة وخزاعة فى مكه كما تعبد لها بنو سليم وغطفان وجشم وسعد بن بكر ونصر وجميع مضر وبنو كنانة وثقيف . واتخذت لها صنماً (4) وهناك من يذهب إلى أن عبادة العزى إنما وصلت إلى بلاد العرب الجنوبية ، بدليل وجود إمرأة هناك تدعى " أمة العزى " فى نص عربى جنوبى ، وبدليل أن واحداً من هناك قدم لها تمثالاً من ذهب لكى تشفى أخته الطيلة (5) ويوجد ما يشير إلى أن عبارة العزى قد تسربت إلى عرب الشام والعراق ، وإلى الأنباط والصفويين ، فقد ذكر أن "المنذرين ماء السماء " (508 – 528 م) ملك الحيرة قد ضحى بأربعمائة راهبة للعزى فى غزوة له بالشام عام 528 م (6) . ويبدو أن العزى لم تكن من ألهة اللحيانيين فى الأصل وربما نقلها القوم عن الأنباط (7) حيث وردت تحت اسم " العزا " فى نقش فى البتراء وفى جبل رم وفى بصرى فى حوران وقد ورد اسم العزى فى أسماء بعض الأعلام النبطية مثل " عبد العزى " . أما فى تدمر فقد وردت العزى بالصيغة المذكرة " عزيزو " ، وهو الأصل الذى يقرن بالأله "أرصو " عند أهل تدمر ولم يرد ذكر العزى فى النقوش الثمودية بشمالى الجزيرة العربية ، وقد ورد ذكرها فى المخربشات الثمودية . وقد ورد ذكرها فى تركيب بعض الأعلام مثل " تيم عزى " و " عبد العزى " و " أمه العزى " (8)

مناة :

مناة هى الثالثة الأخرى التى ورد ذكرها بجانب اللات والعزى فى القرآن الكريم ، فى قوله تعالى " أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى " (9) . ومناة هى " منوتو " عند الأنباط ، " منوت" عند التدمريين ، و" منت " عند اللحيانيين والثموديين . وكان اسمها يدخل فى تركيب كثير من الأعلام اللحيانية بالصيغتين " منت " و "منوت " وفى بعض الأعلام الثمودية مثل " عبد منت " و " أوس منت " . (10)

---

(1) محمد مبروك نافع : عصر ما قبل الإسلام ، القاهرة 1952 ، صـ 163
(2) ابن الكلبى : كتاب الأصنام ، صـ 71
(3) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 373
(4) جواد على : المرجع السابق ، جـ 6 ، صـ 240
(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 376
(6) جواد على : المرجع السابق ، جـ 6 ، صـ 238
(7) موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 375
(8) موسكاتى : المرجع السابق ، صـ 376
(9) سورة النجم : أيه 19 – 20
(10) Starcky , J . , Palmyreniens , Tourni , 1956 , P . 46 - 47

ومناة لفظة مشتقة من المنا والمنية ، وهو الموت والقدر . ويرى الإخباريون أن العرب جميعاً نسا كانت تعظم مناة وتذبح حول صنمها ، وكانت الأوس والخزرج أشد الناس تعظيماً لصنم مناة (1) ولعل من الأهمية هنا أن العرب إنما نظرت إلى اللات والعزى ومناة على أنهن إناث، الأمر الذى جعل بعض الباحثين يذهبون إلى القول بأن عبادة الأناث إنما كانت أسبق من عبادة الذكور فى بلاد العرب (2)

هبل :

كان هبل أعظم أصنام قريش . ويرى الأخباريون أن هبل إنما كان من عقيق أحمر على صورة إنسان ، مكسور اليد اليمنى ، أدركته قريش فوضعت له يداً من ذهب (3) . هذا وقد وضع القوم إلى جانب صنم هبل الأزلام وهى القداح أو السهام التى كان أهل الجاهلية يستقسمون بها . ويرى البعض أن اسم هبل إنما هو مشتق من لفظ أرامى بمعنى الروح وقد أشارت روايات الإخباريين أن قريش كانت تتوسل إلى هبل لكى يمن عليها بالخير والبركة فضلاً عن النصر فى الحروب وكف الأذى وهناك ما يشير إلى أن هبل إنما كان من معبودات العرب الشماليين ، فقد ورد اسمه إلى جانب اسم ذى الشرى ومنات فى نقوش نبطية من الحجر كما أن هناك أشخاص من قبيلة " كلب " قد حملوا اسم هبل .

أساف ونائلة :

يروى الإخباريون أن " عمرواً بن لحى " هو الذى وضع" هبل " عند الكعبة، فكان أول صنم وضع بمكه ، ثم وضعوا كلاً من أساف ونائلة على ركن من أركان البيت .

ود :

جاء ذكر " ود " فى القرآن الكريم ، بين خمسة أصنام عبدها قوم نوح ، يقول تعالى : "وقالوا لاتذرن آلهتكم ولاتذرن وداً ولاسواعاً ولايغوث ويعوق ونسراً " (4) ويذهب الإخباريون إلى أن " عمر بن لحى " هو الذى نشر عبادة " ود " فى تهامة وفى وادى القرى وفى دومة الجندل ، وأن القوم استمروا يتعبدون له حتى كسره خالد بن الوليد بأمر من المصطفى – صلى الله عليه وسلم – بعد غلبته على بنى ود وبنى عامر الأجدار (5) وقد كان " ود " إله دولة معين الكبير ومنها أن القوم قد عرفوه منذ ما قبل الطوفان ، كما أشار القرآن الكريم إلى عبادته بين قوم نوح .

سواع :

كانت تعبده بنو كنانة وهزيل ومزينة وعمرو بن قيس عيلان .

ويرجع اسم " سواع " إلى فعل سامى قديم " شيع " بمعنى صاحب إنساناً لحراسته وقد ورد فى النقوش الصفوية التى عثر عليها فى بادية سورية وشمال نجد اسم إله يقال له " شيع القوم" وربما كان اسم سواع هو الإسم القديم اليمنى الذى تطور فى الشمال إلى " شيع" (6) وهو على أية حال من أصنام قوم نوح . ويذهب بعض الباحثين إلى أن " سواعاً " لم يكن من الأصنام الهامة عند العرب بدليل أنه لم يرد ذكره فى أسماء الأعلام المركبة ، وعلى أية حال فقد هدمه " عمرو بن العاص " فى العام الثامن من هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم (7) .

---

(1) محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ، صـ 429 – 436
(2) محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ، صـ 381
(3) ابن الكلبى : الأصنام ، صـ 27
(4) سورة نوح : أيه 23
(5) ياقوت الحموى : المرجع السابق ، جـ 5 ، صـ 368
(6) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، صـ 140
(7) تاريخ الطبرى : جـ 3 ، صـ 66

يغوث :
وهو صنم المزحج ، وهى قبيلة يمنية الأصل ، وقد عبدته مزحج ومن والاها ، وأهل جريش (1) هذا ويتجه بعض الباحثين إلى أن يغوث إنما يمثل الأسد ، وأنه كان " طوطم " مذحج تحمله معها إبان وقوع المعارك بينها وبين أعدائها . وهناك ما يشير إلى أن القوم قد أدخلوا ضمنهم هذا فى تركيب بعض الأسماء ، ومن ثم فقد رأينا يغوث يتردد فى كثير من القبائل العربية كقريش وهوزان وتغلب وقد ورد ذكره فى النقوش الصفوية واليونانية (2) .

يعوق : يعوق صنم لكنانة ومن قبل كان لقوم نوح (3) ، وقد عبدته همدان وخولا ومن والاها من قبل وتشير روايات الإخباريين أن همدان أو غيرها ، لم تقل شعراً فى " يعوق " ، كما أنها لم تدخله فى تركيب أسماء الأعلام فيها ، ولعل السب فى هذا أن همدان قد اختلطت بدولة حمير ، ومن ثم فقد دانت باليهودية على أيام ذى نواس (4) وربما كان هذا دليلاً على أن "يعوق " لم يكن من الأصنام المهمة عند العرب عند ظهور الإسلام ، وأن عبادته قد تضاءلت وانحصرت فى قبائل معينة (5) .

نسر : نسر من أصنام قوم نوح (6) وقد كان " نسراً " صنم لحمير وهمدان ، وأنه كان منصوباً فى قصر ملوك اليمن ، وتذهب المصادر العربية إلى أن كلمة " نسراً " اسم كوكبين يفرقون بينهما ، فيقولون : النسر الواقع والنسر الطائر ، والراجح أن يعوق ونسرا كانا كوكبين ، قبل أن يكونا صنمين . وهناك مايشير إلى أن " نسراً " إنما كان يعبد عند اللحيانيين، وعند العرب الشماليين . وقد ذكره التلمود " نشرا " وأنه صنم كانت العرب تعبده ، وأنه كان يصور على صورة نسر من الطير ، وقد وجدت له أصنام منحوتة على الصخر وبخاصة فى أعالى الحجاز . (7)

ذو الخلصة : كان ذو الخلصة صنماً لدوس وأزد السراة وبجيلة وهوزان وبنى هلال بن عامر وخثعم . بيت ذى خلصة كان يدعى " الكعبة اليمانية " فى أرض خثعم فى طريق القوافل بين مكه واليمن . وقد هدم بيت ذى خلصة فى العام الثامن أو العاشر من الهجرة على يد " جرير بن عبد الله " (8) ويروى الإمام البخارى (194 – 256 هـ) فى صحيحه ، عن قيس بن جرير بن عبد الله ، أنه قال " كان فى الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة وكان يقال له الكعبة اليمانية أو الكعبة الشمالية " (9)

عم أنس : عم أنس صنم لخولان كان القوم يقدمون له نصيبه كل عام من الحرث والأنعام .

الأقيصر : وهو صنم كان له بيت (بيت الأقيصر) فى مشارف الشام مقصد للقبائل من قضاعة ولخم وجذام ، وليس هناك من شك فى أن هذه الأصنام هى كل أصنام العرب ، فهناك غيرها ومنها على سبيل المثال : صنم " المحرق " وهو صنم لبكر بن وائل وربيعة وهناك " الفلس " وهو صنم فى نجد لطئ على هيئة إنسان ، وهناك " ذو الكفين " وكان صنماً لخزاعة ولدوس ، وهناك " سعد" وهو صنم بساحل جدة لمالك وملكان ، ابنى كنانة وقد دخل اسمه فى تركيب بعض الأعلام مثل " عبد سعد " وقد ورد ذكره فى النقوش النبطية والصفوية مما يدل على أن القوم كانوا يتعبدون له . وكان هناك " مناف " وبه سمى " عبد مناف " و " نهم " وهو صنم لمزينة ، و " عائم " وهو صنم لأزد السراة ، و " سعير " وهو صنم عنزة فضلاً عن " اليعبوب " و " باجر " وغيرها . (1)

---

(1) ابن الكلبى : الأصنام ، صـ 75
(2) حسن ظاظا : المرجع السابق ، صـ 141
(3) سورة نوح : آيه 23
(4) ياقوت الحموى : معجم البلدان ، جـ 8 ، صـ 510
(5) جواد على : المرجع السابق ، جـ 6 ، صـ 262 – 263
(6) سورة نوح : آيه 23
(7) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 390 – 391
(8) ديتلف نلسن : المرجع السابق ، صـ 224 – 225 ، ابن الكلبى : الأصنام ، صـ 34
(9) صحيح البخارى : جـ 5 ، صـ 49

ثانياً : إيران

مصادر دراسة تاريخ إيران القديم

تعد الآثار والنقوش المختلفة التي كشف عنها حتى الآن ، وما كتبه المؤرخون والرحالة اليونان من كتابات ، عن فارس القديمة من أهم المصادر لدراسة تاريخ إيران و من أشهر المؤرخين والرحالة اليونان الذين زاروا بلاد فارس وكتبوا عنها : هيرودوت الذى عاش فى 484 - 425 ق . م . ، وزار العديد من بلاد الشرق القديم ومن بينها فارس وكتب عن تاريخها فى القرن الخامس قبل الميلاد . وجاء بعد ذلك المؤرخ اليونانى " كته زياس " الذى كتب عن تاريخ إيران والهند وكذلك ما كتبه المؤرخ اليونانى " زينوفون " الذى عاش من 430 إلى 352 ق . م . وألف كتاباً عن حروب قورش ، وكذلك ماكتبه المؤرخ اليونانى "بلوتارخ" الذى عاش من 50 إلى 125 ميلادية وخصص جزء مهم مما كتبه عن مشاهير الرحالة اليونان والرومان ، كما خصص جزءاً من هذا الكتاب عن تاريخ إيران ، وأخيراً جاء "استرابون" ا لجغرافى الشهير الذى ولد فى كبادوكيا بأسيا الصغرى وتوفى فى أوائل القرن الأول الميلادى ، وقد كتب عن جغرافية العالم القديم وخصص جزءاً مما كتبه عن إيران ومصر (2) إن الأدلة المادية لوجود حضارة متميزة فى إيران أو بلاد فارس القديمة كان الفخار هو مصدرها الأساسى والكتابات المسجلة بالخط المسمارى على الألواح الطينية أما الفخار فقد أمدنا بصور تعكس حضارة ترجع للعصور الحجرية القديمة وأما الكتابات فقد أمدتنا بالكثير من الصور السياسية والثقافية وتحركات الأجناس البشرية فى هذه المنطقة (3) . أمابالنسبة لمصدر المادة الأثرية فقد بدأ التعرف على آثار ونقوش إيران منذ أن زارها بعض الرحالة الأجانب فى القرن الخامس عشر الميلادى وكان أول هؤلاء " انجلبرت كيمبفر " الذى كان على رأس بعثة سويدية عام 1683 م ، وكان أول من وصف آثارها وصفاً علمياً قام بتسجيل نقوشها ، وكان أول من أطلق عليها اسم الكتابة المسمارية ، وجاء بعد ذلك " نيبور " عام1765 م وقام بعمل تخطيط للمناطق الأثرية ، كما قام بنسخ بعض النصوص القديمة ثم جاء بعد " جروتفند " الذى إعتمد فى التعرف على الأماكن الأثرية فى إيران على ما كتبه هيرودوت وقد حاول أن يترجم أو يحل بعض الرموز التى كتبت بالمسمارية القديمة ، وقد جاء من بعده مجموعة من علماء اللغات القديمة الذين حاولوا دراسة رموز الكتابات والخطوط الفارسية القديمة منهم " راسك " (الدنماركى) و " برنوف " (الفرنسى) و " لاسن " (النرويجى)،

---

(1) جواد على : المرجع السابق ، جـ 6 ، صـ 269 ، 277 - 280
ابن الكلبى : الأصنام ، صـ 18 ، 37 ، 111 ،
ياقوت الحموى : المرجع السابق جـ 1 ، صـ 238 ، جـ 4 ، صـ 273 - 274
(2) حسن بييرنيا : تاريخ إيران القديم ، معرب بالقاهرة 1979 ، صـ 56 - 57 ، شافية بدير ونور جلال عبد الحميد : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، صـ 285 ،
رمضان عبده على : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، صـ 53
(3) شافية بدير ونور جلال عبد الحميد : المرجع السابق ، صـ 285

ولعل أبرز هؤلاء هو الإنجليزى " رولنسون " الذى تمكن من نسخ نقشين من النقوش الثلاثة الموجودة على صخور الجبال " بيهستون " (لوبيستون) جنوب همدان وكل من النقشين كتبا بخطوط ثلاثة ، ثم بدأت الحفائر الأولية فى " سوس " وهى إحدى العواصم القديمة فى بلاد فارس وقد تعرف العلماء على هذا الموقع فى منتصف القرن التاسع عشر وقد كشف فى هذه المدينة على لوحة الرماة التى أقامها الملك قورش والملك دارا الأول وهى الآن فى متحف اللوفر بباريس وعثر فيها على الآثار التى كانت قد نقلت من بابل ومنها تمثال البرونز للملكة "نابير – اسو " التى عاشت فى القرن الثالث عشر ق . م . وهومحفوظ بمتحف اللوفر ، كذلك كشف فى مدينة سوس فى عام 1901 عن لوحة حمورابى التى تعد أهم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر وبالقرب من " سوس " عثر فى " تشوجا – زامبيل " على موقع أثرى هام عثر فيه على زاقورة ضخمة وكثير من المعابد المشيدة من الطوب اللبن والتى تحمل اسم الملك العيلامى " أونتاشى – جال " الذى عاش فى القرن الثالث أو الثانى ق . م . وامتدت الحفائر كذلك إلى " برس بوليس " وهى العاصمة الثانية فى بلاد فارس ، وكانت قد شيدت فى عام 520 ق . م . ، وكشف فيها على بقايا قصر الملك دارا الأول . ولاتزال عمليات الحفائر مستمرة ، ومن دراسة الآثار التى اكتشفت أمكن لعلماء الدراسات الشرقية تحديد بداية تاريخ إيران منذ أقدم العصور حتى عام 323 ق . م . ، عندما دخلت إيران تحت سيادة الإسكندر المقدونى وخلفائه من السلوقيين (1)

الإطار الجغرافى :

يتكون القسم الأكبر من أرض واسعة تحيط بها سلاسل من الجبال الشاهقة من كل جانب فتحدها من الناحية الشرقية ثلاثة من الجبال المتوازية تعرف بجبال سليمان (القوقاز) و تحيط بها من الشمال جبال البرز و تحدها من الغرب جبال كردستان او زاجروس ، التى تمتد من الشمال الى الجنوب ، ثم تعرج جنوبا و شرقا لتصل الى بحر عمان . و يحدد الهضبة الايرانية من الناحية الجنوبية الخليج و بحر عمان ، و هذا الخليج من اكثر بقاع العالم حراره ، و يفصل الجزيرة عن ايران و يتصل ببحر عمان عبر مضيق هرمز حيث يرتبط بمناطق العالم المختلفة عن طريقة ، و يصب شط العرب فى هذا الخليج و يضم هذا الخليج اكثر الجزر قشم و البحرين . و فى الهضبة الايرانية الكثير من المعادن مثل النحاس و الحديد و الرصاص و الفحم الحجرى و المرمر و الطين الاحمر (المغرة) و الفيروز ، و كذلك كشف عن الذهب . و الهضبة الايرانية تعد جسراً يربط بين الاجزاء الشرقيه و الغربية من اسيا و قد اكسب هذا الموقع ايران اهمية خاصة عبر التاريخ فقد كانت ايران هى الطريق الوحيد الذى يربط اجزاء اسيا مع بعضها البعض ، و كذلك ربطهابممالك بحر العرب و اوربا فى الازمنة التى لم يكن عبور البحار فيها سهلاً . كما ان موقع ايران فى الطرق الاربع للعالم القديم جعلها ملتقى لكثير من الشعوب و الاجناس و كان لهذا الموقع الجغرافى كثير من النتائج الايجابية (2) .

---

(1) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـ 53 – 55

(2) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صــ 47 – 52 ، حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صــ 5 – 19 ، شافيه بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صــ 283 - 284

ايران فى عصور ما قبل التاريخ :

كان انسان هذه العصور و خاصة فى مرحلها الاولى يسكن كهوفا حفرت فى الجبال المغطاة بالغابات و كان يصنع لها سقوفا من اغصان الاشجار او كان يسكن كهوفا طبيعية هى مخلفات المجارى القديمة للانهار التى جفت و عثر بها على بقايا الادوات الحجرية و العظام الانسانية و التى ترجع الى العصر الحجرى القديم بمراحلة الثلاثة و العصر الحجرى الوسيط (1) .

العصر الحجرى القديم :

عثر على اثارة و هى عباره عن فؤوس حجرية فى كهف " تنجى بابدا " فى جبال بختيارى فى الغرب (2) مما يدل على ان الانسان كان يسكن الكهوف .

العصر الحجرى الوسيط :

عثر على بقايا هذا العصر فى كهف " بلت " و يقع الى الغرب من مدينة بهشهر . و عثر فى هذا الكهف على كميات كبيرة من قرون الغزال و عدد من الفؤوس و السهام ذات النصل . وقد اعتمد سكان هذا العصر فى حياتهم على صيد عجل البحر . و يرجع الى نفس الفترة ، موقع اخر و هو تبه اسياب الى الشرق من " كرمانشاه " و كشف فيها على ادوات حجرية مصنوعة من حجر الصوان ، و يرجع العلماء تاريخ هذا الموقع الى الالف التاسعة او السابعة ق.م (3)

العصر الحجرى الحديث :

عثر على بقايا هذا العصر فى عدة مناطق فى " لورستان " فى وسط منطقة زلجروس ، و تب ساراب بالقرب من كرمانشاه حيث عثر فيها على اكواخ للصيادين (4) .

عرف الانسان فى هذا العصر الفخار الملون ، فقد عثر فى " تبه جيان " على فخار ملون بأشكال هندسية يشبه الفخار الذى كان سائداً فى حضارة تل حلف فى العراق . ولعل اهم ما يمثل حضارات هذا العصر تلك الحفائر و الدراسات التى قام بها العالم الالمانى " جهيرشمان " فى منطقة سيالك فى الشمال الغربى من ايران حيث عثر هناك على اقدم موضع لاستقرار انسان السهول فقد كشفت حفائرة على بقايا قرى و اكواخ من فروع الاشجار (5) .

وقد قام العالم الالمانى " جهير شمان " بتقسيم حضارة هذا العصر الى ثلاث مراحل : فترة سيالك الاولى و الثانية و الثالثة .

فترة سيالك الاولى و هى التسمية التى اطلقت على اقدم الطبقات التى دلت على اول استقرار للانسان و هى ترجع الى حوالى الالف الخامسة ق.م ، و قد تعدى الانسان فيها مرحلة الصيد و اصبح راعياً و مزارعاً و قد استئناس فيه الانسان الحيوانات مثل الماشية و الاغنام ، و استخدم الفخار الذى كان يصنع باليد . و بدأت تظهر فى هذا العصر اولى الادوات المصنوعة من النحاس مثل الدبابيس ، و كان الموتى يوسدون فى وضع القرفصاء ، و يتم الدفن فى مقابر معدة تحت ارضية المساكن (6) و توضع معهم بعض الادوات المصنوعة من الفخار و استخدم الانسان ايضاً القواقع و الاحجار للزينة و صنع منها القلائد (7) .

---

(1) شافيه بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صـــ 287

(2) محمد ابو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم ، صـــ 389 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 55

(3) احمد سليم : تاريخ العراق – ايران – اسيا الصغرى ، الاسكندرية 1998 ، صـــ 365 - 369 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 55 - 56

(4) Amiet . Les Civilisatiobs Antiques du Proche – Orient . Paris . 1971 . p 20

(5) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 56

(6) Contenau . Les Civilisations des Proche – Orient . Paris . 1963 . p . 89

(7) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 391 392 ، احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، القاهرة ، 1958 ، صـــ 206 – 210

و فى فترة سيالك الثانية عرف الانسان فيها تشييد المساكن التى شيدت من الطوب المصنوع باليد و المجفف تحت اشعة الشمس و اصبحت المساكن اكثر اتساعاً و مزودة بأبواب او منافذ مغطاه بالحصير ، و قد تقدمت صناعة الفخار فى هذه الفترة و كانت مزينة برسوم تمثل حيوانات و طيور و قد استخدم الانسان المعادن فى ذلك العصر ، كما كانوا يستخدمون النحاس فى صناعة بعض ادوات الزينة و كانوا يدفنون موتاهم تحت ارضية المساكن (1) .
اما فترة سيالك الثالثة فتشغل الجزء الثانى من الالف الرابعة قبل الميلاد ، و هى اكثر تطوراً و تقدماً من الفترات السابقة . فقد شيد الانسان المساكن من الطوب و ادخل فيها الاساسات والنوافذ من الحجارة ، و كانت المساكن موزعة فى احياء و يفصل بينهما شوارع و كانت المساكن مزودة بأبواب و نوافذ ، و قد شاع استخدام عجلة الفخار فى هذه الفترة و تعددت الوان الفخار فكان منها الرمادى و الاحمر و الوردى و الاخضر الداكن ، و قد عثر على بعض الاشكال و التماثيل الصغيرة للمعبودة الام و معها طفلها ، و كان الانسان يدفن موتاه تحت ارضية المنازل فى وضع القرفصاء مع تزويدة بالاثاث الجنائزى (2) .
و الى جانب موقع سيالك من العصر الحجرى الحديث ، عثر على مواقع اخرى من الألفين الخامسة و الرابعة قبل الميلاد . و كان معظم ايران واقعاً تحت تأثير حضارتى العبيد و الوركاء فى بلاد النهرين ، و تحولت القرى الصغيرة الى قرى كبيرة نوعاً ما وهى مواقع تقع شرقى الخليج العربى (3) .

العصور الكتابية و حضارة الالف الثالثه ق.م :

يعد من اهم الاحداث فى هذه المرحلة قيام حضارة سوسة و معرفة الكتابة و هذه الفترة تسمى ما قبل العيلامية التى تعاصر حضارة جمدة نصر فى السهل المجاور ، و يلاحظ فى هذه الفترة ان نسبة الفخار الملون بدأت تقل و يحل محل هذا النوع نوع اخر من الفخار الاسود المصقول ، كما زادت العناية ببناء المساكن بأبواب قصيرة و كان يوجد عند مدخل المنزل موقد من قسمين احداهما للطبخ و الاخر لصناعة الخبز . و قد عثر على قطع من الطين المختوم تشير الى وجود مشكاوات او حظائر صغيرة من الحجر لحفظ الادوات و المؤن . و ظل فى هذه الفترة دفن الموتى تحت ارضية المساكن على هيئة القرفصاء و معه الاثاث الجنائزى . و ظهر خلال هذه الفترة الاهتمام بأدوات الزينة و الحلى و الملابس و معرفة التطعيم بالذهب و الفضة و تنوعت مادة صناعة الحلى و صارت أكثر دقة فى حضارة سوسة (4) .

العلاميون :

ظلت الهضبة الايرانية خلال الالف الثالثة قبل الميلاد مسرحاً لهجمات كثيرة من جيرانها من الجوتيين و اللوبيين ، و أن أهل الهضبة لم يكن لهم فى الالف الثالثة او الالف الثانية قبل الميلاد اى وحدة تجمع قبائلها تحت سلطان رجل واحد (5) . و قبل الدخول فى تاريخ الايرانيين يجب الاشارة هنا الى العلاميين الذين و ضعوا اسساً لحضارة تساعدنا على فهم تاريخ لانه فى بداية الالف الثالثة ق.م لم يدخل من مناطق ايران فى العصور التاريخية سوى منطقة عيلام . و قد اطلق لفظ عيلام (الذى يعنى المنطقة الجبلية) على مملكة شلمت الولايات التالية : خورستان – لرستاى – بشت كوه – جبال بختيارى ، و من اشهر مدن عيلام سوس (شوش) التى تعتبر اهم مدن عيلام و من اقدم مدن العالم القديم و مدينة مادلكتو و الاهواز .

---

(1) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 392 – 393
(2) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 394 شكل 35 – 36 ، احمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق الادنى ، صـــ 212
(3) محمد عبد القادر : ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الاسلامى ، القاهرة ، 1979 ، صـــ 13 – 20
(4) نجيب ميخائيل : حضارات الشرق الادنى القديم ، الاسكندرية 1967 ، صـــ 392 ، شافيه بدير وثور جلال : المرجع السابق ، صـــ 295 – 296

(5) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة 1966 ، صـ 547 ، رمضان عبده على ، المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 61

اما عن أصل جنس العيلاميين فيعتقد انهم من أصل اسيانى أو زاجرو - عيلامى أو من سواحل الخليج . ولم ينحدروا من عائلة سامية او هندو او ربية و يضعهم بعض العلماء ضمن مجموعة الشعوب التى تتحدث اللغات القوقازية و قد ازدهرت ممتلكاتهم فكانت تشمل سوسه و تحدها مرتفعات زاجروس و امتدت الى الشرق حتى اصفهان و الى الغرب حتى بابل (1) .
ينقسم تاريخ العيلاميين الى قسمين (2)

<u>عصور ما قبل التاريخ</u>

<u>العصور التاريخية</u>

تشمل عصور ما قبل التاريخ ، العصور الحجرية ، و عثر على حضارات هذه العصور فى سوسة ، و هى ترجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد . و عثر فى موقع سوسة على بقايا مساكن شيدت بعناية و كانت مزودة بمواقد لاعداد الطعام ، كما عثر بها على بقايا اثاث متواضع خشن الصنع ، كما عثر على ادوات للزينة و على فخار جميل الشكل و استخدم الانسان الختم الاسطوانى بدلا من الختم المخروطى . و تنحصر اهمية حضارة سوسة فى اختراع الانسان لعلامات الكتابة التى كانت تسجل على الواح من الطين و هى التى عرفت باسم " قبل العيلامية " و التى عرفت فى سوسة و دخلت الى منطقة سيالك (3) و كانوا يدفنون موتاهم تحت ارضية المنازل و يضعون معهم بعض الادوات الجنائزية .اما العصور التاريخية لعيلام فيمكن تقسيمها الى ثلاثة عصور : 1- عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ السومريين و الاكديين فى بلاد النهرين (منذ اقدم العصور حتى 2225 ق.م) 2 - عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ بابل (من 2225 - 745 ق.م) 3 - عصر عاصر فيه تاريخ عيلام تاريخ اشور (من 745 - 645 ق.م) (4) . فى الفترة الاولى دخلت عيلام فى صراع مع السومريين و الاكديين و تم فيه هزيمة عيلام على ايدى الاكديين فى البداية ثم قضاء عيلام على مملكة سومر . و فى الفترة الثانية دخلت مملكة عيلام فى صراع مع البابليين و نجاحها فى هزيمتهم و فى الفترة الثالثة دخلت ممكلة عيلام مع الاشوريين و نجاحهم فى القضاء عليها (5) .

<u>الشعوب التى وفدت على ايران :</u>

ظهر على مسرح الاحداث فى منطقة الشرق الادنى ثلاث قوى متزامنة فى النصف الاول من الالف الاولى قبل الميلاد و هم : الساميون الاشوريون و الاورارتو وهى مملكة قوية من اصل اسيوى ثم الاريون و هم الايرانيين .

لقد وفدت ايران بحكم موقعها و اتصالها المباشر بالشرق الاقصى مجموعات من الاقوام على فترات متباعدة و كان من اشهرها تلك الجماعات التى تسمت بالهند واريين الى ايران فى الالف الاول قبل الميلاد و قد جاءت من مناطق مختلفة من القوقاز و من منطقة البحر الاسود و اتجهت الى الشرق و نزحوا الى الهضبة بقصد الاستقرار و انتهزوا فرصة الضعف السياسى و تمكنوا فى النهاية من الحصول على السلطة و اجبروا السكان الاصليين على الخضوع لهم و كانت حياتهم تعتمد على الرعى و التنقل حيث يوجد العشب .

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـــ 548 ، رمضان عبد على : المرجع السابق ، صـــ 61 - 62
(2) حسن بييرنيا : المرجع السابق ، صـــ 29 - 30
(3) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 397 - 398
(4) المرجع السابق ، صـــ 402 ، عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، صـــ 552
(5) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 63 - 70 ، حسن بييرنيا : المرجع السابق ، صـــ 30 - 35 - 46 - 50 ، Contenuau , OP . Cit ., P . 96 , 107 عبد الحميد زايد : المرجع السابق : صـــ 552-556

و توزعت هذه الشعوب بعد ذلك فى اقوام اربعة كبرى وهم : السكيثيون ، السيمريون ، الميديون ، و الفرس الاخمينيون ، و قد لعبت هذه الاقوام الاربعة دوراً رئيسياً فى تاريخ ايران فى الالف الاول قبل الميلاد . و لسنا نعرف على وجه التحقيق سبب هذه الهجرات الواسعة لكانت بسبب الجفاف فى اواسط اسيا ام كانت بسبب السعى وراء مناطق افضل للحياة ، و مهما يكن من امر فمن الواضح ان هؤلاء الاقوام تميزوا بالمهارة فى ركوب الخيل و المهارة الحربية مستغلين فرصة و جود اقاليم مفككه و ربما جاءت هذه الاقوام فى صورة تسلل بطيء وذلك على مدار سنوات متعددة (1) .

ظهور الميديين :

وصل الميديون و هم ينتمون لمجموعات الاقوام الارية الى الجنوب الشرقى فى اقليم همدان ووصل الفرس ايضاً (أقوام ارية) الى الغرب و الجنوب الغربى من بحيرة اروميه (2) و عندما وصل الفرس فى البداية الى الهضبة الايرانية ابعدوا الى الجنوب بواسطة الميديين الذين احتلوا الجزء الشمالى و اخضعوا الفرس تحت سيطرتهم ، و قد نزل الميديون فى شمال غرب الهضبة ثم كونوا دولة لم تستمر طويلاً هي الدولة الميدية و نزل الفرس فى الجزء الجنوبى الغربى و اصبح اسمهم يطلق على هذه المنطقة التى استقروا فيها (3) .

الميديون

اقوام ارية الجنس استوطنوا اذ ربيجان و كردستان الحالية (4) . و شعب الامادايين هو الشعب الميدى ، و هذه التسمية اطلقها عليهم الاشوريون فى القرن التاسع ق.م . وظل الميديون تابعين للاشوريين فترة طويلة . فقد تكررت غزوات الاشوريين و حملاتهم على منطقة كردستان و المناطق المجاورة لها و يذكر هيرودوت ان الميديين ظلوا تابعين لاشور فترة خمسمائه عام (5) . و كان الميديون يعملون بالرعى و كانوا يملكون الانغام و العبيد و مارسوا الزراعة و استوطنوا المدن و كانوا يتحركون فى عربات ، و يعرفون الصناعات من الذهب و الفضة . و قد ورد اسم الميديين فى النصوص الاشورية منذ القرن التاسع ق.م . و من اشهر ملوك الميديين الملك " ديا اكو " حكم هذا الملك فى الفترة من 708 – او 701 – 655 ق.م . و كان قد اختير ملكاً بواسطة عامة الشعب ، و اختار عاصمته فى " اكباتان " (6) – مكانها الان مدينة همدان – التى كانت قد دمرت ايام الاشوريين وقد اعاد هذا الملك الى المدينة مكانتها و جعل منها مدينة محصنة تحيط بها اسوار عالية ، و عمل على توحيد كل العناصر الميدية ، و عمل على تقديم الجزية لاشور وقد حكم من بعده ثلاثه ملوك . تحالف الميديون مع السيمريين و مع سكان جبال الكردستان ، وارتبطوا برباط الصداقة مع السكيثيين . و استطاع ملكهم " خشاثريتا " ملك الميديين غزو بابل ، واستغل السكيثيون هذه الفرصة منها جموا الميديين فى عقر ديارهم و اخضعوهم لنفوذهم لمدة ثمانية و عشرين عاماً من 653 – 625 ق.م و يحدثنا هيرودوت عن الميديين بأنهم كانوا يعدون انفسهم للثأر من السكيثين و الاستغلال بأمورهم و تم لهم ذلك بعد ثمانية و عشرين عاماً ، وهزموهم (7)

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صــ 561 – 565 – 574 – 575 ، محمد عبد القادر ، المرجع السابق ، صــ 47 – 49 ، احمد فخرى : المرجع السابق ، صــ 208 – 209 – 211

(2) رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صــ 79

(3) شافيه بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صــ 299

(4) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صــ 583 – 589 ، صــ 590 – 593 ، حسن بيرنيا : المرجع السابق صــ 58 ، محمد عبده القادر : المرجع السابق ، صــ 49 – 51

(5) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صــ 59 ، رمضان عبد على : المرجع السابق ، صــ 80 – 81

(6) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صــ 61 – 62 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، صــ 81

(7) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صــ 81 – 82

كان ملك الميديين الذى قام بتخليص بلاده يسمى " كياكسارس " و قد استطاع السيطرة على الفرس و هاجم بلاد النهرين و بصفه خاصة اشور و كانت عيلام قد سقطت فى عام 645 ق.م على ايدى الاشوريين ، و عقب و فاة اشور بانيبال فى عام 626 ق.م خطط الميديون للقضاء على اشور و الثأر منها ، و نجح الميديون بالإتحاد مع البابليين و شعوب السيث قبائل من البربر كانت تعيش فى جنوب روسيا (1) القضاء على اشور و نجحوا فى دخول عاصمة اشور ، و تابع الميديون تقدمهم فى اسيا الصغرى . ورث الميديون املاك الاشوريين الشمالية و الشرقية واستمروا فى زحفهم حتى وصلوا نهر " هاليس " فى اسيا الصغرى . و اصطدمت اطماع الميديين بدولة ليديا المتأعزقة ، و انتهى هذا الصدام بين الطرفين بعقد هدنه ايدها البيتان الحاكمان بالمصاهرة . و قد احاط بالميديين بعد وفاة ملكها " هولخشير " (كياكساريس) ، ما احاط بجيرانها من تفكاك و ظهور المنازعات الداخلية ، و كل هذه الامور كانت فرصة مواتيه لقورش (حوالى عام 559 ق.م) ان يجمع الحاقدين على البيت المالك الميدى و يقضى على عرش الميديين فى حوالى عام 555 ق.م و بدأ اسرة حاكمه جديدة ذكرتها المصادر الفارسية باسم الدولة الهخامنشية ، و اطلقت عليها المصادر اليونانية اسم الدولة الاخمينية و تذكرها المؤلفات الحديثة باسم الدولة الفارسية الاولى (2) .

الفرس (الاخمينيون) :

ينقسم الفرس طبقا لما ذكره المؤرخ اليونانى هيرودوت الى ست طوائف من سكان المدن و القرى و اربع طوائف من سكان الخيام (3) و كانت اسرة الاخمينيين من اكثر الاسر الفارسية عراقة بين هذه الطوائف و عقب و فاة الملك البابلى " نبو خذ نصر الثانى " ملك بابل ، ظهر على مسرح الاحداث فى الشرق القديم من ملوك الاسرة الاخمينية الملك قروش العظيم ، الذى كان يحمل لقب " قورش الملك العظيم ملك انشان " ، و قد ورث ملك الميديين ، و كان لظهور الدولة الفارسية و ازدياد نفوذها سبباً فى ازعاج كل من بابل و مصر و مملكة ليديا ، و كانت مملكة ليديا فى اوجه مجدها فى عهد ملكها " كرويسوس " (569 – 546 ق.م) ، و اصبحت تتطلع الى اخضاع الدول المطله على البحر المتوسط ، فتقدمت جيوشها ناحية الشرق ، و كان ملك ليديا متحالفاً مع الملك المصرى " امازيس " و مع ملك اسبرطه ، و كان من الطبيعى ان تصطدم جيوش ليديا مع جيوش الفرس القوية ، و سار قورش تجاه مملكة ليديا و غزا اسيا الصغرى و استولى على عاصمة ليديا و هى " ساردس " و اسر ملكها عام 546 ق.م ، و من عام 545 – 539 ق.م غزا الملك قورش عدة بلاد من اسيا الصغرى و هكذا خضعت كل اسيا الصغرى لسيطرته ، ثم فكر الملك قورش بعد ذلك فى ضم بابل الى مملكته و كان يحكم بابل انذاك " نابو نهيد " الذى اعتلى عرش بابل مع الملك " نبوخذ نصر الثانى " ، و قد حاول الملك البابلى " نابو نهيد " ان يجمع الأحلاف حوله ، ولكنه لم ينجح فى ذلك كثيراً . و فى عام 539 ق.م دخل قورش بجيوشه الى بابل وإدعى فى نصوصه ان أهلها رحبوا به ملكاً ، و توج قورش ملكاً فى ومعبد بابل الكبير طبقاً للطقوس الدينية البابلية (4) و فى 539 ق.م انتهى دور بابل فى تاريخ الشرق القديم كدولة مستقلة ، و من هذا التاريخ بدأ ميلاد امبراطورية جديدة .

---

(1) احمد فخرى : المرجع السابق ، صـــ 214

(2) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 227 ، حاشية (1)

(3) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 82 - 83

(4) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـــ 71 ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ، صـــ 55

(5) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـــ 77 - 83

قورش (539 – 529 ق.م) :

أصبح حاكماً لأكبر امبراطورية شهدها حتى الآن (1) تاريخ الشرق القديم . اتبع سياسة جديدة في تلك الامبراطورية فقد حاول أن يكسب ود وصداقة الشعوب التي غزاها عن طريق سياسة التسامح ، فقد سمح للعبرانيين بالعودة إلى القدس و إعادة تشييد معبدهم الذي كان قد هدم بواسطة الاشوريين ، و ارجع اثنان و اربعون الفاً من العبرانيين إلى بيت المقدس (2) كان للامبراطورية الجديدة أكثر من عاصمة ، فكانت أولاً في سوس في بلاد أنشان أو " انزان " القديمة ، و التي خرج منها قورش العظيم ، و حلت محلها بعد ذلك كل من " بازار جادة " و " برسي بوليس " و قد اختار قورش " سوس " عاصمة عيلام لكي تكون مركزاً لادارته (3) ، ولكنه غير العاصمة بعد ذلك و اتخذ مدينة " اكباتان " العاصمة الميدية الشهيرة عاصمة له . و عندما تم له فتح بابل عام 539 ق.م اتخذها أيضاً كعاصمة له ، و استقر رأيه بعد ذلك على إنشاء عاصمة جديدة في مدينة " بازار جادة " و التي تقع إلى الشمال من مدينة " برسي بوليس " و يعني اسمها في الفارسية " مخيم الفرس " و بدأ الفرسي يتجهون بانظارهم نحو مصر ، و من المحتمل أن الذي انقذ مصر من الخطر هو وفاة الملك قورشي في عام 529 ق.م أثناء حملة قام بها ضد قبائل " البارث " و هي إحدى القبائل البدوية في شمال بلاد فارس ، و كان قد ذهب إلى هناك لإخماد ثورة إندلعت في هذه المناطق فأصابه سهم قاتل (4) .

قمبيز (529 – 522 ق.م) :

تولى الحكم من بعد قورش ابنه قمبيز الذي حاول تحقيق حلم ابيه بغزو مصر ، فقد أخذ يعد العدة لاتمام ما بدأه ابوه ، فأخضع باقي آسيا الصغرى و سار قمبيز نحو مصر و تقابل الجيش المصري مع الجيش الفارسي عند بلوزيوم (تل فرما) و انتصر الفرس و دخلوا منف و تكونت أول اسرة فارسية لحكم مصر و هي الأسرة السابعة و العشرون (5) . وقد رغب قمبيز في أن يزيد من التوسع فقرر و هو في مصر أن يرسل ثلاث حملات حربية . واحدة للاستيلاء على واحة سيوه مقر معبد و حي المعبود امون ، و الثانية للاستيلاء على قرطاجة ، و الثالثة الاستيلاء على كوش . و اتجه في الوقت نفسه إلى الاستيلاء على الممالك المجاورة لمصر ، فأستسلمت ليبيا و برقه ، و اراد قمبيز أن يشن حرباً على قرطاجة (تونس حالياً) و لكن هذه الحملة باءت بالفشل كما فشلت حملته على مقر الوحي في سيوه و هلك جميع جنوده تحت رمال الصحراء الغربية ، كما فشلت الحملة الثالثة و هلك أكثر الجيش لنقص المؤن و لم يتمكن من الوصول إلى نباتا فعاد مهزوماً نحو الشمال . و كان فشل هذه الحملات الثلاث سبباً في فقدان صوابه و صب جام غضبه على المصريين و معتقداتهم (6) . و قد جاءت إلى مصر أنباء عن قيام ثورة في فارس فأسرع قمبيز للرحيل عن مصر للقضاء على الثورة و لكن قمبيز توفي و هو في طريق عودته بالقرب من جبال الكرمل عام 522 ق.م . و تضاربت الآراء في سبب و فاته .

دارا الأول 522 – 485 ق.م :

تولى الحكم بعد قمبيز و استطاع أن يقضي على المتآمرين و المغتصبين في مختلف أنحاء البلاد بعد مضي عام واحد من توليه الحكم . و استطاع أن يتغلب على جميع المشكلات التي واجهته و أخذ يدعم أركان حكمه في داخل بلاد فارس . و قد واجه ثورة في عيلام و توجه إلى بابل على رأس جيش كبير و انزل بالبابليين هزيمة نكراء

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ 600 – 608

(2) فيليب حتي : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 243 – 245 ، حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ83 – 84

(3) فيليب حتي : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، جـ1 ، صـ 240 ، حاشيه (1)

(4) احمد فخري : المرجع السابق ، صـ 235 Contenau . op . cit , p . 120

(5) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ 609 – 630 ، احمد فخري : مصر الفرعونية ، صـ 431

(6) احمد فخري : المرجع السابق ، صـ 217 – 218

وأخمد ثورة قامت بها عناصر من الميديين ، وهاجم بنفسه الميديين وانتصر عليهم ، وقضى على مملكة ليديا ، وبعد أن انتهت من تثبيت أركان الأمن في الممالك التابعة له قام بضم عدة ولايات لمملكته في البنجاب والسند ، وعندما كان في الهند عمل على تشييد أسطول من السفن ، ثم استولى على آسيا الصغرى وجاء إلى مصر وحكم فيها وقام فيها بعدة إصلاحات ، وترك فيها الحاميات ، وترك من ورائه امبراطورية ضخمة ، وكان يطلق على كل إقليم "ولاية" حيث كانت تربطها بالعاصمة في فارس شبكة من طرق المواصلات ، وقد عين على كل ولاية والي لإدارتها وحفظ الأمن فيها وجمع الضرائب وكانت الجزية المقررة على كل ولاية هي مقدار معين من الفضة أو العملة ، وكانت ولاية الهند على رأس جميع الولايات في كمية الجزية السنوية وتليها بابل وأشور ومصر ، ومما ساعد على تماسك الإمبراطورية اتخاذ النقود المسكوكة في عهد الملك دارا الأول ، ومن الأمور الهامة في عهد هذه الإمبراطورية هي محاولة إيجاد لغة واحدة من أجل التعامل التجاري فكانت اللغة الأرامية هي لغة التجارة كما كان الخط الأرامي مستخدماً إلى جانب الخط المسماري الفارسي الذي انتشر في أرجاء الإمبراطورية لم يقتنع دارا بالعواصم التي اختارها خلفاؤه فأنشأ عاصمة جديدة في فارس ، واختار العاصمة التي أطلق عليها الإغريق اسم " برسي بولس " أي مدينة الفرس ، وهي نفسها البلد المعروف باسم " إصطخرا " أي الحصن . وبدأ دارا في تشييدها عام 520 ق . م . ، ولكنها لم تتم إلا في عهد " أرتاكركسيس " الأول حوالي عام 460 ق . م . (1) وقد سجل دارا انتصاراته في النقش الشهير المعروف باسم " نقش بهستون " في أحد الممرات الجبلية في الطريق بين كرمنشاة وهمدان . (2) وفي نهاية حياته وقعت الحرب بينه وبين اليونانيين وانهزم الجيش الفارسي في موقعة " الماراثون " عام 486 ق . م . وتوفي دارا بعد عام واحد أو أكثر من هذه الحرب (3) .

إكسركسيس الأول (485 – 464 ق . م .) :

كان هذا الملك أثناء حكم دارا الأول والياً على بابل لمدة إثنتا عشر عاماً ، ثم عينه أبوه قبل وفاته ليخلفه على حكم البلاد ، فاعتلى العرش وكان أول عمل قام به هو إخماد الثورات التي كانت قد إندلعت في مصر وغيرها ، وكان قاسياً الأمر الذي أعاد إلى الأذهان أسوء أيام قمبيز . قام بإخماد ثورة قامت في بابل وبعد انتصاره عليها دك حصون المدينة ونهب معابدها ، كان ميالاً إلى حياة الترف وتشييد القصور . بدأ في الإستعداد لحرب اليونانيين وسار على رأس جيش كبير لغزو بلاد اليونان عن طريق البر ، وتحرك الجيش في شكل فرق صغيرة من آسيا الصغرى حتى بلاد اليونان ووصل أخيراً إلى أثينا واستولى عليها ، وقد تعرض الجيش الفارسي لهزيمة كبيرة في معركة " سلاميس " البحرية في عام 480 ق . م . (4) وحطم الأسطول الفارسي ، مما اضطر الجيش إلى الإنسحاب شمالاً ، ثم تقابلت القوات الفارسية مع اليونانية مرة ثانية في معركة " بلاتيا " وانتصر فيها اليونانيون وعاد اكسركسيس إلى عاصمة ملكه دون أن تتمكن من القضاء على قوة اليونانيين ، ولم يفكر في محاربتهم بعد ذلك ،

---

(1) أحمد فخري : المرجع السابق ، صـ 228 – 229

(2) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ 156 ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ، صـ 69 ، عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، صـ 191 – 192 ، أحمد فخري : المرجع السابق ، صـ 219 ، توفيق سليمان : دراسات في حضارات غرب آسيا القديمة ، صـ 25 – 26

(3) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 231 – 411 ، فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 246 حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ 94 ، 95 ، 98 ، 102 ، 109

(4) فيليب حتي : المرجع السابق ، صـ 246 ، فيليب حتي : تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية ، صـ 188 ، أحمد فخري : المرجع السابق ، صـ 221 ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق صـ 631 – 639

بل انصرف إلى إقامة العمائر وتجميل عواصم مملكته وبخاصة في " برسي بوليس " (اصطخرا) وسوس . ويمكن اعتبار أكسركسيس آخر ملوك الأسرة الأخمينية الأقوياء ، وفي عصر هذا الملك ثار يهود بيت المقدس ، وتحركت قوات أكسركسيس إلى فلسطين لإخماد ثورتهم.

أرتاكسركسيس الأول (464 – 424 ق . م .) :

واجه الثورات التي اندلعت في مصر بزعامة أناروس وأميرتي الذي استطاع أن يحصل على العون من أثينا . ونجح المصريون في هزيمة الجيش الفارسي بفضل مساعدة المرتزقة اليونانيين والاسطول اليوناني . ولكن أرتاكسركسيس الأول أرسل حاكماً جديداً إلى مصر ومعه قوات كبيرة من سفن فينيقية ، وسقطت بقية مصر من جديد تحت قبضة الفرس .

دارا الثاني (424 – 404 ق . م .) :

تولى الحكم في عام 424 ق . م . ، وتوج ملكاً علي مصر ، وحاول أن يطبق سياسة أكثر مرونة تجاه المصريين ، وفي عام 404 ق . م . نالت مصر استقلالها .

أرتاكسركسيس الثاني (404 – 359 ق . م .) :

في مستهل حكمه للبلاد تعرض لمحاولة فاشلة للإغتيال حيث قام أخوه الأصغر وكان يسمى قورش الصغير بطعنه بخنجر أثناء الإحتفال بتتويجه في المعبد في مدينة " بازارا جادة" ، ولكنه عفا عن أخيه بعد توسلات من أمه ، بل وزاد من عفوه بتعيينه والياً على آسيا الصغرى وقائداً عاماً للجيوش الفارسية هناك ، ولكن رغم كل ذلك أعلن قورش الصغير العصيان على أخيه حيث قاد جيشاً وزحف به على فارس لخلع أخيه عن العرش . وقد ضم إلى هذا الجيش مرتزقة من الأغريق وتقابل الجيشان في " كوناكسا " على مقربة من بابل ، وهناك تبارز الأخوان واستطاع قورش أن يجرح أخاه ولكن أرتاكسركسيس قضى عليه بضربة رمح فانهزمت جيوشه ، ولم يحاول المرتزقة الأغريق مساعدة قورش . وقد بدأ الملك أرتاكسركسيس الثاني لغزو قبرص وبعد أن تم له غزو قبرص ، بدأ يوجه أنظاره إلى مصر لإستعادة سيطرة الفرس عليها ، وعندما تقدم الجيش الفارسي لمحاصرة منف لم يستطيع الإستيلاء عليها ونجت مصر للمرة الثانية من سيطرة الفرس ، كما حدث أيام الملك هكر(أخوريس) عندما هاجم الفرس اقليم سوبد في شرقي الدلتا واضطروا إلى الإنسحاب .

أرتاكسركسيس الثالث (359 – 338 ق . م .) :

كان على شيئ من الحنكة السياسية ولكنه كان قاسياً إذ نجد أن أول عمل قام به عند توليه العرش ،هوقتل جميع إخوته الذكور والإناث (1) ثم اتجه بعد ذلك إلى إخماد الثورات وحاول استعادة مصر وجاء لغزوها عام 351 ق . م . ، ولكنه فشل ، وبعد هذا الفشل الفارسي قامت الثورات ضد الإحتلال الفارسي في كل مكان في فينيقيا وقبرص ، وخرج الملك على رأس جيشه وقضى على الثورة في حينها .وفي عام 341 ق . م . بدأ يفكر مرة أخرى في غزو مصر من جديد ونجح في غزوها ونفى بعض الأمراء المصريين إلى بلاد فارس ، وعاد هذا الملك إلىبلاده بعد أن أسس أسرة فارسية في مصر هو وخليفته " أرسس " ودارا الثالث .لم يتقبل المصريون هذا الوضع ، وبدأت الثورات في كل مكان ، وكان أهمها تلك التي تزعمها أمير وطني من الدلتا ، والذى أعلن نفسه ملكاً وتلقب بالألقاب الملكية وهو " خبا باشا " ولم ينجح " خبا باشا " من تحرير مصر من قبضة الفرس ، ولم يتمكن من قهر الأسطول الفارسي ، وتوج دارا الثالث ملكاً على مصر عام 334 ق . م . ومنذ عام 338 ق . م . ظهرت مقدونيا ، التي أرادت السيطرة على العالم القديم .

---

(1) أحمد فخري : المرجع السابق ، صـ 240 ، حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ 111 - 119 ، 121 - 128 ، 131 - 139

ففي هذه الفترة كان " فليب الأول " ملك مقدونيا (356 – 336 ق . م .) قد أعاد تنظيم الدولة المقدونية و أعد جيشاً قوياً كان الغرض منه الإنتقام من الحملات التي شنها الفرس ضد اليونانيين وحتى لا يتدخل الفرس مرة ثانية في شئون اليونان . وجاء من بعده ولده الإسكندر الأكبر الذي حافظ على نفس القوة العسكرية الذي قام بإعداد جيش قوامه أربعين ألف مقاتل من المقدونيين و اليونانيين وعبر الإسكندر بوغاز من الدردنيل في ربيع عام 334 ق . م . ودخل آسيا الصغرى وحدثت المعركة الأولى مع الجيش الفارسي على شاطئ نهر " كرانيك " . وبعد أن استولى الإسكندر على آسيا الصغرى اتجه إلى سوريا واستعد الملك دارا الثالث للقاء الإسكندر في معركة " إسوس " عام 334 ق . م . ونجح الإسكندر الأكبر في هزيمة دارا الثالث في معركة " إسوس " شمال الإسكندارونه في عام 333 ق . م . وفر الملك دارا الثالث ونزل الإسكندر بعدها إلى غزة ، وأصبحت أبواب مصر مفتوحة أمامه ، وفي نهاية عام 332 ق . م . سار الإسكندر الأكبر نحو مصر والتي سارع أخر موظفي الفرس بالرحيل عنها وكان الإسكندر يهدف من وراء دخوله مصر أن يربطها هي ومقدونيا واليونان وآسيا الصغرى وسوريا بامبراطورية كبيرة تطل على البحر المتوسط . وفي عام 331 ق . م . تقابل الجيش الفارسي مع الجيش اليوناني في " جاوجامله " بالقرب من نينوى وهزم الفرس للمرة الثانية ، وبعدها تابع الإسكندر مسيرته وراء دارا الثالث حتى " أربل " وبعد ذلك ذهب إلى بابل ودخلها واستولى على تمثال المعبود " مردوك " وأمر بتعمير المدينة ودخل بعدها مدينة سوس وتوجه منها إلى " برسي بوليس " و " بازار جاداة " وبعد دخول الإسكندر مدينة " برسي بوليس " أصبحت بلاد فارس تحت سيطرة الإسكندر ، وعندما توفي في مدينة بابل عام 323 ق . م . كان غزو كل مناطق الإمبراطورية الفارسية قد تم كلية منذ عامين أي منذ عام 325 ق . م . لم تعمر دولة الفرس الأخمينيين إلا أقل من عامين ، حتى قضى عليها الإسكندر المقدوني ، وعندما قضى الإسكندر على امبراطورية الفرس في عشر سنوات حوالي عام 325 ق . م . ، وحولها إلى ولاية إغريقية عرفت فيما بعد باسم " سلوقيا " نسبة إلى القائد الاغريقي الذي كان حاكماً عليها بعد وفاة الإسكندر ، ولكن فرعاً من الفرس عرف باسم " البارثيون " نجح في تقوية دعائم سلوقيا واستمروا فترة طويلة يحكمون البلاد كأمراء إقطاع حتى نجح أحدهم وهو " بابك بن ساسان " في توحيد إيران مرة أخرى ، وتأسيس مملكة الساسان التي كانت عاصمتها " طيسفون " (المدائن) في بلاد النهرين . وانتهت دولة الفرس الساسان بالفتح الإسلامي عند منتصف القرن السابع الميلادي تقريباً 651 أو 652 م بعد هزيمة الفرس في أشهر المعارك وهي معركة " نهاوند " عام 21 هـ .

إيران القديم وعلاقاته الخارجية :

لقد إرتبط تاريخ إيران بالصراع الدائم بينهما وبين دويلات وامبراطوريات العراق القديم من ناحية وبين الشعوب البعيدة من ناحية أخرى . فقد كان هناك صراع بين عيلام وبين السومريين والأكديين ، وانقرضت دولة السومريين على يد العيلاميين (1) كما حدث صراع وحروب بين عيلام والأشوريين وسقوط عيلام (2) تولى عرش مملكة فارس – قورش الثاني – في عام 558 ق . م . وبعد مرور خمسة أعوام ثار ضد الملك قورش " استياج " ملك الميديين ولكن قورش هزمه في عام 550 ق . م . واستولى على عاصمته " أكباتان " فقد كان قورش محارباً عظيماً وفي عام 546 ق . م . هاجم " كرويسوس " ملك ليديا الذي كان متحالفاً مع الملك المصري " أمازيس " ، وسار تجاه ليديا وغزا آسيا الصغرى واستولى على عاصمة ملك الليديين

---

(1) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ 35 – 36.

(2) نفس المرجع : صـ 47 – 48

وابتداءاً من عام 545 ق . م . حتى عام 539 ق . م . غزا عدة دويلات وممالك وبعد ذلك اتجه إلى بابل واستولى عليها بسهولة ، ويقال أنه هو الذى حرر اليهود وسمح لهم بالعودة إلى القدس وتشييد المعبد (1) وبدأ الفرس يتجهون بأنظارهم نحو مصر ومن المحتمل أن الذى أنقذ مصر هو وفاة قورش فى عام 529 ق . م . (2) وتوفى أمازيس فى عام 525 ق . م . ، وكان الشعور السائد هو أن الفرس سوف يحتلون عن قريب شرق الدلتا ، وبالفعل بعد وفاة أمازيس بستة أشهر غزا قمبيز مصر . جاء بعد ذلك بسماتيك الثالث الذى توج على العرش فى الوقت المناسب لكى يحاول أن يوقف الغزو المرتقب الذى لا يمكن تجنبه بقيادة قمبيز خليفة قورش ، فبعد قليل من توليه العرش ، هاجمه قمبيز وقد خانه " فانس " وهو أحد قواد الجنود المرتزقة اليونانيين وهزم الجيش المصرى فى " بلوزيوم " (تل الفرما) وسقطت منف ، بعد مقاومة شديدة من المصريين ، وكانت الهزيمة كفيلة بتقرير مصير مصر ، وترك بعض اليونانيين خدمة الملك المصرى وانضموا إلى معسكر قمبيز وعزل بسماتيك عن العرش وحكم عليه بالموت ، وتوج قمبيز ملكاً على مصر ، وخضع له الليبيون وأهل برقه وأصبحت مصر مقاطعة فارسية وهكذا خضعت مصر للفرس كما خضعت غيرها من أمم الشرق القديم

---

(1) حسن بيرنيا : المرجع السابق ، صـ 77 – 82

(2) نفس المرجع : صـ 85

المظاهر الحضارية فى إيران

أولاً : نظم الحكم والإدارة

كانت الملكية هى السائدة ، وكان الملك هو رأس الدولة ، وكان يلقب بلقب " خشاتراه " بمعنى المحارب وهو لقب مازال باقياً فى لقب ملك الفرس ، وفى لقب حاكم الإقليم " ستراب " وكان الملك يلقب كذلك بلقب " ملك الملوك " و " ملك ملوك إيران وغير إيران (شاهنشاه إيران وإيران) " (1) وهولقب يوضح الصفة العسكرية للملكية الفارسية (2) وكانت الملكية فى إيران تستمد سلطانها من المعبودات ، وكان الملوك يتفاخرون بأنهم ورثوا هذه الملكية عن المعبودات منذ صغرهم ، وكان الملك يستمد أحكامه من معبود الخير "أهورامازرا" (3) وكان يحيط بالملك مجموعة من النبلاء (الأشراف) الذين أطلقوا عليهم " أصدقاء الملك " أشبه بمجلس استشارى ، وكان هؤلاء الأعضاء هم الوسطاء بين الملك وشعبه (4) وكان هناك وزير أول لمساعدة الملك فى ممارسة سلطانه (5) وكان الوزير يلى الوالى فى الإشراف على كل الشئون ثم هو فى نفس الوقت حلقة الإتصال بين الوالى والسلطة المركزية . وكان الملك يحكم فى قصر شيد فوق تل صناعى بينما تكون بقية مساكن المدينة عند أسفل هذا التل ويحيط بالجميع سور ضخم يدعم بأبراج قوية (6) وقد كان الأعيان والنبلاء أصحاب سلطة تكاد تكون مطلقة فى عواصمهم يسنون القوانين وينفذون الأحكام ويجبون الضرائب ولهم قوات مسلحة خاصة بهم ، وكان عليهم أن يمدوا القصر الملكى بالمال والعتاد وقت القتال ، وقد كان الملك هو الذى يعين هؤلاء النبلاء كولاة لكل ولاية (7) وكان كل والى يحكم باسم الملك ، ولهذا كان لكل ولاية كيانها السياسى المستقل . ولهذا كان الملك الفارسى يلقب بلقب " ملك الملوك " (8) وكانت الإمبراطورية الفارسية إبان حكم الملك دارا مقسمة إلى ولايات وكان لمعظم تلك الولايات كيان سياسى ، وكان لكل ولاية حاكم أو " ستراب " (Satrap) وبمعنى آخر كان والى أو محافظ المملكة أو الولاية ، ملكاً ذا نفوذ كبير ، ولهذا كان الملك الفارسى يلقب بلقب " ملك الملوك " كما أشرنا (9) ، وإلى جانب الوالى كان هناك قائداً لجيش الولاية الذى كان يعين أيضاً بواسطة الملك . ويتبع الملك مباشرة . وكان الملك يقوم بتعيين سكرتيراً للولاية ورئيساً لموظفيها الإداريين والماليين ، وكان الملك يرسل إلى كل ولاية عدداً من المفتشين الذين يحملون ألقاباً مختلفة مثل " عين الملك " " رسول الملك " ، " أذن الملك " وهؤلاء جميعاً كانوا يتبعون الملك مباشرة ، ومعظمهم كان من الأسر النبيلة ، وكان يسندهم عند الضرورة جيش خاص ، أو قوة مسلحة ، وكانوا يتحركون عبر الإمبراطورية، ويقومون بزيارات مفاجئة للولايات ويفحصون سير الأمور (10) وكان الموظفون الفرس يحكمون كأسياد وكانت تخصص لهم الأراضى التى حصلوا عليها عقب كل غزو أو فتح وكانت هذه الأراضى معفاة من الضرائب(11)

---

(1) محمد بيومى مهران : حضارات الشرق الأدنى القديم ن جـ 1 ، الإسكندرية 1999 ، صـ 180
(2) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، صـ 269
(3) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 181
(4) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 187
(5) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 186 Contenau, OP . cit., P . 77
(6) أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 270
(7) نفس المرجع ، صـ 270 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 187
(8) أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 272 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، صـ 180
(9) محمد بيومى مهران : المرجع السابق جـ 1 ، صـ 182
(10) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 187
(11) Chr . cf J. Palou , la Perse Antique , P . 44

وقد تمتعت الولايات التابعة للإمبراطورية الفارسية بشيئ من الحرية إذ سمح لها باستعمال لغتها الخاصة بها ، واعتناق عاداتها وتقاليدها المحلية ودياناتها وعملتها الرسمية (1) .
وقد ساعد على نجاح الإدارة فى أرجاء الإمبراطورية أن ملوك الفرس أنشأوا بها كثير من الطرق ومن أهم الطرق طريقان أنشأهما الملك دارا وهما :
1- طريق يصل بين ليديا والعواصم الفارسية .
2- طريق يبدأ من مصر إلى فارس ويمتد شرقاً حتى حدود الصين . (2)
واشتهر الفرس أيضاً بإقامة القناطر على الأنهار ، وكانت الحاميات توضع على مختلف الطرق فى الإمبراطورية . وكان القضاة الملكيون يختارون من بين الفرس وكان القاضى يعين فى منصبه مدى الحياة ، وكان الملك مصدر القوانين والشرائع وأحكامه مستوحاه من المعبود نفسه ، وكانت هناك محكمة مكونة مكن سبعة قضاة ويلى هذه المحكمة محاكم أخرى ، وقد نشأت جماعة خاصة فى الشئون القانونية أشبه بالمحلفين ، وكانت العقوبات تشمل الجلد والتشويه وبتر الأعضاء والإعدام أحياناً (3) وكانت مصادر الدخل تأتى من المعابد والضرائب والغنائم وكانت الضرائب تفرض بواسطة حكام الأقاليم على كل مدن إيران فيما عدا فارس وميديا .
كان الجيش يتكون من حرس الملك الذين كانوا يسمون عند الفرس " العشرة آلاف " وكان الجند والمحاربين ينقسمون إلى مشاة وفرسان يمتطون الخيول والعربات التى يجرها زوج من الخيل وكانت الخدمة العسكرية شبه إجبارية بين سن الخامسة عشرة والخمسين .
وكانت قوات الجيش تخضع لإشراف حرس الملك الذى كان يضم عدداً من النبلاء والأشراف ومهمته هى حراسة الملك والمحافظة على حياته وممتلكاته (4) وكان الحرس يتألف من الفرسان والمشاة .أما الأسطول فكان يضم لدى إيران القديم أسطول قوى كان يضم سفناً فينيقية ويونانية ، واستخدموا فيه البحارة المصريين والقبارصة والسوريين ، وكان هذا الأسطول ينقسم إلى سفن للهجوم وأخرى تستخدم كناقلات للجنود وثالثة كناقلات أمتعة ومعدات وذخائر (5) .

---

(1) أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 273
(2) أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 272 – 273
(3) المرجع السابق : صـ 275 ، 273 ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 181
(4) Chr. Palou , OP > cit , P . 45 .
(5) أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 276 – 277

ثانياً : الحياة الإقتصادية

1 - الزراعة :

اهتم ملوك الفرس بتحسين الإنتاج الزراعى ، فلجأوا إلى حفر القنوات السفلية التى كانت حيوية بالنسبة للهضبة فضلاً عن الجهات البعيدة التى تقل فيها موارد المياه – كالصحراء السورية أو أقاليم أسيا الوسطى – هذا إلى جانب العناية بمشروعات الصرف . وقد اتسع نطاق الزراعة واستحدثت نباتات جديدة فى أنحاء الإمبراطورية ، ومنها البرسيم ، الذى كان ينمو برياً فى وديان " ميديا " وكان طعاماً رئيسياً للخيول ، كما أدخلت بعض الطيور – كالدجاج والحمام والطاووس – والتى تعد أسيا الموطن الأصلى لها .وقد اهتم الملك دارا الأول بزراعة الأشجار ، واستنبات أنواع جديدة ، وكانت تلك سياسة اقتصادية تهدف إلى زراعة النباتات النافعة فى أنحاء الإمبراطورية لتحسين معيشة رعايا الدولة ، وهكذا حاول الفرس فى دمشق استنبات نوع من الكروم نال التقدير فى بلاطهم ، كما أدخلوا الفستق فى حلب ، كما ظهر بندق " بونتس " المشهور فى بلاد اليونان .هذا وقد كان الإخمينيون هم الذين أدخلوا زراعة السمسم فى مصر والأرز فى العراق ويعزى إلى الفرس استغلال الغابات واستخدام الأخشاب فى صناعة المنازل وبناء السفن وعمل العجلات الحربية وأدوات القتال وكانت أهم مراكز تجارة الأخشاب فى الإمبراطورية فى أسيا الصغرى وكريت وقبرص ولبنان والهند .وكان ملاك الأرض مجموعة من الأسر ، تستهدف زراعة مساحة كبيرة من الأرض ، وهكذا كان الإنتاج الزراعى يعتمد أساساً على الضيعة الكبرى ويعمل فيها فلاحون مستأجرون أو أرقاء من الأجانب هم جميعاً عبيد الأرض الذين يتم شراؤهم وبيعهم كجزء من الأرض ، وكانت الزراعة هى الحرفة الطبيعية للأحرار ، وكانت أرض السادة معفاة من الضرائب والإلتزامات ، التى أدت إلى تكوين الفلاحون الأحرار ملكاً للأراضى .وأما الأدوات الزراعية ، فكان المحراث الخشبى ذو الطرف الحديدى تجره الثيران ، وقد استخدم الفرس طرق الرى الصناعى بسبب عدم وجود أنهار ، وكان القوم يزرعون الشعير والقمح والكروم التى كانوا يصنعون منها الخمور والزيتون .

وكان الإنتاج الحيوانى يشمل : الماشية والحمير والبغال والخيول ، كما عرفوا تربية النحل حيث كانوا يستخدمون عسل النحل بديلاً للسكر هذا وكان للخمر واللحم مكانة خاصة عند القوم حتى قيل : " أنهم لايناقشون أمورهم إلا وهم سكارى " الأمر الذى جعل الملك قورش الثانى يحرم تقديم الخمر للجيوش .وكان أقوى شراب عندهم هو " الهوما " – القربان المفضل عند الألهه – وكانوا يعتقدون أن هذا الشراب يبعث النقى والإستقامة ، وكان شراب " الهوما " يصنع من عشب كان ينبت على سفوح الجبل (1) .

2- التجارة :

اهتم الفرس بالتجارة كثيراً ، ومن ثم فقد لجأوا إلى وسائل كثيرة من وسائل تشجيعها ، من تعبيد للطرق ، واستتباب الأمن والنظام فى أنحاء المملكة ، ثم استخدموا عملة مسكوكة . لقد عرف الفرس بمهارتهم فى تحسين طرق المواصلات ووسائل النقل .كان الإيرانيون يستوردون المواد الخام كالأخشاب من الساحل الفينيقى والفضة والنحاس من قبرص ، وكانت الفضة تأتى أحياناً من أسيا الصغرى ومن إقليم كرمان كما كان يأتى الذهب والفضة من نفس المنطقة وتجلب الأحجار الكريمة من مناطق أخرى . ولسهولة التعامل استخدمت النقود المسكوكة ابتداءاً من عهد الملك دارا الأول ، وربما اقتبسوا استخدامها من الليديين ولو أن أوزانها وأقسامها مأخوذة من النظام البابلى فى تقسيم الوحدات القياسية ، وكان هناك ما يسمى بمصارف المعابد والمصارف الخاصة التى تقوم بإقراض المحتاجين ، كما كان هناك أوراق الإئتمان وأوراق المستندات التى كانت معروفة (2)

---

(1) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 381 – 385 نجيب ميخائيل : حضارات الشرق الأدنى القديم ، فارس ، صـ 425 ، 427 رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 130 – 131

(2) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 385 388 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـ 131

3- الصناعات والحرف :

لقد حظيت صناعة الفخار بأهمية خاصة في بلاد إيران القديمة وذلك منذ العصر الحجري الحديث ، ولاسيما الفخار الملون ، الذي عثر عليه في سوس وبرسي بوليس ، ونلاحظ أن هذا النوع من الفخار كان كثير الإنتشار في إيران وقد عثر على الفخار الملون في كثير من المناطق الأثرية مثل تبة جيان وتبة حيسار وتبة سيالك ونجد في هذا النوع من الفخار الملون تمثيلاً للحيوانات المتنوعة الأشكال .وقد كان فن التطعيم معروفاً وخاصة الذهب المطعم بالأحجار الكريمة ، ونجد هذه الطريقة في كثير من منتجات الحلى الفارسية . وكان فن تصنيع المعادن معروفاً أيضاً لإعداد الأسلحة والسكاكين المصنوعة من النحاس ، ثم من البرونز التى كانت ذات مقابض لها مسامير في الأطراف ، وذلك قبل معرفة السكاكين ذات المقابض من الخشب وغيره من المواد . ثم أيضاً صناعة رؤوس الحراب والسهام والفؤوس ذات الأيدى منذ بداية القرن العاشر ق . م . وأصبحت الأسلحة من الحديد ولكن البرونز ظل مستعملاً بصفة دائمة ، وأثناء الصراع بين الفرس واليونانيين كانت القوات الفارسية تستخدم سهاماً من البرونز والحديد وأيضاً شظايا وكرات صغيرة من المعادن .ومن حوالى الألف الأولى ق . م . كشف في منطقة لوريستان في إيران على جبانات لشعوب كانت تستخدم الخيول وكانت العادة السائدة هي دفن سروج الخيول معهم ، وقد عثر على هذه السروج على الكثير من الآلات مثل الأجراس الصغيرة والأحزمة والأسلحة والفؤوس والخناجر وأواني الطقوس من المعادن .وقد عرف الإيرانيون صهر المعادن وصناعة التماثيل من المعادن مثل رأس الملك التى عثر عليها في نينوي والتمثال المهشم للملكة " نابير – إسو " الذى عثر عليه في سوس ومن بين الأشياء والقطع الأخرى الأكثر أهمية من المعدن ما عثر عليه في مدينة سوس مثل المنظر الذى يمثل موكب المحاربين ومائدة القربان التى تحيط بها الثعابين في نحت بارز في المعدن ، مما يدل على تقدم الإيرانيين في مثل هذه الفنون(1)

ثالثاً : الحياة الإجتماعية

كان المجتمع الإيراني ينقسم إلى طبقات : الأمير والنبلاء ويليهم الرجال الأحرار الذين يملكون ضياعاً ثم الأحرار المعدمين وأخيراً العبيد (2) و كانت بيوت الامراء و السادة تضم عدداً من الخدم و الرقيق من الرجال و النساء كما يضم عدداً من ذوى المهن و الحرف . و كان هناك نظام الملكيات الصغيرة (3) و كان الميديون يعيشون حياة زراعية فى القرى الا ان الحكومات المركزية لم تكن موجودة في اول الامر ، و كان على كل امير يعتمد الى جانب مزارعه و مراعيه على مناجمه و غنائمه في الحروب و ما يتقضاه نظير حمايته للتجار الذين كانوا في بداية الامر من غير الايرانيين . اما بالنسبة للمرأة في تاريخ ايران القديم فقد قامت بدور حاسم في الحياة الاجتماعية و تعرفت على الكثير من الاشياء التى كان لها اكبر الاثر في حياة الانسان ، فإليها يعزى التعرف على بعض الثمار الصالحة للطعام و ملاحظة بعض النباتات في نموها . و من المرجح ان المرأة استطاعت ان تتحكم في شئون الجماعة و تمتعت بمكانة جعلتها تصل الى القوى المراكز فقامت في بعض القبائل بقيادة الجيوش ، كذلك كانت تصل الى الكهانة ، و كانت الوراثة تنتقل عن طريقها (4)

---

(1) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 389 – 391 ، رمضان عبده علي : المرجع السابق، جـ 1 ، صـ 131 – 133 Contnau . OP . cit .. P . 72

(2) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 269 رمضان عبده علي : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 130

(3) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ269 ، رمضان عبده علي : المرجع السابق ، صـ130

(4) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 269

رابعاً : الحياة الفنية

لم يعثر على أثار كافيه توضح ما كانت عليه الفنون المختلفة التى سادت بين الايرانيين القدامى ، كما ان دولة الميديين كانت قصيرة الاجل فلم تساهم بنصيب وافر فى حضارة الشرق الادنى القديم ، غير انه يستدل من اقدم الاثار على ان سكان الهضبة فى اقدم العصور كانوا يدفنون موتاهم تحت اسفل المنازل ثم تحولوا عن ذلك الى الدفن فى جبانات بعيدة عن المدن . و كان الميت يدفن و معه اثاث جنائزى يتبين منه انهم كانوا يستعملون الحلى و خاصة من الفضة و البرونز ، اذ عثر على دبابيس تنتهى بأشكال تمثل رؤوس الحيوان ، و اساور و حلقان و احزمه يلبسها الرجال و النساء و خلاخيل من البرونز ومن الحديد احياناً ، كذلك ظهرت فى رسوم اوانى الفخار عناصر جديدة غير تلك التى كانت شائعة فبدلاً من الشمس و ابو منجل التى كانت تمثل فى تلك الرسوم الى جانب الزخارف الهندسية المألوفة كانت الشمس و الحصان هى العناصر السائدة .
و قد ورث الفرس الكثير عن الميديين ، فقد ورثوا عاداتهم و تقاليدهم و طريقة كتاباتهم و فعالاتهم فى اقامة الاعمدة فى عمائرهم و ورثوا اعنهم قوانين مختلفة . و على الرغم من ان الفرس ظهروا كدولة عسكرية صرفت اغلب اوقاتها فى الحروب الا انهم لم يهملوا شأن الفنون ، و ان كانوا قد اعتمدوا فى ذلك على اقوام اخرى ، و اعتمدوا على الفنانين الاجانب فى صناعة اياتهم الفنية . و رغم قلة المكتشفات الاثرية فى هضبة ايران الا ان ما عثر علية حتى الان يدل بوضوح على مهاراتهم فى فن العمارة و البناء ، و قد اشتهرت بقاياها التى اكتشفت بروعتها الفنية ، فمقبرة قورش فى " بارزا جادة " كا زالت رغم تهدمها تعد ايه فى الروعه و الجمال ، كما ان مقبرة دارا الاول فى " نقش رستم " القريبة من " برسى بوليس " ما زالت تعد من ايات الفن فى العالم القديم . و من اروع ما عثر علية كذلك ما عثر عليه من بقايا قصر اكسركسيس فى برسى بوليس اذ تعد مجموعة المدرجات الحجرية و الساحة الفسيحة و ما بها من عمد شامخة من ايات الفن الفارسى القديم . و مما يلاحظ ان القصر كان يقام على مساحة مرتفعة يرتقى اليها من اسفل الوادى بدرج خارجى يمتاز بالجمال ، و يبلغ ارتفاع الساحة ما بين عشرين و خمسين قدماً و طولها نحو 1500 قدم و عرضها الف قدم ، و فى اعلى الدرجات يوجد المدخل و هو واسع تحف به تماثيل هائلة لثيران مجنحه برؤوس بشرية مما يذكرنا بالتماثيل التى كانت تزين مداخل القصور فى بلاد النهرين . و بعد المدخل بقليل نجد مجموعة اخرى من الدرجات على جانبها جدران قصيرة نقشت بنقوش بارزة تعد من اجمل ما عثر علية فى ايران ، و هى توصل الى قاعة تلحق بها بعض الحجرات تشغل مساحة تزيد على مائه الف قدم . و قد اقيم قصر اكسركسيس الاول على 72 عموداً لم يبق منها الا 13 فقط مازالت قائمة بين حطام القصر ، و يبلغ ارتفاع الواحد منها 64 قدماً و كان كل عمود ينتهى فى اعلاه بشكل صدرى و راسى ثوريين او حصانين يتصلان من الخلف . و كانت جوانب الابواب و النوافذ من حجر اسود لامع اما الجدران و الحوائط فكانت مغطاه بأجر مصقول رسمت عليه صور زاهية تمثل حيوانات و ازهار و الى خلف هذه القاعة و شرقها قاعة عرفت باسم قاعة المائة عمود لم يبق منها الا عمود واحد و من الملاحظ ان الفن الفارسى قد اقتبس بصورة و اضحة من فنون الدول التى خضعت لسلطان الامبراطورية و لكنه قد طورها حتى بلغت درجة الجمال ، فمن المرجح ان الشكل الخارجى لمقبرة قورش متأثرة بفن ليديا اما اعمدتها الحجرية الدقيقة فيمكن مقارنتها بالاعمدة الاشورية ، بينما كان بهو الاعمدة الضخمة و النقوش قليلة البروز من الامور المألوفة لدى المصريين و ربما استعار الفرس فكرتها من المصريين ، اما يتجان الاعمدة التى على شكل الحيوان فيمكن ان تكون مستوحاة مما رأوه فى نينوى و بابل . و لم يكن التصوير و النحت مستقلين عن العمارة بل كانا تابعين لها ، و ربما كانت الكثرة الغالبة من منتجاتهما من عمل فنانين اجانب و فدوا على ايران من مختلف الاقطار التى اخضعوها . و قد حاكى اليونانيون الفرس و اقتبسوا منهم الى درجة ان العناصر الفارسية تبدو واضحة فى فن العمارة اليونانى ، و لذا يمكن ان يقال ان الفرس كانوا و سطاء فى نقل مظاهر الحضارة من الشرق الى الغرب (1) .

---

(1) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 283 - 287 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 144 - 149 . Contenau , OP .Cit., p . 67 , 117 .

خامساً الحياة الثقافية

1- اللغة و الخط :

اشتق الفرس كلغة لهم كتابة مسمارية اقتبسوها من الخط البابلي و كتب بها الميديون الفرس و العيلاميون . و قد بدأ حل رموز الكتابة المسمارية في عام 1802 م ، و استمرت تلك الدراسات حتى منتصف القرن الماضي و أول دراسة حقيقية لهذه اللغة ، ترجع الى بداية دراسة النصوص التي أمر دارا الاول (521 – 485 ق.م) بنقشها على صخور بيهستون على الطريق المؤدي من كرمانشاه حتى همدان ، و بعد فحص هذه النصوص تبين انها نقشت بالكتابة المسمارية ، التي كانت لها ثلاثة أساليب مختلفة في الكتابة . و هي تتشابه الى حد ما مع اللغة المصرية في امكانية كتابتها بثلاثة طرق . و كانت اللغة الفارسية القديمة ، هي لغة الاخمينيين الرسمية ، و كتبت بها نصوصهم التاريخية . إختراع الكتابة المسمارية التي تعبر عن لغة الفرس القديمة ، يرجع الى عصر الملك تيبس (675 – 640 ق.م) . و كانت هذه الكتابة الفارسية القديمة محفورة على لوحات من الطين و قد عثر على واحده فقط في سوس . و لغة اهل سوس من عائلة اللغات الاسيوية و كان يتكلم بها اهل عيلام و كتبت بهذه اللغة النصوص التاريخية ، و الاهداء على الاثار و العقود و الصيغ القانونية . و من ناحية اخرى كانت اللغة الارامية تستخدم منذ الالف الاولى ق.م كلغة في التبادل التجاري و ايضا كلغة التحدث بها . و قد استخدمت هذه اللغة في عصر الفرس الاخمينيين في ادارة شئون الدولة . و قد احتفظت الكتابة المسمارية الفارسية الفارسي القديم ببعض العلامات الارامية و قد ادى كتابة الفارسي بعلامات ارامية الى نشأة ما يسمى بكتابة " بهلوى " . و من بين الثلاثين الف لوحة التي عثر عليها في ارشيف برسي بوليس لايوجد و احدة مكتوبة بالفارسية فأغلبها كتب بالكتابة العيلامية و كتب القليل جدا بالارمية . و الى جانب استخدام الخط الفارسي المسماري في الكتابة استخدم الفرس في معاملاتهم التجارية الارامية مما ساعد على نشاط التعامل التجاري لا ان الخط الارامي كان واسع الانتشار في معظم بلدان الشرق القديم (1) . ولقد اشتقت الكتابة الفارسية من الكتابة المسمارية العراقية . و قد استخدمت هذه الكتابة في عصر الفرس الاخمينيين في الالف الاولى ق.م (2) .

2- الادب و فروعه :

ترتب على اختراع الكتابة في ايران ، تقدم الادب . و منذ عصر ما قبل التاريخ عثر في سوس على اول معاهدات التحالف او الولاء او الخضوع كتبت بالعيلامية . و حررت الحوليات الملكية اثناء حكم الفرس الاخمينيين بنفس الطريقة ، اما عن الادب الديني فقد تمثل لنا في الكتب المقدسة التي احتوتها " الافستا " و اقدم اجزائها عبارة عن اناشيد ذات طابع حربي و ابان حكم الملك ارتاكسركسيس الاول امر بجمع النصوص المتفرقة في الاوفستا و نجد انه اضاف اليها مؤلفات في الطب و الفلك ، و عن الشعر يجب ان نذكر اهم القطع الادبية عند الفرس و التي ترجع الى عصر الملك ارسليدس في القرن الثالث ق.م . فقد عثر على نص شعري ، من هذه الفترة في " زكرى زارير " كتب بالشعر و ليس بالنثر (3) .

---

(1) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 274 – 275 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 139 – 141 . Chr et J . Palou . OP . Cit , P . 47 .

(2) رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـ 141

(3) رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـ 142 . Chr et J . Palou , OP . Cit ., P . 122 .

3- العلوم المختلفة :

بناءً على ما ورد فى اجزاء فى " الأوفستا " نعرف ان الفرس كانوا على دراية بالطب و كان وقفا على الكهنة ، و تقسم الأوفستا الأطباء الى ثلاث طبقات : هؤلك الذين يعالجون عن طريق المشرط – اى الجراحين ، هؤلاء الذين يعالجون عن طريق النباتات و الاعشاب اى الاطباء ، و اخيراً هؤلاء الذين يمارسون الطب عن طريق الكلمة المقدسة و يستطيعون طبقاً لذلك مقاومة المرض ، و كانت هذه الطبقة الاخيرة اكثر الطبقات احتراماً و كان هناك العديد من الصيغ السحرية ضد الامراض و الارواح الشريرة . و من خلال النصوص تبين ان ايران كانت مركزاً لتبادل النتائج العلمية فى الشرق القديم بين مصر و بابل و الهند . كان المراد بكلمة علوم عند الفرس هو الطب و السحر و الفلك و التنجيم ، و للاسف تعطينا " الافيستا " معلومات ضئيلة عن بقية العلوم الاخرى ، و لذلك يصعب تكوين فكرة عامة عن كل هذه العلوم و المعارف . كان السحر معروفاً و كان الغرض من السحر هو عمل مجموعة من الصيغ التى تؤدى احياناً عن طريق الطقوس لحماية المجتمع و البشر من الارواح الشريرة . اما الفلك و تفسير الاحلام فكانا يستخدمان كطريقة عادية للتنبؤ الذى كان يمارس بطريقة رسمية . اما الحساب فقد كان معروفاً منذ القدم فى ايران و يقوم على التخمين اكثر مما يقوم على قواعد و تطبيقات معروفة (1) .

سادساً : الديانة و المعتقدات

كان الاريون يعبدون فى بداية الامر زوجاً من المعبودات ، معبود للعواصف و المطر و معبود للشمس احياناً و الارض احياناً اخرى ، الى جانب ما عبدوا من حيوانات و تماثيل للاجداد . و كانوا يعبدون قوى الطبيعة كالشمس كمعبود باسم " مثرا " و الارض باسم " زام " و الريح باسم " وهيو " ، كما عبدوا الماء و النار و الظواهر الاخرى و تنقسم الى قسمين : ظواهر خيره و اخرى شريرة مثل الليل و القحط و القبح و الخداع و قوى الخير فى صراع دائم مع قوى الشر (2) و لهذا لجأوا الى المعبودات التى كانت تتطلب تضحيات دموية . و هذه الطقوس كان يقوم بها احد رجال الدين يطلق عليه اسم " ماجى " اى المجوس ، و كانت طبقة الكهنة من المجوس و هم حلقة الوصل بين الحاكم و الشعب . و قد قام مجتمع الفرس الاخمينيين على اسس و مبادىء دينية ثلاثة او اربعة و هى : سيادة الروح المقدسة ، القوة المادية و الممثلة فى المحاربين ، الاخصاب (الممثل فى الزراعة) و اخيراً العمل (الذى يمثل نشاط الانسان فى مهنته و حرفته) (3) . و قد منحت قوة الروح المقدسة الى الملك بواسطة " اهورا مازدا " ، الذى يحكم السماء و يشمل الارض و يحميها بجناحيه و الديانة المازدية هى صورة من الديانات القديمة التى كانت شائعة عند الهند و اوربيين .
و قد نشأت هذه الديانه المازدية على يد حكيم يعرف باسم " زرادشت " ، و لانستطيع تحديد و ظهور زرادشت فى التاريخ (ربما فى حوالى عام 1600 او 1000 ق.م) . و كان زرادشت يعيش فى ميديا ولكنه غادرها لكى يبشر بدينه الجديد فى شرق بلاد فارس . و كان كاهناً و عالماً و مصلحاً ، و تذكر الروايات ان المعبود " أهورا مازدا " قد ظهر له ووضع بين يديه كتاب " الاوفستا " الذى هو عبارة عن مجموعة من النصوص المقدسة الخاصة بفارس القديمة . و فى بداية الالف الاولى ق.م اوضح لنا زرادشت مؤلف " الافستا " معالم الديانة المازدية . و كانت فكرتها تتلخص فى ان العالم يحكمه عاملان : معبود للخير يسمى اهورامازدا الذى خلق كل .

---

(1) Filliozet , Les Sciences Greoques dans L Empire Achemenid , la Civilization Iranienne , P . 68 - 70 . .
رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 142 - 144 , 125 , Chr . et J. Palou , OP Cit ., P . 46

(2) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 287 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، صـــ 133

(3) Chr . et J. Palou , OP Cit , p . 47 . رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 134

ما هو خير و ما هو نافع و يعد فى الوقت نفسه من اكبر المعبودات طبقاً للديانة المازدية (1) و معبود للشر هو " إهريمان " الذي تتجمع فى داخله كل عناصر الشر . ولقد عمل زرادشت على تحقيق خطوة هامة فى التفكير الانسانى . و كان برنامجه هو تعاون المزارع و المحارب تحت سلطة الكاهن و الامير طبقاً لحظة و ضعت بوحى من المعبود . و عمل على نشر تعاليم كتابه " الافستا " بين الناس جميعاً . و كان الفرس الاخمينيون يعتقدون بوجود مجموعة من الملائكة المؤثرة و الكائنات التى تعين معبود الخير على تحقيق اهدافه و الى جانبها توجد سبع من الارواح الشريرة ، و هى تسبح دائماً فى الهواء و تسعى لاغراء البشر لارتكاب الاثام و فعل الشر . و رئيس هذه المجموعة هو " اهريمان " امير الظلمة و حاكم العالم السفلى و خلق المعاصى و الاثام و الحيوانات و الحشرات الضارة و الذى يعمل بكل طاقتة ليحطم الجنة التى اسكنها " اهورا مازدا" و هو معبود العدالة و تتمثل فيه كل القيم و المباديء التى تدعوا اليها المازدية هى " الفكر النقى " ، الكلمة النقية ، التصرف النقى ، و قد قضى بذلك على التضحيات الدموية و الشراب المسكر الذى يسمى هاوما .

الطقوس :

كانت النار ينقائها ، تمثل الرمز الحى لاهورا مازدا ، لذلك نجد الفرس يشيدون مواقد صغيرة فى الهواء الطلق ، و توقد عليها النيران بواسطة الكهنة . و كان الفرس يقيمون المعابد على سفوح التلال و فى ساحات القصور و اواسط المدن و اشعلوا فيها النيران المقدسة قرباناً للمعبود " اهورا مازدا " ، ثم بلغوا فى تقديس هذه النيران ، حتى وصلت الى درجة العبادة ، كما قدسوا الشمس باعتبارها نار السماء الخالدة . و قد عثر على ثلاثة معابد من عصر الفرس الاخمينيين و كل منها فى هيئة برج مربع يشمل صخرة واحدة يمكن الوصول اليها بدرج و فيها كان المجوس يرمون النار المقدسة و يبدو ان الاحتفالات الدينيية كانت تقام فى الهواء الطلق حيث عثر على المذابح فى العراء بعيدة عن المعابد و اليها كانت تساق حيوانات التضحية فى موكب حافل بالعربات التى تجرها الخيول المقدسة (2) . و قد اثرت المعتقدات الدينيية الايرانية فى الديانة اليهودية الى حد كبير ، ففى القرن السادس ق.م ، نجد ان الصيغ التى تحتويها العقيدة المازدية من صراع بين الخير و الشر اصبحت هى نفس المباديء الموجودة فى الديانة اليهودية بعد فترة نفى العبرانيين الى نينوى . و فكرة بعث الموتى و المحاكمة الاخيرة بواسطة النار ، كانت من الافكار الزرادشتية . و اعتقد الفرس فى خلود الروح ، فالارواح ذات الشافية تجتاز ما يشبه المعبر او الحاجز الذى يؤدى الى عالم الجنة ، اما الارواح الشريرة فمصيرها جهنم و عالم النار . و عرف الفرس كذلك طريقة الدفن ، و يذكر لناهيرودوت انهم كانوا يغطون الاجساد بطبقة من الشمع (3) ولكن انتشرت فيما بعد عادة عرض الاجساد للطيور المفترسة على ما يسمى " ابراج السكون " التى تنهشها و يتبقى لهم فى النهاية الهيكل العظمى الذى يقومون بجمعة . ولم تمنع ديانه زرادشت من ظهور عبادات اخرى ، ففى عهد ارتاكسركسيس الثانى عاد الظهور معبود الشمس مثرا و هو من المعبودات الايرانية القديمة ، و عبادة المعبودة " اناهيتا " (ارتميس) و هى معبودة الماء و الخصب و النماء و تشبه فى صفاتها عشتار البابلية . ويذكر لنا هيرودوت انه لم يكن للفرس معابد او هياكل او تماثيل للمعبودات . و المعبد كان عبارة عن برج مربع فيه غرفة واحدة يصل اليها الكاهن بسلم ليتولى شأن رعاية النار المقدسة ، و على مسافة قليلة من المعبد كانت تقام مذابح فى العراء و ذلك من اجل الاحتفالات الدينية (4) .

---

(1) احمد فخرى : المرجع السابق ، صـــ 230 – 235 ، عبد الحميد زايد ، المرجع السابق ، صـــ 655 – 666 ، رمضان عبده ، المرجع السابق ، صـــ 124

(2) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 279 – 280

(3) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 279 ، رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 137 – 138

(4) رمضان عبده على : المرجع السابق ، جـ1 ، صـــ 139

ثالثا : أسيا الصغرى

الفصل الأول : جغرافية ومصادر أسيا الصغرى

كان الحيثيون من الشعوب الهندو – أوربية التى قامت بدور كبير فى تاريخ الشرق الادنى القديم ، و مع ذلك ، فإن الكثير من مراحل تاريخهم ما زال يكتنفه الغموض ، و سبب ذلك قلة ما كتب عنهم مقارنة بما كتب عن مناطق الشرق الادنى القديم الاخرى مثل مصر و العراق و سورية و ايران و سنتناول فى هذا الحيز المراحل التاريخية المتعددة للحثيين ، و نبدأها بتقديم عن الظروف الجغرافية لمنطقة أسيا الصغرى ، و اللغات السائدة فيها ، و المصادر الرئيسية الخاصة بدراستها . إن المظهر العام لآسيا الصغرى (الأناضول) موطن الحثيين عبارة عن هضبة مرتفعة تأخذ فى الارتفاع من ساحل بحر ايجة فى الغرب حتى جبال ارمينية فى الشرق ، و يبلغ ارتفاع أحد قممها و هى ايزيل داغ Eizil Dagh حوالى 9600 قدم . و يمكن تقسيم سطح الأناضول الى أربعة أقسام رئيسية و ذلك على النحو التالى :

1- القسم الشمالى الشرقى :

و يتميز هذا القسم بأنه موطن الحثيون الأصلى و يجرى فيه نهر الهاليس Halys ، ويبلغ طوله حوالى 500 ميل ، و تعددت منابعه من الجبال الشرقية و بخاصة حول منحدرات قمة ايزيل داغ الواقعة عند خط تقسيم المياه الشمالى لنهر الفرات ، ثم يخترق التلال الشمالية فى اتجاه شمالى شرقى و يصب فى البحر الاسود (1) . و من اهم المدن التى تقع فى هذا القسم مدينة خاتوساس Khattusas العاصمة الحيثية ، و يتميز موقع هذه المدينة بأنه محصن من الناحية الطبيعية فهى عبارة عن قلعة جبلية إذ يحدها سلسلة جبال نبطس التى تقع الى الشمال منها بحوالى خمسة عشر ميلا تقريباً ، كما أنه تقع على مقربة من نقطة اتصال أقدم طريقين للتجارة ، و هما الطريق الذى يأتى من الساحل الايجى عبر الهاليس السفلى متجهاً الى سيياس Siyas ، و الطريق الاخر الذى يتجه جنوباً من ميناء اميسوس (سمسون) على البحر الاسود حتى مداخل قيلقية (2) .

2- القسم الشمالى الغربى :

و يشمل هذا القسم فريجيا Phrygia ، و يحده شرقاً كل من نهرى سانجاريوس Sangarius و هاليس ، و يحده جنوباً البحيرات الوسطى و الجنوبية الغربية ، و يجرى فى هذا القسم نهر سانجاريوس وروافده ، و من اهم المدن التى تقع فى هذا القسم مدينة أنقرة .

3 – المنطقة الواقعة بين السهول الوسطى و بحيرات بسيديان :

يلاحظ أن هذه المنطقة يتخللها مرتفعات لا تصلح منحدراتها غالباً للزراعة ، بينما تجود الزراعة فى المناطق المجاورة للانهار ، و تجود فى هذه المناطق الفواكه ، و من أهم المدن فى هذه المنطقة مدينة جابالا او خابالا .

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ 437

(2) أ . ر . جرني:الحيثيون ، معرب بالقاهرة ، 1963 ، صـ 36 – 37

4 – المنطقة الواقعة اسفل مرتفعات طوروس الشمالية :

تتميز هذه المنطقة بخصوبتها ، و من اهم المدن الموجودة فيها مدينة تيانا (1) Tyana .
و أطلق على اللغة الرسمية لبلاد حاتى اسم " اللغة الحثية " كما عرفت البلاد بأسم " حاتى " ، ولم تكن اللغة الحثية إحدى لغات أسيا الصغرى المحلية ، و أطلق اسم حاتى على هذه المنطقة السكان الاوائل الذين أطلق عليهم حاتيين ، و قد فرض الغزاة اللغة الحثية – الهندية – الاوروبية على الحاتيين الذين لم يكونوا من الهنود الاوروبيين (2) . و بجانب اللغة الحثية الهندو أوربية كانت هناك لغتان تنتميان الى نفس العائلة فى أسيا الصغرى ، و هاتان اللغتان هما اللغة اللوية Luwian و الباليه Palaic . و فيما يتصل باللغة اللوية فهى تنسب الى اللويون ، الذين يرجح انهم قد جاءوا الى الاناضول من الغرب و ذلك عند بداية عهد البرونز ، و انتشروا على الهضبة فى نهاية هذا العهد ، و قد تمكنوا من السيطرة على جنوب الاناضول فى أواسط الالف الثالث ق.م وربما قبل ذلك (3) . و تعنى كلمة " لويا Luwiya " فى الوثائق الحيثية ولاية أرازوا Arazawa التى قامت بدور كبير أثناء الالف الثانى قبل الميلاد كمنافس للملكة الحيثية ، و قد ظهرت الكثير من الإسماء اللوية فى النصوص الحيثية ، و قد كتبت اللهجة اللوية بالحروف الهيروغليفية التى كانت تعرف باسم " الهيروغليفية الحثية " (4) . وكانت اللغة البالية pala هى اللغة الهندو – أوروبية الثالثة المنتشرة فى الهضبة الإيرانية ، ولم يمكن حتى الأن التعرف على الموطن الذى استقر فيه الباليون فى أسيا الصغرى . ودخلت اللغة الحورية فيما بعد إلى أسيا الصغرى ، وكان الحوريون أمة غير معروفة فيما وراء المرتفعات الشرقية فى السنوات الأولى لظهور مملكة خاتوشا khattusha ولم يتمكنوا من التأثير على الحيثيين حتى بعد عام 1550 ق . م . ، ويبدو أنهم بدأوا يتسللون إلى الأجزاء الجنوبية من شبه الجزيرة التى كانت أهلة باللويين من قبل (5) ويعتمد المؤرخ فى دراسته لتاريخ الحثيين على العديد من المصادر ، ويأتى فى مقدمتها المصادر الأثرية . ولقد بدأ الإهتمام بدراسة الأثار الحثية منذ بداية القرن التاسع عشر حينما لاحظ أحد الرحالة ويدعى بورخارت borchardt أحد الأحجار فى مدينة حماه عام 1812 م وأشار فى كتابه Travels in Syria أن على هذا الحجر عدداً من النقوش والعلامات التى يبدو أنها نوع من كتابة هيروغليفية على الرغم من أنها لا تشابه الهيروغليفية المصرية .وحتى عام 1880 م كان الإهتمام بأثار الحيثيين إهتماماً فردياً ، إذ أخذ علماء الأثار والهيئات الأثرية منذ ذلك الوقت تهتم بهذه المنطقة ، حيث تم الكشف عن العديد من النقوش فى منطقة جبال طوروس وفى قرقميس ، وكانت منطقة بوغاز كوى من أهم هذه المناطق ، إذ تمكنت البعثة الألمانية للأثار من الكشف عام 1906 م عن حوالى عشرة آلاف لوح مسمارى ، وكان من بين الألواح التى كشف عنها نسخة من المعاهدة التى عقدت مابين الفرعون رمسيس الثانى وملك حاتى

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ 437 – 438

(2) O.R.Gurney , The Hittites . (Penguin Books) , 1981 . pp . 17 – 18

(3) C.W. Blegen , " The Geographical Distribution of Prehistoric Remains in Greece " In A.J.A., Vol , 32 (1928) . p . 146 ff

(4) W.F. Albirght, and T.O. Lambdin , " The Indo – Hittite Family " , in C.A.H, vol II , part I, p . 138 . ff:

(5) O.R. Gurney, " Anatolia C. 1750 – 1600 B. C . ", in C . A . H ., vol , II . part I , pp . 231 – 232 .

وتبين أن هذه اللوحات كانت تمثل السجلات الملكية في الفترة من النصف الأول من القرن الرابع عشر إلى أواخر القرن الثالث عشر ق . م . وتوقفت أعمال الحفائر في أسيا الصغرى نظراً لقيام الحرب العالمية الأولى ، ولم تستونف إلا قبيل عام 1930 م حيث قام المعهد الشرقي للأثار في شيكاغو بعمل بعض الكشوف الأثرية في منطقة " علي شار " على مبعدة 70 كم جنوب شرق بوغاز كوى ومنذ عام 1931 م واصل الفرنسيون حفائرهم حيث تم الكشف عن العديد من الأثار منذ العصر الحجري الحديث ، ومنذ عام 1935 م أخذت البعثات الأمريكية وكذلك التركية في العمل في مجال البحث الأثري في أسيا الصغرى (1) ويعتمد المؤرخ في دراسته لتاريخ الحيثيين على المصادر المعاصرة في منطقة الشرق الأدنى القديم وبخاصة مصر والعراق فلقد ألقت ألواح العمارنة الكثير من الضوء على الحيثيين خلال القرنين الخامس عشر والرابع عشر ق . م . كما أوضحت النصوص العراقية بعض المعلومات عنهم وبخاصة في الفترة الواقعة بين عهد تجيلات بيليسر الأول (حوالي عام 1100 ق . م .) وسرجون في نهاية القرن الثامن ق . م . حين تمكن من القضاء على الولايات الحيثية في سورية الشمالية وشيد في مكانها مستعمرات يديرها حكام أشوريون . ولقد أشارت التوراة في العديد من أسفارها إلى الحيثيين ، فلقد وردت كلمة " حثي " و"حثيون " (مفرد وجمع) 47 مرة في العهد القديم بينما وردت كلمة " حث " 14 مرة أخرى وكثيراً ما يذكر الحيثيون في قائمة الأمم الساكنة كنعان قبل دخول العبرانيين (التكوين 15 : 20 ، خروج 3 : 8 ، تثنية 7 : 1 ، 20 : 17 ، يشوع 3 : 10 ، 11 : 3 ، 24 : 11) وتشير التوراة إلى أن الحيثيين من ذرية حث ثاني أبناء كنعان ، وأن إبراهيم – عليه السلام – قد إشترى مغارة المكفيلة من عفرون الحثي (تكوين 23 : 10 – 18) كما اتخذ عيسو إمرأتين حيثيتين (تكوين 26 : 34) وتزاوج العبرانيون فيما بعد من الحيثيين (قضاة 3 : 5 – 6) ، وكان لداود – عليه السلام – أصدقاء حيثيون (صموئيل أول 26 : 6) وكان لسليمان – عليه السلام – زوجات حيثيات (ملوك أول 11 : 1) ، كما اشترك الحيثيون في مشاريع سليمان – عليه السلام – (ملوك أول 9 : 20 – 22) . وقد اعتبر العبرانيون الحيثيين شعباً قوياً معروفاً ، فقد إعترفوا بأرض الحيثيين (يشوع 1 : 4) ، ويذكر ملك الحيثيين في جملة واحدة مع ملوك أرام (ملوك أول 10 : 29 ، أخبار ثاني 1 : 17) ويوضعون في مرتبة واحدة مع المصريين كدليل على عظمتهم (ملوك ثاني 7 : 6) (2) . وسنتناول المراحل التاريخية المتعددة لسكان منطقة أسيا الصغرى (الأناضول) موطن الحيثيين ونبدأها بعصور ما قبل الكتابة .

---

(1) O.R. Gurney . the Hittites, p . 1 FF

(2) قاموس الكتاب المقدس ، بيروت ، الطبعة السادسة ، 1981 ، صـ 289 – 291

الفصل الثاني : عصور ماقبل الكتابة

1- العصر الحجري القديم :

يستدل من الحفائر التي أجريت في الأناضول حتى الآن على وجود أدلة أثرية تؤكد وجود الأدوات الحجرية الخاصة بالإنسان في مرحلتي العصر الحجري القديم الأوسط والعصر الحجري القديم الأعلى ، وهي تشبه تلك التي عثر عليها في كل من سورية ولبنان وفلسطين (1) ولقد عثر على البقايا الأثرية الخاصة بالعصر الحجري القديم بشكل رئيسي على سطح الأرض (2) وبجانب هذه البقايا فقد عثر على بعض الأدوات بالقرب من أنقرة (3) وتعتبر المادة الأثرية التي كشف عنها في كهف كارين Karain بالقرب من أنطاليا من أهم الإكتشافات التي تم التوصل إليها على أساس أنها تعطي نتائج سليمة لهذه المرحلة ، حيث وجدت أدوات حجرية أشولية وموستيرية ولورنياسية متتابعة في طبقات ، كما عثر على آثار لبعض حفريات حيوانية قرية أهمها دب الكهوف ، وأسد الكهوف كما عثر على سنة من أسنان طفل من جنس نياندرتال وعلى ذلك فإنه يمكن القول بأن الإنسان قد وُجد في الأناضول في العصر الحجري القديم ، ومن المناطق التي لها أهمية خاصة في هذه المرحلة منطقة أديامان Adiyaman التي تقع في حوض الفرات الأعلى نظراً لأن الآثار التي عثر عليها فيها توضح تعاقب وجود الجماعات البشرية بها ، كما أنها من ناحية أخرى تعد بمثابة حلقة الاتصال الأولى بين حضارات الإقليم السوري من جهة وبين تلك التي وجدت في كردستان والقوقاز من جهة أخرى (4) وتجدر الإشارة إلى أن الأدلة الأثرية الخاصة بمرحلة العصر الحجري القديم تتكون في معظمها من مجموعات متفرقة من المخلفات السطحية ، وأن الآثار التي إكتشفت كانت غير منتظمة في طبقات

2 - العصر الحجري الوسيط :

تشبه أدوات العصر الحجري الوسيط في الأناضول الأدوات التي كشف عنها وترجع إلى الحضارة النطوفية في فلسطين ، وهي من ناحية أخرى تعتبر إستمراراً وتطوراً للأدوات الحجرية التي ترجع إلى العصر الحجري القديم الأعلى ، ومن المواقع التي كشف فيها عن الأدلة الأثرية التي ترجع إلى هذه المرحلة موقع بيلديبي Beldubi بالقرب من أنطاليا (5) Antalya .

---

(1) D . A .E .Garrod , " primitive man in Egypt , Western Asia and Europe in palaeolithic times " in C . A . H . , vol , I , part I , p . 86

(2) S . A . Kansu , " Stone- age Cultures in Turkey " , in A . J . A . , vol , 51 (1947) , p . 227 FF

(3) S . A . Kansu , Nouvelles decouvertes prehistoriques dans les environs D . Ankara , Istanbul , 1937 .

(4) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، صـ 297 – 298

(5) Enver , Y . Bostanci , " Researches on the Mediterranean Coast of Anatolia . A New palaeolithic site at Beldibi near Antalya " , in Anatolia , vol , 4 (1959) , p . 129 FF

2- العصر الحجري الحديث :

رغم أن عملية النقلة من مرحلة جمع الطعام الى مرحلة انتاجه لم تدرس بالشكل الكافى فى الاناضول ، الا انه يمكن القول اعتماداً على المكتشفات الحديثة ان هضبة الاناضول الجنوبية كانت من المراكز التى شهدت هذه النقلة و ذلك خلال الالفين الثامن و السابع ق.م (1) . و من اقدم مراكز الاستقرار التى كشف عنها فى الاناضول موقع سبرد Suberde الذى يؤرخ بحوالى عام 6850 ق.م ، و موقع هاكيلار Hacilar الذى يؤرخ بحوالى عام 7000 ق.م ، و يوجد كلاهما فى جنوبى غربى الاناضول . و بينما لم تكشف الطبقات السفلى من موقع سبرد عن بقايا معمارية فإنه توجد بقايا لارضيات مهوف ، و بعض الادوات الحجرية المصنوعة من الظران و الابسيدان ، و تتضمن هذه الادوات السكاكين ورؤوس السهام ، و ظهرت كذلك الادوات النحاسية المتمثلة فى المخارز . و كشفت الطبقات التالية عن مبانى مصنوعة من الطوب اللبن و غطيت ارضياتها ببلاط من الطين ، و استمر السكان فى ممارسة حرفة الصيد ، و يبدو مرجحاً أن الانسان قد تمكن من استئناس الخنزير ، و يحتمل انه قد توصل ايضاً الى استئناس الزراعة . و توضح الرسوم التى كشف عنها فى كهف كورتون أنى Kurtun Ini المجاورة لموقع سبرد وجود الماعز البرى . و يتكون موقع هاكيلار من سبع طبقات ، تؤرخ الطبقات الخمس العليا منها بحوالى عام 7000 ق.م ، و تتكون البقايا المعمارية من جدران مبنية من الطوب اللبن فوق اساسات حجرية ، و يوجد فى الوسط فناء مكشوف يحتوى على العديد من المواقد و الافران و صوامع لخزن الحبوب ، و اتخذت الحجرات فى تصميمها الشكل المستطيل ، وغطيت ارضيات الحجرات الرئيسية بملاط من الطين فوق طبقة من الحصى ، و طليت باللون الاحمر و كذلك قاعدة الجدران ، و لم تزود المنازل بأبواب يدخل منها الى المساكن ، بل كان الدخول يتم عن طريق سقف المسكن بواسطة سلم خشبى ، ورغم عدم سهولة تلك الوسيلة ، فإنها من ناحية أخرى توفر الامن و الحماية و إمكانية الدفاع بالنسبة للسكان فى حالة تعرضهم لخطر من الخارج

ولم يكشف عن اية ادوات او اوانى فخارية مما يرجح انها كانت غير معروفة فى هذه المرحلة ، و استخدم السكان الادوات و الاوانى الحجرية ، حيث كشف عن بقايا انية مصنوعة من الرخام ، و تضمنت المصنوعات الحجرية ، السكاكين . ولقد كشف عن عظام العديد من الحيوانات مثل الابقار و الاغنام و الماعز ، و كان الكلب هو الحيوان الوحيد الذى كان من المؤكد انه قد استؤنس فى هذا الموقع ، و توضح الادلة الاثرية كذلك التوصل الى استئناس الزراعة حيث عثر على بقايا القمح و الشعير (2) . و يمثل موقع Catal Huyuk شطل هيوك (3) مرحلة متقدمة فى العصر الحجرى الحديث ، و يتكون هذا الموقع من عدد من القرى ، و تغطى البقايا الاثرية التى كشف عنها الفترة الزمنية الممتدة من حوالى عام 6800 – 5800 ق.م و ذلك اعتماداً على تحليل الكربون C 14 . ولقد كشف فى هذا الموقع على اربع عشرة طبقة متتالية من البقايا المعمارية .

---

(1) J . Mellaart , " Anatolia Before 4000 B.C " , in C.A.H., vol . I. part I, p. 306.

(2) J. Mellaart, " Excavations at Hacilar : Fourth Preliminary Report " , in A.St , II , (1961) , p. 70 ff.,
J. Mellaart, Earliest Civilization of the Near East, London, 1965, Fig. 49., J Mellaart, in C.A.H., pp. 309 – 315

(3) J. Mellaart, " Excavations at Catal Huyuk ", in A. St vol. 12 (1962) , Vol. 13 (1963) , Vol. 14 (1964) , Vol. 16 (1966)

و اعتمد اقتصاد السكان فى هذا الموقع بشكل رئيسى على الصيد و الزراعة و تربية الماشية ، و يعتمد ايضاً على التجارة . و يتضح من البقايا العظيمة أن الانسان قد تمكن فى هذه المرحلة من استئناس العديد من الحيوانات مثل الاغنام و الماعز و الكلاب ، ولكن كان اعتماده بشكل رئيسى على صيد الحيوانات البرية و التى لم يتمكن من استئناسها بعد . و فيما يتصل بدفن الموتى ، فلقد كان الموتى يدفنون فى المنازل اسفل منصات حجرية ، و توضح الادلة الاثرية التى كشف عنها اتجاه الانسان فى هذه المرحلة الى العالم الخارجى المحيط به ، حيث عثر على العديد من الادوات المصنوعة من مواد غير متوفرة فى هذه المنطقة . و من المظاهر الجديدة فى هذا الموقع بداية استخدام الفخار ، و كان ذلك على نطاق محدود فى اول الامر ، و ظهرت البدايات الاولى للصناعات الفخارية فى الطبقة الثالثة عشرة . ثم تطورت صناعة الاوانى ، و كانت زيناتها متأثرة بأشكال الاسبتة و الاوانى الخشبية . وفيما يتصل بالبقايا المعمارية ، فيلاحظ أن كل منزل كان يتكون من حجرة مستطيلة ملحق بها مخزن ضيق ، و قد شيدت الجدران من الطوب اللبن ، ولم توجد اساسات حجرية . و شيد القوم مقاصير او معابد صغيرة ، و هى تتميز عن المنازل بزيناتها الدينية ، وبوجود تماثيل للعبادة ، و قد صنعت هذه التماثيل من الاحجار و الصلصال ، و تتميز كذلك بدفناتها الغنية ، وقد دفن مع الموتى اسلحة رمزية ، و مرايا عاكسة من حجر الاوبسيدان ، و غيرها . واتخذت زينات المعابد العديد من الاشكال ، فكان منها زينات بارزة مصنوعة من البلاط ، و قد ظهرت فى هذه الزينات الالهة الام وقد مثلت فى شكل إنسانى ، و مثل ابنها او زوجها فى هيئة ثور ، و مثل أحياناً برأس ثور أو كبش ، و ظهر فى أحيان أخرى بقرون حيوانات مفترسة . و اصبحت الرسوم الجدارية مألوفة منذ الطبقة العاشرة و ما بعدها ، و قلدت هذه الرسوم نماذج المنسوجات ، و شباك صيد الاسماك و شباك صيد الحيوانات ، و صفوف من ايدى ادمية ، و صفوف من الثيران ، وصفوف من الزهور و الفراشات ، و غيرها ، و توضح بعض المناظر صيد الثيران البرية ، و يظهر فى رسوم اخرى نسر و هو يهاجم إنسان

و كانت أجساد الموتى تترك مكشوفة الى ان تتحلل الاجزاء الضعيفة منها ، و بعد ذلك يتم لف الهيكل العظمى بقطع الاقمشة او الحصير ، و يوضع أسفل مصطبة بالمنازل او المعابد ، و كان يدفن معه بعض الاثاث الجنائزى ، و يلاحظ فى هذا المجال ، انه كانت تدفن الجواهر مع النساء ، و الاطفال ، بينما دفنت الاسلحة مع الرجال ، و كانت توضع الاوانى الحجرية و الاسبتة و السلال مع كل الدفنات . و يلاحظ أن بعض الدفنات الخاصة بالنساء ، قد لونت باللون الاحمر الناتج من اكسيد الحديد ، و هى الممارسة التى ظهرت فى بعض المواقع الايرانية مثل حاج فيروز و سيالك (1) ، بينما اضيفت الالوان الاخضر و الازرق الى بعض الهياكل العظيمة الخاصة بالرجال و النساء فى الطبقتين السابعة و السادسة ، ولكن يلاحظ ان هذين اللونين الاخضر و الازرق كانا يوضعان على الرقبة و الجفون فقط ، و فى الطبقات الاثرية التالية كانت توضع حبات الخرز الزرقاء و الخضراء بدلا من الالوان (2) . ولقد كانت التماثيل الصغيرة شائعة الاستخدام ، وصنعت التماثيل التى عثر عليها فى الطبقات السفلى من الرخام و الحجر الجيرى و المرمر ، اما التماثيل التى عثر عليها فى الطبقات التالية فقد صنعت بشكل رئيسى من الصلصال ، و كانت اغلبها ملونة ، و مثلت هذه التماثيل الالهة الرئيسية كأم او عذراء ، و كذلك عبادة الذكر كطفل او شاب او فى شكل ملتح يمثل الاب . و ارتبطت تماثيل الثيران و الكباش و النمور مع تماثيل الذكور . (3)

---

(1) احمد امين سليم : دراسات فى تاريخ ايران القديم و حضارتها ، جـ 1 ، ايران منذ اقدم العصور حتى اواسط الالف الثالث قبل الميلاد ، بيروت 1988

(2) J. Mellaart, op . cit ., p. 312

(3) Ibid ., p. 313

و الى الغرب من موقع شطل هيوك بحوالى مائتى ميل ، ظهر قادمون جدد تمثل حضارتهم المرحلة الاخيرة من العصر الحجرى الحديث (1) . وبالنسبة للموطن الاصلى الذى جاءوا منه فانه غير معروف ، و ان كان يرجح انهم قد جاءوا من منطقة بسيديان . و فيما يتصل بالمظاهر الحضارية الجديدة التى ظهرت فى حضارتهم ، فمن ابرزها اختفاء الصيد ، و ظهور الصناعات الحجرية الجيدة ، و الاسلحة ، و اختفت الرسوم الجدارية ، و اصبحت الارداف اكثر ضخامة فى تماثيل النساء و كذلك الرجال الذين يمثلون قوى الهية . و اخذت الهياكل الملونة و المزينة طريقها الى العبادة المنزلية ، فأصبحت توجد التماثيل فى جميع المنازل تقريباً . و فى مجال العمارة ، ظهرت طرز معمارية جديدة تتمثل فى تصميم المنازل بحيث تكون الحجرات حول فناء ، و يحميها جدار دفاعى ، و كانت الحجرات تفتح مباشرة على الفناء بواسطة ابواب متسعة ، و كان المطبخ و كذلك الحجرات الاضافية توجد خارج المنزل على جانبى المدخل ، و شيدت هذه الحجرات من مواد خفيفة مثل الاعمدة الخشبية و الاغصان و تغطى بطبقة من الطين . و اتخذت غرفة المعيشة الرئيسية شكلاً مستطيلاً ، و بلغ اقصى طول لها ثلاثون قدماً ، و يلاحظ انه ظل يوجد فيها موقداً و فرناً فى مواجهة الباب ، و يوجد فى ارضيتها بجوار الحائط خزانات صغيرة ، و احياناً كانت تبنى هذه الخزانات من الطوب اللبن بجوار الجدران . و كان وجود مخازن الحبوب المستطيلة بجوار الجدار امراً مألوفاً (2) . و اعتمد السكان فى حياتهم بشكل رئيسى على الزراعة ، حيث قاموا بزراعة العديد من المحاصيل ، مثل الشعير و القمح و البازلاء و العدس ، و يحتمل انه قد تم استئناس الاغنام و الماعز ، و ظهرت المواشى و الخنازير ، كما عرف الكلب ، و من ناحية اخرى فلم يمارس السكان حرفة الصيد . و تقدمت الصناعات الحجرية و العظمية خلال هذه المرحلة (نهاية العصر الحجرى الحديث) ، و منها رؤوس الصولجانات و الاوانى المصنوعة من الرخام و التى بلغ حجم بعضها قدمين ، و كذلك الاطباق ، و صنع من العظام المناجل و السكاكين و قد شكلت اطرافها على هيئة رؤوس الحيوانات او على هيئة رؤوس ادمية ، و صنع من العظام كذلك المخارز و المثاقيب و الابر و الدبابيس و استخدمت الاصداف فى صناعة العقود و الدلايات وتطورت الصناعات الفخارية (3) عن تلك التى ظهرت فى شطل هيوك و كشف عن العديد من انواع الفخار الاحمر و الرمادى ، و كانت بعض الاوانى سوداء من الداخل و كانت الاوانى ذات القوائم العمودية الدائرية المثقوبة شائعة الاستخدام ، و كان للاوانى مقابض تشبة مقابض السلال . و تعددت الاوانى فكان منها الاوانى الكبيرة و الصغيرة ، تعددت اشكالها فكان منها الاسطوانى او الكروى او الدائرى او المستطيل . و من الاوانى الفخارية المميزة التى ظهرت خلال هذه المرحلة كوب ماء مصنوع على هيئة رأس امرأة ، و كذلك اوانى مصنوعة على هيئة رؤوس حيوانات أو رؤوس طيور . و عثر على الادلة الخاصة بالناحية الدينية فى جميع المبانى التى تم الكشف عنها ، فلقد عثر على عدد كبير من التماثيل التى تعبر عن القوى الالهية ، و منها ما يمثل الالهة الام و هى مع طفلها تحملة أو تلعب معه .

---

(1) J . Mellaart , " Excavations at Hacilar : Fourth Preliminary Report " In A. St. 11 (1961) , p. 42 ff.

(2) J . Mellaart , In C.A.H., vol . I , part I , p . 314

(3) J . Mellaart , " Early Cultures of the South Anatolian Plateau " , In A . St . 11 (1961) , p . 166 ff , fig . 6

4- عصر الحجر و النحاس :

تتميز النقلة من العصر الحجرى الحديث الى بداية عصر الحجر و النحاس بوجود اثار تدمير فى بعض المواقع بأسيا الصغرى مثل موقع هاكيلار Hacilar و شطل هيوك ، ومع ذلك فانه لا يوجد اى دليل على دخول عنصر حضارى جديد الى المنطقة . بل يلاحظ ان كل الادلة الاثرية تشير الى استمرارية التقاليد الحضارية السابقة . و مع ذلك فقد ظهرت بعض المظاهر الحضارية الجديدة أو المختلفة عن مرحلة العصر الحجرى الحديث الاخير ، و من اهم هذه المظاهر ، ظهور الزينات الفخارية ، و انحدار الصناعات الحجرية ، و ظهور معدن النحاس و استخدامه فى صناعة العديد من الادوات . و توجد الادلة الاثرية الخاصة بهذه المرحلة فى ثلاث مناطق جغرافية ، الاولى فى منطقة مرسين Mersin وذلك فى سهل كيلكيا (1) و بخاصة الطبقات من الطبقة الرابعة عشرة الى الطبقة العشرين ، و الثانية فى شطل هيوك Catal Huyuk فى الغرب فى سهل كونيا (2) ، و الثالثة فى هاكيلار Hacilar فى جنوب غرب اسيا الصغرى (3) . و توضح الطبقة الاثرية فى موقع هاكيلار مظاهر حضارية فريدة فى هذه المرحلة ، وقد كان يحيط بالمنازل سور مستطيل محصن و مزود بأبراج . و فيما يتصل بتصميم المنازل خلال مرحلة عصر الحجر و النحاس المبكر ، فقد كانت المنازل فى مجموعها مستطيلة الشكل ، و كان يوجد فى ارضية المنزل موقد و كذلك حفرة كانت تستخدم كمرحاض ، و حفظ الطعام فى اوانى كبيرة او اوانى مصنوعة من الطين توضع فى حفرة بأرضية المنزل ، و كان لمعظم المنازل فناء خارجى امام المنزل ، وزودت المنازل بنوافذ ، و كانت اسقف المنازل مسطحة ، بينما زودت المنازل المشيدة فى الغابات بسقوف ذات شكل جمالونى وذلك لتجنب الامطار ، و شيدت الاسقف من الاخشاب . ودفن الموتى فى بعض المواقع فى اوانى كبيرة من الطين . و كانوا يوضعون فى هيئة القرفصاء على الجانب الايسر و الرأس متجة نحو الشرق ، ودفن مع الموتى بعض الادوات الخاصة بهم مثل الخناجر ، و فى جبانات اخرى كان الموتى يدفنون على الجانب الايمن و الرأس متجهة نحو الغرب ، وقد وضعت بعض الاوانى بجوار الرأس ، وقد وجدت فى بعض الاحيان بجوار الاطفال رضاعات ، بينما احتوت المقابر الخاصة بالاثرياء على اطباق مصنوعة من الرخام . و عثر على العديد من الادوات المصنوعة من النحاس و كذلك الفضة بينما لم يعثر الا على اشياء قليلة مصنوعة من الذهب ، و من الادوات التى صنعت من المعدن : الخناجر ورؤوس الرماح ، و المدى المعقوفة ، و البلط المسطحة ، و الدبابيس ، و المخارز ، و الابر ، و المثاقيب ، و الازاميل . وصنع الفخار خلال هذه المرحلة ايضاً بواسطة الايدى ، ولقد تعددت أشكاله ونماذجه . ويختلف فخار المنطقة الجنوبية الغربية عن فخار باقى المناطق ، اذ يتميز بأنه قد صقل صقلاً جيداً ، و تعددت الوانه ، فكان منها الاسود او الاصفر المادى ، و البرتقالى ، و الاحمر الفاتح ، و القرمزى ، وزود بأطواق واسعة تستخدم كمقابض ، وزينت جدران الاوانى برسوم هندسية . كما تعددت نماذجه كذلك ، فوجدت أباريق لها رقاب طويلة و ميازيب و أوانى ذات شكل كروى ، و كؤوس ذات شكل مربع ، و كان لبعضها قاعدة لها اربعة ارجل .

---

(1) A. Furness, " Some Early Pottery of Samos , Kalimnos , and Chios " , in P.P.S., vol . 22 (1956) , p . 45 FF

(2) J. Mellaart, " Early Chalcolithic Pottery Form Catal Huyuk " in A. St, 11 (1961) , p. 177 FF

(3) J. Mellaart , "Preliminary Report on a Survey of Pre- Classical Remains in Southern Turkey " , In A. St . 4 (1954) , p . 86 , fig 2

و تميز فخار المنطقة الجنوبية بألوانه الحمراء المائلة الى الاصفرار ، وزود بعضها بمقابض حفر سطحها بنقط و شرط ، كما ظهرت الاوانى الفخارية المصقولة ذات اللون الرمادى و الاسود و الاحمر الداكن . اما فخار المنطقة الوسطى من الاناضول ، فقد كان اغلبه مزين بزينات حمراء بارزة او غائرة (1) . وتوضح البقايا المعمارية بمدينة بوليوخنى انه كان بها شارع رئيس يبلغ طوله مائتى متر تقريباً ، و قد تجمعت المنازل فى مجمعات على جانبى الطريق ، و تفاوتت احجام المبانى ، فقد كان منها الصغيرة و المتوسطة و الكبيرة ، و من المظاهر المميزة فى هذه المدينة وجود ما يشير الى اماكن عامة مثل المخازن الجماعية ، و عثر على مبانى كبير كذلك يرجح انه كان يستخدم كصالة اجتماعات او مسرح . ويوضح موقع مرسين Mersin بعض المظاهر المعمارية خلال هذه المرحلة ، فقد كشف عن بقايا بعض المنازل ، و منها يتضح ان كل منزل كان يتكون من حجرة رئيسية مزودة برحى تستخدم فى طحن الحبوب ، واوانى لحفظ الحبوب ، و بعض الادوات المنزلية ، و يوجد فى المقدمة فناء صغير . ويوجد بناء يتضح من تصميمه انه منزل الحاكم ، و هو على شكل مستطيل و يوجد فى وسطه فناء مستطيل يقع على كلا جانبيه صف من الحجرات (2) . وفيما يتصل بدفن الموتى فقد كشف فى دوراك Dorak فى شمال غرب الاناضول عن قبرين ملكيين ، و على ثلاثة عشر قبراً فى الاسا Alaca بوسط الاناضول ، و اختلفت عادات الدفن بين مناطق الاناضول ، فبينما كانت المدافن فى دوراك (التى تمثل شمال غرب الاناضول) عبارة عن لحود من الحجر يبلغ حجم الواحد منها 180 × 200 سم ، نجد مقابر الاسا (التى تمثل وسط الاناضول) قد حفرت فى الارض و بطنت احياناً بالحجارة ، و يتروا ح طول بعضها ما بين ستة و ثمانية أمتار ، و يبلغ عرضها ثلاثة أمتار و نصف المتر . و بينما غطيت مقابر دوراك بالحجارة ، فقد غطيت مقابر الاسا بكتل خشبية رصت عليها رؤوس الثيران و اظلافها . ودفن الموتى فى مقابر دوراك فى هيئة القرفصاء ، او ممددين على ظهورهم و قد اتجهوا برؤوسهم ناحية الشرق ، بينما دفن الموتى فى الاسا فى هيئة القرفصاء فى الركن الشمالى الغربى لحجرة الدفن ، على الجانب الايسر وقد اتجهت الرأس نحو الغرب . ولم يعثر فى مقابر الاسا على اى اثر لقماش او حصير نظراً لكثرة مياه الرشح التى قد تكون أتلفت القماش او الحصير ، وقد دفن مع الموتى بعض الادوات الجنزية و منها تماثيل لثيران ، و بعض ادوات الزينة ، و بعض الاوانى الفخارية ، و كذلك اوانى مصنوعة من المعدن ، و قد دفن مع الحكام صولجاناتهم كرمز للسلطان ، وقد عثر فى احدى المقابر على رأس مقمعة مصنوعة من الذهب ، و على خنجرين مصنوعين من الحديد . ولقد عثر فى موقع دوراك على مقابر ملكية،وقد وضع جسد الملك على كليم أو حصير ووضعت من الدفنات الملكية أثاث مصنوع من الخشب،ومن الأشياء الجديرة بالإهتمام ماكشف عنه فى المقبرة الملكية رقم { 2 } ويتمثل فى بقايا كرسى مصرى مصنوع من الخشب وقد نقشت صفحته المغطاه بالذهب بالكتابة الهيروغليفية المصرية وسجلت عليه اسم ولقب الفرعون ساحورع ثانى ملوك الأسرة الخامسة المصرية (2494 – 2345 ق.م. تقريباً) (3) واحتوت مقابر دوراك على أدوات للزينة واوانى معدنية وفخارية ، وأسلحة متعددة كالسهام والسيوف والخناجر ، كما عثر على رأس مقمعة مصنوعة من الكهرمان والفيروز ، وعلى سيف وخنجر مصنوعين من الحديد (4) .وتمكن الصناع من صناعة الأدوات المعدنية بواسطة الصب فى الشمع ، كما مارسوا التطعيم فى المعادن ولحام المعادن ، ووجدت العديد من الأدوات الحجرية ، ويلاحظ من المواد التى استخدمها .

---

(1) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـــ 440 – 242

(2) J. Mellaart, op . cit ., p. 325

(3) J . Mellaart , " the Royal T reassure of Dorak " , in Ill . Ldn new , 28 Nov . 1959 , Fig . 1 .

(4) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ، صـ 444

الصناع وجود مواد محلية مثل البللور الطبيعي والعقيق واليشب والأبسيديان ، بينما قاموا باستيراد بعض المواد الخام من خارج الأناضول ، ومن هذه المواد : الكهرمان الذى أحضروه من البلطيق ، واللازورد من بارلخشان فى شرق أفغانستان ، والفيروز من نيشابور فى خورسان شرق إيران ولقد عثر فى الأسا على تماثيل ترتدى أحذية إرتفعت مقدمتها (1) كما عثر على أحزمة ، وتزينت النساء بالأساور والعقود التى صنعت من أحجار مختلفة الألوان كما تزينوا كذلك بالخواتم والأقراط والأمشاط . وفيما يتصل بالصناعات الفخارية ، فقد توصلت مدينة كليكيا إلى عجلة الفخار ، بينما استمرت المناطق الأخرى فى صناعته بواسطة الأيدى ، وقد تعددت أشكاله وزيناته ، وقد ظهرت زينات جديدة فى موقع مرسين بالطبقة الأثرية السابعة عشرة ، وقد غطيت الأوانى بطبقة رقيقة من الخزف الجيد ذو اللون السمنى ولونت بالون الأحمر والبنى أو الأسود ، وكان لبعض الأوانى مقابض كبيرة بشكل مبالغ فيه ، وزينت بعض الأوانى السوداء بزينات بيضاء ويرجح أن هذه الزينات مرتبطة بظهور هذا الفخار الجديد الذى لم يعرف من قبل فى كليكيا (2) .

الفصل الثالث عصور الدولة القديمة

يبدأ التاريخ الحقيقى فى الأناضول بمجئ التجار الأشوريين إلى الهضبة حوالى 1900 ق.م. وفى هذا الوقت كان أهل أشور يعرفون الخط المسمارى البابلى ، وقد عثر على الألواح الطينية التى سجل عليها أولئك التجار الأشوريين رسائلهم ويومياتهم فى أماكن متعددة وبخاصة فى " كول تبه " بالقرب من قيصرية .ولم يعرف من هذه الألواح إلا القليل عن السكان الأصليين وتاريخهم ، ولكننا نعرف بعض المعلومات عن امراء محليين وقصورهم ، ومن الواضح أن الأناضول كانت مقسمة إلى عشر مقاطعات صغيرة على الأقل ، وكان من بينها مدينة بوروش خاتوم Burush Khatum ويبدو أنه كان لهذه المدينة سلطات فى بادئ الأمر لأن حاكمها كان مميزا عن الباقين بلقب "الأمير الأعظم " وقليل جداً الأمراء المحليين من هم معروفون لنا بأسمائهم (3) .
ويبدأ التاريخ السياسى فى الأناضول بتولى الملك " أنيتا " Anita ابن " بيتخانا "Pitkhana" عرش كوشار Kushshar . ولقد سجلت إنتصاراته بالتفصيل فى نصوص حيثية عثر عليها فى بوغاز كوى (4) ويتضح من هذه النصوص أن أنيتا قد نقل مقر حكمه إلى نيشا Nesha التى كان قد استولى عليها والده من قبل ، ولقد واصل أنيتا انتصاراته باستيلائه على العديد من المدن مثل "أولاما Ullamma " و "هاركيونا Harkiuna " و " زالبوا Zalpuwa " وأخيراً "خاتوشاش Khattusha " نفسها ، التى دمرها تدميراً تاماً ، وأعلن أنها مدينة ملعونة . وتشير هذه النصوص إلى أنه قد هزم ملك بوروشخاندا Purushkanda الذى خضع له ، وحمل إليه عرشه وصولجانه كهدايا .وبالإضافة إلى هذه النصوص ، فقد ذكر اسم " أنيتا " فى ثلاث وثائق أشورية وكذلك خنجر مصنوع من البرونز (5) ، ويستدل من ذلك على ان هذا الملك كان معاصراً للمستعمرات التجارية الاشورية ، و تؤكد هذه الوثائق اللقب الذى اتخذه و هو " الملك العظيم " . و ان كان من المحتمل ان نشاط الاشوريين التجارى فى كبادوكيا الذى ظل مزدهراً حوالى ثلاثة أجيال ، قد انتهى فجأة خلال حكم الملك " أنيتا " ، و ان كنا لا نعرف اذا كان هذا قد تم نتيجة لانتصارات " أنيتا " ، او ان كارثة ما قد حلت بمدينة أشور فى هذا الوقت (6) .

---

(1) H . Z Kozay , les Fouilles D , Alaca Huyuk , Ankara , 1951
(2) J . Mellaart , in C . A . H . , vol . I part I , p . 423
(3) O.R.Gurney , the Hittites , pp . 18 – 19.
(4) K. Balkan. Letter of King Anum- hirbi of Mama to King Warshama of Kanish , Ankara , 1957 , p . 47
(5) T. Ozguc, " The dagger of Anitta " , In Belleten , XX, 177, (1965) . pp, 33 – 34
(6) O.R. Gurney, op . cit ., pp . 20 - 12

و عاصر انتهاء الوجود الاشورى فى وسط الاناضول نهاية عهد شمس اند الاول ملك اشور القوى ، و فى العقد الاول من عهد ابنه " إشمى - داجان " (من حوالى 1780 – 1740 ق.م) الذى لم تكن له كفاءة أبيه ، وبعد أن استعاد زمرى ليم عرش مارى فقدت أشور سيادتها على الفرات و انقطع اتصالها بأسيا الصغرى (1) . هذا و يرجح أن " أنيتا " كان ينتمى الى سلالة غريبة عن الملوك الذين اتخذوا من خاتوشاش عاصمة لهم فيما بعد ، حيث من الواضح أن مدينته كوشار كانت مقراً ملكيا فى العصور الحيثية القديمة ، هذا اذا لم تكن بالفعل العاصمة الادارية ، كما انه لم يدع أحد من ملوك الحيثيين أن أنيتاس كان سلفا له ، و يضاف الى ذلك ، العداء الذى أظهره أنيتا تجاه مدينة خاتوشاش (2). و فيما يتصل بتاريخ الحيثيين أثناء الدولة القديمة ، فيلاحظ قلة الوثائق المتصلة بهذه الفترة ، كما أن معظم الوثائق التى وصلتنا غير كاملة (3) ، و يعتمد المؤرخون فى دراسة هذه الفترة على المرسوم الذى أصدره أحد الملوك الاولخر فى هذه الفترة ويدعى تيليبينوش Telepinush . و يستدل منه الى أن اول ملوكهم كان يدعى " لابارناش " .

لابارناش Laabarnash :

يتضح من هذا المرسوم أن الملوك الحيثيين المتأخرين كانوا يحبون أن يرجعوا بأصلهم الى الملك القديم لابارناش Laabarnash ، و عليه يمكن القول أن التاريخ الحيثى يبدأ به ، رغم أنه لم يكن فيما يبدو أول أسرته ، ولم يبق لهذا الملك أى نص أصلى ، و كل ما لدينا عنه ما ورد فى مرسوم تيليبينوش . ويبدأ مرسوم تيليبينوش على النحو الاتى : " فى الماضى كان لابارناش ملكاً عظيماً ، و كان أولاده و أخوته و أصهاره و أقاربه و عساكره متحدين ، و كانت البلاد صغيرة ، و كان كلما اتجه للقتال أخضع بلاد أعدائه بالقوة ، فقد دمر البلاد حتى أصبحت بلا قوة ، و جعل البحر حدوده ، ولما عاد من المعركة ذهب كل واحد من أولاده الى أحد مناطق البلاد ، فذهبوا الى خوبيشنا ، و الى توانوا ، و الى نيناشا ، و الى لاندا ، و الى زالارا ، و الى بارشوخاندا ، و الى لوشنا ، و حكموا البلاد ، و اصبحت المدن الكبرى فى قبضة يده . ثم أصبح خاتوشيليش Khattushilish ملكاً ، و كان أولاده ، و أخوته ، و أصهاره، و أقاربه ، و عساكره بالمثل متحدين ، و أينما سار الى قتال كان يقضى على بلاد أعدائه بالقوة ، فقد دمر البلاد حتى أصبحوا لا حول لهم ولا قوة و جعل البحر حدودهم ، و لما عاد من المعركة ذهب كل من أولاده الى كل جزء من البلاد ، و عادت المدن مرة ثانية فى قبضة يده (4) . ويتضح من هذا النص أن قوة المملكة الحيثية قد اعتمدت على قيام العلاقات الودية بين أفراد الاسرة المالكة ، و أنها تكونت فى هذه المرحلة من مجموعة متماسكة من المدن تبعد عن خاتوشاش بمسافة شاسعة ، و على ذلك فانه من المحتمل جداً أن العاصمة فى ذلك الوقت لم تكن خاتوشاش بل كانت المدينة القديمة كوشار ، والتى ربما كانت تقع جنوب الهاليس . ولقد تأيد ما جاء فى النص السابق من أن لابارناش قد اتخذ البحار حدوداً له بنص ثان متأخر عن النص الاول ورد فيه أن لابارناش قد أخضع ممكلة أرزاوا و هى تقع فى النصف الغربى من أسيا الصغرى . و على ذلك فقد سيطرت المملكة الحيثية فى عهد اول ملوكها على إقليم يمتد فى الجنوب و الغرب على الاقل أقصى حد للاتساع وصل إليه اقوى ملوك الامبراطورية المتأخرة (5) .

---

(1) محمد عبد اللطيف : المراكز الاشورية فى وسط أسيا الصغرى فى العصر الاشورى القديم ، الاسكندرية صـ 33

(2) O.R. Gurney , Op . Cit., p . 21

(3) E. Laroche, " Catalogues des Textes Hittites " , In R.H.A., XIV 158 – XVI 162

(4) O.R. Gurney , " Anatolia C. 1750 - 1600 B. C " , In C.A.H., vol II, Part I, Cambridge, 1973, p. 235

(5) O.R. Gurney , The Hittites , p. 22

خاتوشيليش الاول Khattushilish :

خلف لابارناش على العرش ويحتمل انه ولده ، و يلاحظ انه بالاضافة الى التسمية خاتوشيليش قد اتخذ اسماً اخراً هو لابارناش الثانى ، و يتجه الباحثون فى تفسير ذلك الى عدة فروض : الاول أن يكون قد تولى العرش تحت اسم لابارناش الثانى ثم اتخذ فيما بعد اللقب خاتوشيليش ، و يجه الفرض الثانى الى ان اسمه الشخصى كان خاتوشيليش . و عندما تولى العرش اتخذ التسمية لابارناش (1) . أما الفرض الثالث ، فيرى انه قد اتخذ التسمية خاتوشيليش بعد نقله للعاصمة من كوشار الى خاتوشاش ، اذ ان هذا الاسم يعنى " رجل خاتوشاش " و انه قد اتخذه ليخلد ذكرى انتقاله اليها (2) . ويستدل من الوثائق التى ترجع الى عهد خاتوشيليش الاول انه قد تولى الحكم فى العاصمة كوشار ، و انه قد نقل العاصمة بعد ذلك الى مدينة خاتوشاش حيث موقعها الاستراتيجى المتميز ولقد أخذت المملكة الحيثية فى الاتساع جنوبا وشرقا خلال حكم هذا الملك ، و يضيف احد نصوصه الاحداث الهامة التى تمت فى ست سنوات من عهده .

يتضح ان السنة الاولى من هذه السنوات قد خصصت فى شن العديد من الحملات على " شاخويتها " و " زالبار " . وفى السنة الثانية ، يشير الى أنه قد دمر مدينة الخلخاAlkhalkha التى يرجح ان تكون الألاخ Alalakh الواقعة فى سهل أنيتوخ ، ويستدل من ذلك أنه قد قاد حملة الى سهول سورية . وتقدم بعد ذلك للقضاء على مدينة أورشو Urshu التى تقع على الضفة اليمنى لنهر الفرات الى الشمال من قرقميش ، و تمكن من هزيمتها وقدمت له الجزية . و فى السنة الثالثة ، اتجه خاتوشيليش لغزو أرزاوا التى كانت من أشد المنافسين للحيثيين ، و كان نفوذها يمتد الى الغرب أو الجنوب الغربى من خاتوشاش ، و كان لحاكمها مقر ملكى على ساحل البحر . الا انه اثناء صراعه مع أرزاوا تعرضت حدوده الشرقية لهجمات الحوريين الذين تمكنوا من السيطرة على أجزاء كبيرة من مملكته ، و نتيجة لذلك فقد ترك أرزاوا واتجه نحو حدوده الشرقية حيث قضى على الخطر الحورى وصب انتقامه على بعض المدن التى كان لها دور فى مهاجمته . وتتضمن أحداث العامين الرابع و الخامس من عهده بعض الحملات المحلية . و فى السنة السادسة عبر خاتوشيليش مرتفعات طوروس ، و اتجه الى مدينة خاششو ، و هى مملكة حورية تقع الى الغرب من الفرات .

ولقد شغلت ايام خاتوشيليش بالحروب السورية و بخاصة مع مملكة لمخاد Imkhad (حلب) ، ولقد حاول ان يستولى عليها ، ولكن يبدو من الوثائق المتأخرة انه لم يتمكن من الاستيلاء عليها (3) . وتعرضت المملكة الحيثية فى اواخر ايام خاتوشيليش للانقسام و الفوضى ، اذ ثار امراء البيت المالك بقيادة ابن خاتوشيليش وولى عهده ، ورغم تمكن خاتوشيليش من القضاء على الثورة ونفى ابنه الذى ثار ضده ، و عين اخر مكانه ولياً للعهد ، إلا أن الاستقرار لم يدم ، إذ بعد وفاة خاتوشيليش تمكن زوج أخته من قتل ابنه أو حفيده الذى كان قد عينه ولياً للعهد ، وبذلك دخلت المملكة فى مرحلة من الفوضى استمرت أجيالاً عديدة ، و امتلأت هذه الفترة بحوادث القتل و الفتن و الدسائس . و من أشهر الملوك الذين ظهروا خلال هذه المرحلة الملك تيليبينوس Telepinus الذى اعتلى العرش حوالى عام 1525 ق.م ، ورغم انه كان مغتصباً للعرش ، و الا انه قد تمكن من تقوية مركزه بالتخلص من المدعين الذين ينازعونه السلطة . و من أشهر الاعمال التى تنسب اليه سن قانون لتنظيم وراثة العرش ، فألف مرسوما محكما ، استعرض فيه بايجاز تاريخ الحيثيين ، و أوضح أخطار الاختلاف و التفرقة فى الجهات العليا ، و انتهى الى إعلان قانون دقيق لوراثة العرش ، و عدد من القواعد الاخرى الخاصة بسلوك الملك و الامراء ، و يبدو أن هذا القانون الذى أصدره قد اتبع حتى أخر ايام الامبراطورية الحيثية . وفيما يتصل بسياسته الخارجية ، فقد اكتفى باقامة حدود يمكن الدفاع عنها ، فطرد الغزاة من شمال العاصمة شرقاً الى مسافة مطمئنة ، و من ناحية الغرب و الجنوب سلم بفقدان أرزاوا و البلاد الواقعة خلف طوروس بما فى ذلك سورية بأسرها .

O.R. Gumey , in C.A.H., vol . II . Part I , p. 236 (1)

Ibid .. pp. 238 – 239 (2)

O.R. Gumey , In C.A.H., vol . II, Part I, pp. 240 – 244 (3)

و من أهم معالم سياسته الخارجية توقيعه لمعاهدة مع كيزوواتنا (كاتونيا) و هى دولة قوية كانت تشمل الجزء الشرقى من سهول قيليقية . و تعتبر هذه الاشارة من أولى المعاهدات فى هذه المرحلة . ويعتبر تيليبينوس عادة أخر ملوك الدولة القديمة ، إذ لم يعثر منذ منتصف أيام حكمه على مصادر تاريخية ، فأصبح لايمكن التأكد من أسماء خلفائه الذين جاءوا بعده مباشرة ، و هذا العصر الغامض هو الذى يملأ الزمن الفاصل بين تيليبينوس و تود خالياش الثانى Tudhaliyas الذى أسس أسرة جديدة و كان أول ملوك الامبراطورية (1) .

الفصل الرابع : عصر الامبراطورية الحيثيه

فى نهاية عصر الدولة القديمة دخلت الدولة الحيثية مرحلة جديدة فى تاريخها تعرف باسم " عصر الامبراطورية " أو " المملكة الحيثية الحديثة " ، و تعاصر هذه المرحلة فى مصر عصر الاسرتين الثامنة عشرة و التاسعة عشرة ، و بخاصة منذ أيام الفرعون تحوتمس الثالث.
وشهدت هذه المرحلة العديد من المظاهر الجديدة فى نظام الملكية الحيثية ، فلقد أصبحت الملكية مطلقة بعد أن كانت تتميز فى عصر الدولة القديمة بالديمقراطية أو الحكم الخاص (Oligarchic) . و من ناحية أخرى فقد تأثرت هذه المرحلة بشكل كبير بالمؤثرات الحورية ، و ظهر ذلك فى اتخاذ بعض مظاهر العبادة الحورية ، كما أن جيش الامبراطورية الذى امتاز بسلاح المركبات قد قام بتدريبة شخص حورى يدعى كيكولى ، و يلاحظ أيضاً أن الكثيرين من الملوك و الملكات و الامراء قد اتخذوا الاسماء الحورية ، و من أقدم الاسماء الحورية تلك التى تسمت بها الملكات نيكال ماتى ، و أشمو نيكال ، و لكنه يلاحظ أنه حينما يعين أحد أولئك الذين يتخذون أسماء حورية ملكاً فإنه كان يستبدل اسمه باسم أخر حيثى (2) . ويعتبر الملك تودخالياش الثانى مؤسس الاسرة التى أنشأت الامبراطورية الحيثية .

تودخالياش الثانى Tudkhaliash II :

لم يظهر اسم والد تودخالياش الثانى فى اى مكان ، و هو يعتبر مؤسساً لاسرة جديدة بدأت عصر الامبراطورية الحيثية . ورغم ذلك فإن الوثائق المتخلفة من عهده جد قليلة ولا تشير الا الى القليل من أحداث من عهده و التى من أهمها الاشارة الى غزوه لمدينة حلب و تدميرها .
وربما كان غزو الحيثيين لحلب يرجع الى انهم أرادوا عقابها على عودتها للخضوع الى " هانى جلبات " ، ولذا يرجح أن يكون غزوها لا يمكن أن يكون متأخراً عن هزيمة هانى جلبات على يد الفرعون المصرى تحوتمس الثالث فى سنة 1457 ق.م الذى تمكن من إنهاء السيطرة الحورية فى سورية فى حملته الثامنة التى تمت فى عام 1450 ق.م و أصبح المصريون هم أصحاب السلطة العليا فى سورية فى ذلك الوقت . ويرى بعض الباحثين أن الحيثيين قد قاموا بغزو حلب بالاتفاق مع الفرعون تحوتمس الثالث كحلفاء له ، و مما قد يؤكد ذلك إشارة نصوص تحوتمس الثالث الى تسلمه هدايا من " خيتا العظمى " ، وربما يفسر لنا ذلك السبب فى عدم وجود اى إشارة فى النصوص المصرية الى الاستيلاء على حلب فى هذه الحملة (3) . ولقد أشارت النصوص المصرية الى مواصلة إرسال الجزية من خاتى فى عهد الفرعون أمنحوتب الثانى خليفة الفرعون تحوتمس الثالث ، إذ ورد فى نهاية لوح منف الذى يرجع الى عهده : " ... الان ، لما سمع أمير نهرين ، و أمير خاتى ، و أمير سيخر النصر العظيم الذى حققته ، تسابق كل مع زميله بكل وسيلة من الهدايا من كل البلاد ، و قد تحدثوا فى قلوبهم و أقسموا بأباء أبائهم أنهم سوف يدعون للسلام مع جلالته ردأ على عطائه لهم نسيم الحرية : حضرنا و معنا جزيتك الى قصرك ، يا ابن ر ع أمنحوتب حاكم الحكام ، الاسد المغوار فى كل مصر ، و فى هذه الارض الى الابد " .

---

(1) H.G. Guterbock, " The Hurrian Element in the Hittite Empire ", In J.W.H., vol. 2 (1954). P 383 ff
(2) محمد ابو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 311.
(3) O.R. Gurney , The Hittites , pp . 24 - 26

وتشير نصوص تودخاليش انه قام بغزو المناطق الغربية ؛ و تذكر هذه النصوص انه حارب فى أرزوا ، و توجد تفاصيل هذه الحرب فيما يسمى " حوليات تودخاليش " و هى الحوليات التى كانت تنسب من قبل الى الملك تود خاليش الرابع (1) . وتصف الحوليات اربع حملات ناجحة ، و فيما يتصل بالحملة الاولى فلم يتبق من النص تفصيلات عنها ، و كل الذى لدينا هو نهاية هذه الحملة و تتضمن جزء من قائمة بأسماء البلاد التى تم غزوها ، و من بين هذه البلاد أرزاوا و البلاد التابعة لها ، و خابالا Khapalla و أرض نهر شيخه Shekha ، و كذلك وولاريما Wallarimma التى تقع الى الغرب . اما الحملة الثانية وجهت نحو اثنتان و عشرون مدينة تحت اسم " بلاد أسوا " Assuwa ، و قام العلماء بدراسة اسماء المدن الاثنتان و العشرين التى وردت أسماؤها فى حوليات هذه الحملة و بخاصة اسماء آخر مدينتين وردتا فيها وهما مدينتا و يليوشيا Qilushiya وتاروشا Taruisha ، اما عن باقى و تمثل هذه الحملة أقصى تدخل للحيثيين ناحية الغرب . واضطرت الظروف الملك تودخاليش للقيام بحملته الثالثة ، إذ أنه أثناء انشغاله بحملته الثانية فى الغرب هاجمت جماعات " كاسكا Kaska) بلاد الحيثيين ، و على ذلك ، فقد اضطر الملك أثناء عودته الى خاتوشاش الى أن يتوجه ، إليهم حيث دارت معركة بينه و بينهم عند توارا Tiwara (لم يحدد مكانها بعد) تمكن من إلحاق الهزيمة بهم فيها .

و بعد هذه الحملة الثالثة قضى الملك عاماً لم يقم فيه بأى حملات ، وبعد هذا العام أرسل حملة ناحية الشرق لتقضى على تمرد قام فى مدينة أشوا Ishuwa بتأييد من مملكة الحوريين (2)

ولقد تمكن تود خاليش أن يستولى على ميتانى ، و دخل عاصمتها ، و قد قام بتسليم كل الاراضى التى استولى عليها الى ملك كيزوادنا الذى كان حليفاً له . إن حملات تود خالياش فى سورية و الغرب ، توضح أنه كان حاكماً نشطاً و ناجحاً (3) . و تسجل إحدى القطع التى ترجع الى هذا العهد أن مدينتى أورا Ura و موتاموتاسا Mutamuyassa قد خضعت لسيادة الحيثيين ، كما توضح قطعة أخرى توقيع معاهدة مع أهل أورا أنفسهم (4) . ولقد كانت أورا مركزاً تجارياً هاماً للتجارة البحرية مع كل من أوجاريت و مصر (5) . و يبدو من ذلك أنه كان للحيثيين فى ذلك الوقت سيطرة على جزء من الساحل الجنوبى لاسيا الصغرى . و فى حوالى عام 1430 ق.م بدأت مملكة ميتانى تنتعش ، و كان ذلك فى عهد ملكها أرتاتاما الاول ، ولقد كان على دولة الحيثيين فى ذلك الوقت مواجهة دولة ميتانى و معها مصر ، ففى نهاية عهد الفرعون أمنحوتب الثانى أرسل ملك ميتانى بعثة الى مصر تناشد الفرعون السلام . و من ثم فقد أرسل فرعون رسله الى أرتاتاما تطلب منه رباطاً يؤكد التحالف الذى قام بينهما ، فأرسل أرتاتاما ابنته لتتزوج الملك تحوتمس الرابع الذى تولى العرش فى مصر بعد وفاة والده أمنحوتب الثانى ، و شجع ذلك على قيام سلسلة من الزواج السياسى ، ارتبطت بواسطتها الاسرتان المصرية و الميتانية برباط المعاهدة . ولقد كان لفشل الحيثيين فى إعادة نفوذهم فى سورية أثرة فى قيام ثورة عامة ، فقد غزت جيوش أرزاوا إقليماً يسمى " البلاد السفلى " ، وقد وصلت هذه الجيوش حتى توانوا (تيانا و أورا) (6) .

E. Laroche, " Catalogue des texts Hittites ", In R.H.A., XIV / 58 – XVI / 62 (1956 (1)). No. 85 and 123

Ibid ., p . 40 ff (2)

J.B. Pritchard , Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament , (3) Princeton , 1971 , P . 399

E. Laroche ., Op . Cit ., No . 99 (4)

A. Goetze , " Cilicians " , In J.C.S., 16 (1962) , p. 48 (5)

J. Garstang , and Gumey , O.R., Op . Cit ., p. 63 ff (6)

وتعرضت الحدود الجنوبية الشرقية لهجوم من رجال أرماتانا الذين قاموا بنهب الاراضي الحيثية حتى مدينة كيزوادانا ، مما يدل أن هذه الاخيرة كانت من الاملاك الحيثية معها بعض بلاد من طوروس . كما ان العاصمة الحيثية نفسها خاتوشاش قد تم غزوها ثم أحرقت ، و كان يبدو ذلك و كأنه نهاية المملكة الحيثية (1) . و أمكن معرفة امتداد سلطان ميتاني ورازلوا في ذلك الوقت من المراسلات التي تمت بين ملوكهما مع الفرعون أمنحوتب الثالث في نهاية حكمه ، وقد تزوج الفرعون من أخت الملك الميتاني ، كما يبدو كذلك أنه قد تزوج أيضاً من أميرة أرزاوية (2) .
وأشار نص متأخر الى الاحوال السيئة التي مرت بها الدولة الحيثية و مهاجمة حدودها من كل جانب ، و قد جاء فيه : " في الايام الخوالي كانت البلاد الحيثية تغزو البلاد التي تقع خارج حدودها ، ثم جاء العدو من كاسكا و نهب الاراضي الحيثية و جعل من نيناسا حدوداً له ، كما جاء العدو من أرزاوا خلف الاراضي السفلى ونهب البلاد الحيثية أيضاً ، و جعل من توانوا و أودا حدوداً لها . و من بعيد جاء العدو من أراءونا Arauna ونهب جميع بلاد جاسيا . و من بعيد جاء العدو مرة ثانية من أزى Azzi ونهب كل الاراضي العليا و اتخذ سموحا Samuha حدوداً له . وجاء العدو من إسووا Isuwa ونهب بلاد تيجاراما Tegarama ... و من بعيد أيضاً جاء العدو من أرماتانا و نهب البلدان الحيثية و اتخذ مدينة كيزواتانا Kizzuwatna حدوداً له ، و أحرقت مدينة خاتوشاش (3) . ويعتمد الباحث في دراسته للهجوم الحيثي المضاد ضد هذه الغزوات على ما يسمى بـ " أعمال شوبيلا ليوماش " ، و هي التي قام بتجميعها ابنه " مورشيليش الثاني Murshilish II " و أمكن ترميمها من العديد من القطع (4) . ويبدو أن العمل الرئيسي خلال هذه المرحلة كان موجهاً نحو المنطقة الشمالية الشرقية " البلاد العليا " حيث دارت رحى الحرب مع قبائل الكاسكا وأزى – خياشا . و في هذه الحرب نهبت مدينة أرزيا Arziya بعد أن تم غزوها . ويلاحظ أن الاشارات الخاصة بالحروب في باقي المناطق انها متقطعة و غير مترابطة ، و مما جاء في هذه الاشارات ، أن مدينة شالابا التي كانت تمثل قاعدة أمامية على الطريق المؤدي الى أرزاوا ، قد قامت الجيوش الحيثية بإحراقها (5) . فإن موت الملك قد عجل بظهور الازمة . فقد خلفه على العرش " تود خاليش الصغير " ، الذي اغتالته جماعة من الضباط ووضعوا مكانه شوبيلو ليوماش ، الذي أثبت أنه بجوار كفاءته كقائد عسكري ، رجل دولة يتميز بقدرات غير عادية ، حيث تمكن من جعل دولة الحيثيين تقف على قدم المساواة مع الدول الكبرى حينذاك في في منطقة الشرق الادنى القديم (6)

شوبيلو ليوماش :

كان تولى شوبيلو ليوماش العرش إيذاناً بانتهاء زمن الضعف السالف وبداية عصر جديد من القوة ، وفي ذلك الوقت كان على عرش ميتالي الملك " توشراتا " وكان على عرش مصر الملك أمنحوتب الثالث (1405 – 1367 ق . م .) . وقد واصل شوبيلوليوماش جهوده الحربية في سبيل إستعادة الأملاك الحيثية بعد توليه العرش، وكان عليه أن يوجه مزيداً من الإهتمام نحو أزى (تسمى أيضاً خاياشا Khayasha) في الشرق ، وذلك من أجل تدعيم الوضع الحيثي في سورية وقد استطاع إعادة الحدود الشمالية كما كانت عليه من قبل ، أما بلاد أرزاوا والتي كانت تشغل غربي آسيا الصغرى فقد كانت مستقلة أغلب فترات حكمه (7) .

---

(1) O.R. Gumey, " Anatolia C. 1600 – 1380 B.C " ., In . C.A.H., vol . II , Part I, p. 681
(2) J.A. Kindtzon, Die El – Amama Tefeln, Leipzig, 1915, Nos. 17 – 32
(3) O.R. Gumey, The Hittites . p . 28
(4) H.G. Guterbock, " The Deeds of Suppiluliuma as told by his Son , Mursili II " , In J.C.S., 10 (1956) , p . 41 ff
(5) O.R. Gumey, In C.A.H., vol II, part I, p . 683
(6) Ibid
(7) A. Goetze ," Anatolia from shuppiluliumash to the Egyptian War of Muwatallish " in C. A . H , vol II , Cambridge , 1980 , pp 117 – 120

ويمكن القول أن كفاح شوبيلو ليوماش فى سبيل تثبيت حكمه ودعمه فى وطنه حاتى قد استغرق العشرين سنة الأولى من حكمه . ويحتمل أن يكون هو الذى وضع خطة سور الدفاع الضخم فى الجانب لجنوبى من مدينة خاتوشاش وكذلك التحصينات الأخرى فى العاصمة . ولقد أصبح بعد ذلك قادراً على التفرغ للمهمه الرئيسية التى وصلت إليها المملكة الحيثية فيما سبق ولما حانت لشوبيلو ليوماش الفرصة قام بغزوته الكبرى نحو سورية ، وتعرف هذه الغزوة باسم " الحرب السورية الأولى لشوبيلو ليوماش " (1) . ولقد تحركت الجيوش الحيثية نحو سورية ، وقد خضعت له كل المناطق بين الفرات والبحر المتوسط ، ووصلت إلى حدود الملكة المصرية فى سورية ، حيث توقفت القوات الحيثية ، حيث لم يرغب الحيثيون فى ذلك الوقت فى الدخول فى صراع مع مصر ، نظراً لأنهم لم يكونوا قد حسموا بعد صراعهم مع توشرتا الميتانى وكان لهذا الإنتصار الحيثى أثره فى تقلص سلطان الميتانيين على سورية ، وأصبحت الولايات السورية الشمالية الملاصقة للحيثيين موالية لهم تماماً ، ومن أهم هذه الولايات ولاية حلب والألاخ وتونب . وفى تلك الظروف ظهر على مسرح الأحداث الملك الأمورى عبدى شرتا وابنه عزيزو اللذين استفادا من هذا الصراع الموجود على الساحة السورية بين الحيثيين والميتانيين والمصريين ، فأخذوا يستولون على الولايات السورية وهم يتظاهرون أمام الفرعون المصرى بصداقته وولائهم له فى الوقت الذى كان يوجد بينهم وبين الحيثيين شبه تفاهم على الخطوات التى يقومون بها ، ويرجح أن عزيزو قد عقد مع شوبيلو ليوماش معاهدة رسمية ، كان من نتائجها اتباعه لنظام الحكم الحيثى . وفى نفس هذا الوقت قد قام شوبيلو ليوماش بخطوة أخرى ذات طابع سياسى كبير ، فقد تزوج من أميرة بابلية ، وبعد زواجها اتخذت اسم أول ملكة حيثية فى تاريخ الحيثيين فى الأيام الأولى لهم ، وكان هذا الإسم هو " تاوان ناناش " وقد حكمت هذه الأميرة كملكة ، ومن الواضح أن الهدف من وراء تلك الزيجة هو حماية نفسه من توشرتا ملك ميتانى . ولقد اتخذ شوبيلو ليوماش من بعض تصرفات توشرتا ذريعه لقيامه بضرب الميتانيين ، وتعرف هذه الحرب باسم " الحرب السورية الثانية لشوبيلو ليوماش " (2) ولقد استعاد شوبيلو ليوماش لهذه الغزوة ، فعقد حلفاً مع أمير أوجاريت ليحافظ على الجانب الأيمن فى طريقه إلى ميتانى ، واتجه بجيوشه إلى ميتانى حيث دخل العاصمة الميتانية واش شوجانى ، وعندما دخلها وجد أن توشرتا قد لاذ بالفرار منها . ثم عاد شوبيلوليوماش إلى الغرب مرة أخرى متجهاً نحو سورية فدخلها بعد أن عبر الفرات من الشرق ، وحينما وصل إلى سورية سقطت المدن الواحدة وراء الأخرى فى قبضته ، وكان يقوم بعزل الحكام الذين كان الميتانيون يعتمدون عليهم ، ويعين فى مكانهم غيرهم ممن يثق فيهم ، وقد إنتهت الحملة عند أبينا Apina (دمشق) أى عند الحدود المصرية فى سورية . وكان لهذه الحملة أثرها فى سياسة الشرق الأدنى القديم بوجه عام فقد وضعت نهايه لدولة توشرتا ، الذى أغتيل بعد هربه بفترة وجيزة ، وقد اقتسمت أشور ودولة الش الأملاك الميتانية فيما بينهما ، ولم يتبق من الدولة الميتانية إلا أجزاء قليلة . بعد القضاء على دولة الميتانيين ، ظل شوبيلو ليوماش لمدة ستة أعوام يشن الحملات على بلاد الحوريين أى شمالى سورية (3) حيث تمكن من إخضاع مملكة أرزيا وتوسعت جيوشه فى شمال سورية وحاصرت قرقميش ، وفى أثناء حصاره لها جاءت الأخبار بوفاة ملك مصر ، وتروى المصادر الحيثية أن أرملة هذا الفرعون الذى يرجح أنه توت عنخ أمون قد أرسلت برسالة إلى العاهل الحيثى جاء فيها " مات زوجى ، وليس لدى ولد ، وقالوا عنك أن لديك أولاد كثيرين ، ويمكنك أن تعطينى واحداً من أولادك ، ويمكنه أن يصبح زوجى ، إننى لا أرغب فى الزواج من أحد أتباعى ، إننى ممتنعة عن جعله زوجى " . (4) وبعد مشاورات إتخذها العاهل الحيثى أرسل أحد أبنائه إلى مصر بناءاً على رغبة هذه الأميرة ، ولكن لم يقدر لهذا الأمير أن يصل إلى مصر فقد إغتاله فى الطريق الجيش المصرى .

A. Goetze " the Struggle for the Domination of Syria " , (1400 – 1300 B . C) in C. (1)
A. H. , vol II part II , pp 8 – 13

Ibid . pp , 13 – 16(2)

H . G. Gutterbock , " Mursili's Accounts of Suppiluliuma's Dealings with Egypt " (3)
in R. H. A. , 18 , 1960 , p 59 ff

C. D. Noblecourt, Tutankhamen , London , 1963 . pp. 202 – 203(4)

ويرجح أن يكون ذلك بتدبير من القائد العسكري حور محب الذى تولى العرش المصرى فى نهاية عصر الأسرة الثامنة عشرة . وكان لمقتل الأمير الحيثى أثره فى نفس والده شوبيلو ليوماش ، فتحركت وحدات من الجيش الحيثى فى حملة إلى العمق ، وتشير المصادر الحيثية إلى أن الجنود أثناء عودتهم حملوا معهم وباء قضى على كثير من الناس . وبعد هذه الحملة أدرك شوبيلو ليوماش الخطر الناجم من تزايد قوة أشور بعد سقوطها توشراتا ملك ميتانى فأرسل حملة تمكنت من دخول العاصمة الميتانية " واش شوجانى " وقد عقد الحيثيون معاهدة مع الملك الميتانى الجديد ودعمت بزواجه من إحدى بنات شوبيلو ليوماش . ولقد كان لهذه الحملات السورية التى وجهت أولاً ضد الميتانيين ثم تطورت ضد المصريين والأشوريين وإلى أى قوات أخرى حاولت أن تقف فى وجه الحيثيين ، أثرها فى إجهاد الخزانة الحيثية ، وإذا كان الحيثيون قد أحكموا قبضتهم على سورية ، فإنهم دفعوا مقابل ذلك إهمال الشئون الداخلية من الناحيتين السياسية والدينية . وحينما مات شوبيلو ليوماش ثارت الأقطار المتطرفة ، وفى الواقع فقد كانت البلاد حين وفاته فى حالة من الفوضى وعدم الإستقرار كما كانت عليه حينما تسلم عرش البلاد . ولقد مات شوبيلو ليوماش حوالى عام 1346 ق . م . ، وربما وقع فريسة للوباء الذى جاء فى ركاب الجيوش الحيثية التى عادت من العمق ، وكانت مصر فى هذه الفترة مشغولة بأمورها الداخلية فى أعقاب ثورة أخناتون الدينية ، كما كانت أشور تقوم بإعادة تنظيم نفسها بعد تحررها من الميتانيين (1)

مورشليش Murshilish :

كان مورشيليش هو الإبن الأصغر لشوبيلو ليوماش ، وقد تولى العرش بعد وفاة لأخيه الأكبر الذى لم يحكم سوى فترة قصيرة مات بعدها . وفى الوقت الذى اعتلى فيه مورشيليش العرش كان الأشوريين يعدون العدة للتدخل فى شئون سورية ، وكانت ميتانى تسير فى فلك الأشوريين ، أما مصر فإنها فى هذه الفترة كانت فى نهاية الأسرة الثامنة عشرة وفى عهد الفرعون حور محب تحاول إعادة الأمور إلى نصابها بعد الأحداث التى أعقبت ثورة أخناتون الدينية . وقد وجه مورشيليش عنايته وجهوده فى السنوات العشر الأولى من حكمه نحو إعادة تثبيت قوة الحيثيين ، خصوصاً فى أسيا الصغرى ، حيث تمكن من إعادة إخضاع جماعات كاسكا وارزاوا وقضى على مراكز المقاومة فى جبال أرين ناندا Arinnanda وبوراندا Puranda كما ذهب بنفسه إلى سوريا للقضاء على الثورات هناك ، ويحتمل أنه ذهب أيضاً إلى القسم العلوى من بلاد النهرين ، حيث أشارت بعض نصوص عهده إلى مايشير إلى إعادة ميتانى إلى سيطرتهم . وعلى ذلك فقد إستطاع مورشيليش أن ينظم إمبراطوريته وأن يحافظ على حدودها كما كانت أيام والده فامتدت من لبنان والفرات فى الجنوب إلى مرتفعات بونتى فى الشمال ووصلت غرباً إلى آسيا الصغرى .وقد مات مورشيليش بعد أن حكم أكثر من إثنين وعشرين عاماً وكان ذلك حوالى عام 1320 ق . م . ويرجح أن يكون ذلك على أيام ملك مصر سيتى الأول الذى أرسل حملة إلى آسيا ، ويحتمل أن تكون هذه الحملة قد وقعت فى نهاية عهده أو فى الأيام الأولى لحكم ولده مواتاليش (2)

مواتاليش Muwatallish :

إن الوثائق المختلفة من عهد مواتاليش قليلة ، واعتمادنا فى معرفة أحداث عهده ينصب على النصوص التى تركها أخوه الأصغر خاتوشيليش وكذلك من النصوص المعاصرة فى منطقة الشرق الأدنى القديم وبخاصة مصر . لقد ورث مواتاليش امبراطورية وطيدة الدعائم بشبكة من الممالك الموالية ، فلم تحدث أى اضطرابات ذات خطر عند بلوغ الملك الجديد العرش ، ومعنى ذلك فقد أرسل قواته إلى العديد من مناطق الإمبراطورية بقيادة لأخيه خاتوشيليش . وقد ثبت الأمراء التابعون له فى بلدان أرزاوا فى مناصبهم،كما عقدت معاهدة جديدة مع الأكساندوس ملك ديلوسا وهو أحد أقاليم أرزاوا(3) وعندما أمن مواتاليش هذه الناحية اتجه لمجابهة الخطر القادم من الجنوب ، ذلك لأن المارد .

A. Goetze ., in C. A. H. ,vol. II, part II , p . 19 (1)
A . Goetze . in C. A . H . vol . II . part II . pp . 120 - 127(2)
O. R. Gurney . the Hittites . p . 35(3)

المصرى تحرك أخيراً فقد طمح ملوك الأسرة التاسعة عشرة إلى استعادة أقاليم سورية التى سبق أن فتحها تحوتمس الثالث .وبدأ ذلك فى عهد الفرعون سيتى الأول (1318 – 1304 ق . م .) الذى أرسل حملة على سورية صورت مناظرها على الجدار الخارجى لردهة الأعمدة الكبرى من الناحية الشمالية فى معابد الكرنك . ووصلت جيوشه حتى قادش على نهر العاصى ، حيث قاومه الحيثيون بشدة ، ولم تصل إلينا تفاصيل هذه الحرب ، إلا أن نتائجها على ما يبدو لم تكن حاسمة . (1) وأدرك الخصمان الكبيران بعد هذا اللقاء بينهما أنه لن يتيسر لأحدهما القضاء على قوة خصمه بسهولة ، فتميع الموقف بينهما إلى حين ، وربما إنتهيا إلى عقد هدنة بينهما والواقع أنه لم يعثر على أى أثر يحمل نصوص ذلك الصلح المحتمل ، وإنما أشير إليه فى المعاهدة التى أبرمت بين رعمسيس الثانى وخاتوشيليش الثانى ، حيث قال الملك فى معرض الحديث عن مواد الميثاق : " وكذلك الميثاق السابق الذى كان فى زمان أبى ، فإنى سأتمسك بما جاء فيه ، وهذا (رعمسيس) حاكم مصر العظيم سيتمسك بذلك معى من هذا اليوم " (2) ولم يقم الملك سيتى بحروب بعد ذلك حتى وفاته . وظل الملك الحيثى محافظاً على هذه المعاهدة حتى بعد وفاة الملك سيتى الأول واعتلاء ابنه رعمسيس الثانى (1304 – 1237 ق . م .) العرش . ولكن سرعان مالاح فى الأفق بعض الأمور التى وترت العلاقات بين البلدين ، وأخذت بوادر الصراع تظهر بينهما مطنة عن صدام وشيك الحدوث ، وساعد على تطور الأحداث أن الملك رعمسيس الثانى عند اعتلائه العرش كانت حدوده لاتكاد تعدو بيروت شمالاً ، فأخذ يعد العدة لاستعادة الأملاك المصرية فى أسيا . وفى سبيل ذلك ، فقد قام قبل نهاية عام حكمه الرابع بحملة إستطلاعية وصل فيها حتى نهر الكلب الذى كان يمثل الحد الفاصل بينه وبين خصومه ، حيث أمر بإقامة نصبين على جبل يشرف على أعالى النهر ويطل على البحر ، وذلك تحدياً لخصومه الحيثيين ، ثم عاد إلى مصر حيث كان الجيش قد أخذ عدته وأصبح على أهبة الإستعداد للدخول فى معركة حاسمة مع الحيثيين . وفى الجانب الأخر ، فقد قام مواتاليش بتجنيد كل ما استطاع من رجال دولته ، وجمع حوله جيوشاً تنتمى – فيما ذكرت المصادر المصرية – إلى مالايقل عن عشرين دويلة وجنسية ، وقد جاء فى ذلك : " ولم يترك بلداً أجنبياً واحداً ، دون أن يحضر ذلك البلد البعيد ومعهم رؤسائهم ، وكل رجل معه مشاته ، وكانت عجلاتهم كثيرة جداً وبدن حصر ، وقد غطوا الجبال والوديان بسبب كثرتهم وكأنهم جراد ط . (3) وخرج رعمسيس الثانى من مصر فى عام حكمه الخامس على رأس جيش يبلغ نحو عشرين ألف مقاتل نظموا فى أربعة فيالق ، اتخذ كل فيلق منها اسم أحد الأرباب المصريين الكبار : آمون ، رع ، بتاح ، ست . وفى ذلك الوقت كانت جيوش الحيثيين وحلفائهم قد اتخذت من مدينة قادش مركزاً لعملياتها الحربية ، وذلك نظراً لأهميتها الطبيعية والإستراتيجية (4) وتذكر النصوص المصرية الخسائر الفادحة التى منى بها الحيثيون وحلفائهم فى المعركة ، حتى إضطر ملكهم إلى إيفاد مبعوث إلى الملك المصرى عارضاً عليه السلم ويستعطفه بعبارات لاتخلو من الم ومذلة . ولا تشير النصوص الحيثية إلى طلب ملكهم العفو من رعمسيس الثانى ، بل ادعت أنه عندما يئس من تحقيق نصر مؤزر عليهم نزح عنهم (5) ومهما يكن الأمر فإن النتائج السياسية للمعركة لم تكن فى مستوى النصر العسكرى ، حتى أن الحدود بين الدولتين بقيت فى موقعها عند نهر الكلب ، كما كانت قبل المعركة . وظلت حالة الحرب قائمة بين البلدين بعد معركة قادش لمدة خمسة عشر عاماً ، حيث بدأت تظهر تغيرات محلية ودولية واسعة النطاق ، انعكست آثارها بشكل مباشر على القوتين المصرية والحيثية ، وكان لها آثارها البعيدة فى تاريخ الشرق القديم .

---

(1) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، القاهرة 1990 صـ 345 – 346

(2) J. H. Breasted . Ancient Records of Egypt , vol . IV Chicago , 1907 , 311

(3) A. H. Gardiner , the Kadesh Inscriptions of Ramesses II , Oxford, 1960, p. 8

(4) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 249

(5) A. Goetze , " Hittite Historial Texts " , in ANET, p . 314

خاتوشيليش Khattushilish :

حينما تولى العرش خاتوشيليش كانت العلاقات بينه وبين مصر متوترة ، ولكن الظروف الدولية التى استجدت حينذاك دفعته إلى انتهاج سياسة جديدة مع مصر قائمة على الود والتفاهم ، وتتمثل هذه الظروف فى ظهور دولة آشور على مسرح الأحداث ، وذلك فى بداية العصر الأشورى الوسيط وتطلعها إلى احتلال مكان من السيادة فى سورية ، ويضاف إلى ذلك استمرار تدفق هجرات شعوب البحر الآرية على حوض البحر المتوسط وشواطئه ، وكل من الأمرين تخوفته مصر أيضاً وخشيت منهما على اختلال توازن القوى فى الشرق ، وأصبحت على استعداد لاتخاذ خطوة إيجابية لتدعيم هذا التوازن الجديد وتذكر المصادر المصرية أن الملك الحيثى خاتوشيليش أرسل مبعوثين إلى الملك رعمسيس الثانى حيث عرضوا عليه مشروع معاهدة تحالف بين مصر وخاتى ، فقبلها رعمسيس من حيث المبدأ ، وكتب رجاله نصاً آخر وبعد عدة مفاوضات بين الطرفين وضعت المعاهدة فى صيغتها النهائية حيث قام العاهلان المصرى والحيثى بالتوقيع عليها وذلك حوالى عام 1270 ق . م . (1) وتبدأ المعاهدة بمقدمة وديباجة ، ثم بنود المعاهدة والتى يمكن تصنيفها على النحو التالى :

1. إعلان ميثاق للسلام والإخاء بين مصر وخاتى ، وجاء فى هذا البند :

" إن خاتوشيليش رئيس خاتى العظيم قد تعاهد مع ماعت رع ستبن رع حاكم مصر العظيم على أنه بدءاً من اليوم يحل السلام والأخوة بيننا إلى الأبد " .

2. الإلتزام المتبادل بعدم الإعتداء بين الطرفين .
3. الإلتزام باحترام المعاهدات السابقة .
4. الإلتزام بالدفاع المشترك بين البلدين .
5. الإلتزام بتسليم اللاجئين .

ولقد حققت المعاهدة أغراضها ، فساد السلام بين الدولتين ، وتبودلت الرسائل الودية بين الملكين ، وتوثقت الصلات بعد ذلك بزواج رعمسيس الثانى فى العام الرابع والثلاثين من حكمه من ابنة الملك خاتوشيليش (2) وقد توفى خاتوشيليش بعد فترة قصيرة من زواج ابنته من ملك مصر ، وتولى من بعده ابنه " تود خالياش الرابع " الذى وجه اهتمامه نحو الشئون الدينية ، ويمثل الجزء الأول من حكمه عصر سلام ، وتمكن من ضم إقليم أسووا إلى دولته ، ولكن لم تلبث أن ساءت الحالة هناك قبل نهاية حكمه ، وفى عهد خلفه " أرنو ونداش الثالث " تدهورت الأحوال فى غرب هضبة الأناضول ، وحدثت تحركات ضخمة من شعوب هذه المناطق حيث تقدمت واجتاحت الأقاليم الواقعة فى شرق البحر المتوسط ، وتمكنت تلك الهجرات التى تعرف باسم هجرات شعوب البحر فى بداية القرن الثانى عشر ق . م . من القضاء على الدولة الحيثية ، ثم هاجمت وادى النيل ولكن تمكن الملك رعمسيس الثالث من ردهم عنها بعد الإنتصار عليهم براً وبحراً (3) .

---

(1) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 252
J. Wilson, " Egyptian Treaty", in ANET , pp . 199 – 201
(2) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، صـ 253
(3) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 258 – 262

الفصل الخامس: المظاهر الحضارية الحيثية

الأسرة

يبدو أن عادات الزواج عند الحيثيين لاتختلف عن عادات الزواج في بلاد النهرين ، فمع أن الخطبة المصحوبة بهدية من الزوج المنتظر كانت خطوة أولية للزواج إلا أنها لم تكن إلزامية فكانت للفتاة حرية الزواج من رجل آخر بموافقة والديها أو بدونها بشرط أن يعوض الخطيب الأول . وكان الزواج يتم بعد حصول الفتاة على هدية من رجلها كما كانت تأخذ صداقاً من والدها – وإذا حدث عدم إتمام للزواج بعد ذلك كان الطرف المذنب يعاقب بدفع تعويض مناسب ، وفي حالة الوفاة كان يتحتم زواج الأرملة بأقرب المقربين للزوج المتوفى وربما كان الغرض من ذلك هو تخليد عائلة المتوفى ، وقد إنتقلت هذه العادة إلى العبرانيين . ولم يكن الزواج من الرقيق غريباً بل معترف بشرعيته ، وكانت القوانين الحيثية تجعل من رب الأسرة سيدها وراعيها وسلطته على زوجته واضحة وله حق تقرير مصيرها إذا ارتكبت خيانة زوجية . وكانت الملكة تتمتع بدرجة كبيرة من الإستقلال ، وكانت الملكة الوالدة بالذات ذات مكانة خاصة ولها من الألقاب ما تحتفظ به من طوال حياتها ولا ينتقل إلى زوجة الملك الحاكم إلا بعد وفاتها – وكثيراً ما كانت بشخصيتها القوية تسبب متاعب لإبنها الحاكم ، أما في حالة وجود زوجها على قيد الحياة فإنها تلعب دوراً كبيراً في شئون الدولة ، فتذكر مع زوجها في كل الوثائق الرسمية . وقد تشترك في القيام بالطقوس الدينية الرسمية أيضاً (1) .

الملك

من المرجح أن الملكية الحيثية كانت إنتخابية في الأصل ، فرغم أن تعيين وريث العرش كان يتم أمام النبلاء إلا أنه كان لايعد شرعياً إلا بعد إتمام هذا الإجراء الذي يفترض فيه أن يكون طلباً من الملك توافق عليه جماعة النبلاء ، ومما يدل على ذلك أن تاريخ الدولة الحيثية كان مليئاً بالفتن والثورات التي قام بها أقرباء الملك وكان تعيينه لخليفته علناً مدعاة للتخلص من بعض هذه الفتن – وفي النهاية وضع أحد الملوك تيليبينوس قانوناً لوراثة العرش استقرت بعده الأمور فلم يحدث نزاع بين النبلاء في هذا الصدد وقد تمتع ملوك الحيثيين بمكانه ممتازة ، وتدل ألقابهم على إعتقادهم أنهم أصحاب سلطان ونفوذ على غيرهم من الملوك الذين كانوا في نظرهم أقل شأناً كما إعتبروا أنهم يتمتعون بقوى خارقة وإن لم يؤلوا في حياتهم على الإطلاق أي أنهم لم يصلوا إلى مرحلة التقديس إلا بعد وفاتهم وكان الملك يعد القائد الأعلى للجيش والكاهن الأعظم والقاضي الأعلى في الدولة ، وهو المسئول عن جميع المعاملات السياسية مع الدول الأجنبية ، وكان من الممكن أن ينيب عنه في هذه الشئون من يقوم بدوره فيها (2) .

الإدارة

كان الحيثيون في أول الأمر يعتمدون في إدارة مجتمعاتهم الأولى التي نشأت في بقاع مختلفة على مجالس محليه تتألف من الشيوخ التي تتولى الإشراف على كافة الشئون الإدارية المحلية . أما في المراكز المقدسة فإن المعبد هو الذي يشرف على تلك الإدارة فكان الكاهن الأعظم يعد الحاكمالمدني في نفس الوقت وقد احتفظ ملوك الحيثيين بهذا الحق فكانوا يشرفون على الأقاليم التي يستولون عليها وبعدئذ عهدوا بإدارتها لأبنائهم ، ولما إزدادت رقعة المملكة أنعموا بمثل هذه المناصب على بعض القواد الذين كانوا عادة من أقربائهم ، غير أن هذا التعيين كان مؤقتاً في الغالب ، لأن أمثال هؤلاء كانوا لايستطيعون النهوض بكافة الأعباء الملقاة عليهم – وأخيراً دعت الضرورة إلى تعيين حكام دائمين يقيمون في الأماكن التي يعهد لهم بها ويدينون بالولاء للسلطة الملكية ولم تكن القوانين في المملكة الحيثية ثابتة دائماً بل كانت عرضة للتعديل والإضافات مما

---

(1) محمد بيومي مهران : حضارات الشرق الأدنى القديم ، جـ 1 ، 1999 ، صـ 150 محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، صـ 173 – 174 شافيه بدير ونور جلال : تاريخ الشرق الأدنى القديم ، صـ 239

(2) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 175 ،

محمد بيومي مهران : المرجع السابق جـ 1 ، صـ 145 - 150

يدل على أن الحيثيين لم يترددوا في إصلاح قوانينهم كلما دعت الحاجة لذلك ، كذلك يبدو أنها كانت تختلف باختلاف أنحاء الإمبراطورية ، فما كان يطبق في جهه من الجهات لايؤخذ به في جهة أخرى ، ويشتهر أن هذه القوانين كانت في بداية الأمر تأخذ بمبدأ " العين بالعين والسن بالسن " ، ولكن كانت الأحكام في كثير من القضايا تقتصر في حالة الأحرار المذنبين على تكليفهم برد الشيئ إلى أصله أو بالتعويض أما إذا كان الجاني من العبيد فقد تشمل الأحكام عقوبات جسدية تصل أحياناً إلى الإعدام – كذلك كانت القوانين الحيثية تفرق بين حدوث الذنب عن عمد وبين حدوثه عن غير عمد ولكنها كانت تعتبر حدوث جريمة في مكان ما واختفاء المجرم به أمر يعاقب عليه اهل المكان الذين يعتبرون مسئولين عن حدوث الجرم في مكانهم ، ويعتبر القانون الحيثي صارماً في الأخذ بمبدأ المسئولية الجماعية في حالات عصيان أمر الملك لأن العقوبة تنفذ على بيت الجاني ، أي على أهل بيته وكل من فيه .أما المحاكمات فكانت بسيطة الإجراءات إذ أن المنازعات كانت تنظر أمام الشيوخ الذين كانوا يشرفون على الإدارة المحلية ، وفي هذه الحالة كانوا يمثلون محكمة شعبية – وإلى جانب هؤلاء يمثل الدولة أحد ضباط الملك الذي يتعاون مع السلطات المحلية في إقامة العدل دون تحيز ، وفي حالات القضايا الكبرى التي تتطلب حكم الإعدام والقضايا التي يعجزون عن البت فيها لغموضها أو تلفيقها كانت القضية ترفع إلى الملك للبت فيها (1) .

العسكرية

وصلت الجيوش الحيثية إلى درجة كبيرة من الخبرة في التاريخ القديم ، ومع ذلك فإننا نجهل الكثير من تكوينها ووسائلها غير أنه من المرجح أن مشاة الجيش الحيثي كانت أكثر عدداً من جنود مركباته ومع هذا فإنهم كانوا يقومون بدور ثانوي نسبياً في الميادين المفتوحة . أما المركبات الحيثية فكانت تختلف في شكلها إختلافاً بسيطاً عن المركبات المصرية إذ أنها كانت تتسع لثلاثة رجال بدلاً من إثنين أحدهما للهجوم والأخر للدفاع والثالث للقيادة وسلاح الهجوم فيها هو الرمح والقوس ، وسلاح الدفاع هو الدرع – وإلى جانب المشاة والمركبات كانت هناك فرق خفيفة للمساعدة مهمتها الهجوم المفاجئ الذي يتطلب سرعة الحركة وكانت تسلح بالقصى والسهام – ومن النقوش المصرية يتبين لنا أن الجيوش الحيثية كانت تشمل أيضاً فرقاً للمهمات وهذه تتمثل في عربات ثقيلة ذات أربع عجلات تجرها الثيران وعدداً من الحمير المحملة بالأثقال وقد ورد في النصوص الحيثية مايدل على وجود جنود للمعمار – وكان الأمر لايخلو دائماً من وجود عدد من الجنود المرتزقة . ويتسلح الجندي الحيثي العادي بسيف قصير وفأس للقتال ويرتدي خوذة لها غطاء للأذن وقد أثبتت الجيوش الحيثية كفاءة ومهارة حربية إلا أنها كانت تعتمد غالباً على مباغتة العدو واستغلال قدرة العربات الحيثية إلى أقصى حد ، وخير دليل على ذلك نجاحهم في موقعة قادش ضد المصريين في عهد " رعمسيس الثاني " – وعند حصارهم لمدينة ما كانوا يلجأون إلى وسائل فعالة كضربها بالمنجنيق وإقامة روابي مرتفعة يحملون إلى أعلاها معدات الحصار . أما عن وسائلهم الدفاعية فقد لمدنهم الطبيعة بأماكن منيعة لاتحتاج إلا لتقوية بسيطة وخاصة عند سفوح الجبال والتلال حيث كان يكتفي بجدران سميكة مزدوجة تبنى أمام الجزء المكشوف من التل والجدار الأمامي يكون عادة منخفضاً عن الجدار الخلفي (2) .

---

(1) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ، جـ 1 ، صـ 154 - 156 شافيه بدير ونور جلال : المرجع السابق ، صـ 239 – 244 .

(2) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـ 178 - 179 شافية بدير ونور جلال : المرجع السابق ، صـ 244 - 248

الديانة

يبدو أن المجتمعات المحلية الأولى التى نشأت فى آسيا الصغرى كانت تحتفظ باستقلالها الدينى واستمرت أماكن العبادة فيها دون مساس بمعبوداتها ، وكانت سياسة الملوك تدعو إلى رفع شأن تلك المعبودات كما انتحلوا لأنفسهم وظيفة الكاهن الأعظم لها حيث يقوم الملك بموكب سنوى يزور فيه أهم مراكز العبادات التى يحتفل فيها شخصياً بأعيادها الرئيسية . وقد جعل صيانة المعابد إحدى المهام الرئيسية التى يكلف بها حكام الأقاليم والقواد المحليين ، واستفادت أماكن العبادة بالطبع من وراء ذلك وزاد استقرارها وعظمت ثروتها وقد وجدت نصوص بالتعليمات التى كانت تصدر إلى الكهنة وخدم المعابد ونصوص تبين ما كان يقوم به أعضاء البيت المالك من مراسيم العبادة ، وكلها تدل على أن الطقوس المتبعة كانت دقيقة للغاية – ومع أن بعض الأساطير التى وردت إلينا تشير إلى الأدوار التى كانت تقوم بها الآلهة إلا أن معظم هذه لم تكن من المعبودات الرئيسية للدولة ، وحتى فى حالة وجود بعض تلك الألهه بين معبودات الدولة الرئيسية فإن أدوارها التى تنسب إليها كانت تختلف باختلاف النصوص – ومن المعبودات وخلصة الشعبية منها مالا نعرف عنها أو عن مراكز عبادتها إلا القليل . وتتميز معبودات الحيثيين ببعض المظاهر حيث يحمل الإله سلاحاً أو عله أخرى فى اليد اليسرى ورمز فى اليد اليمنى وقد يزود بأجنحة او زوائد أخرى أو يقف غالباً فوق حيوان مقدس . وليس من الغريب فى بيئة مثل أسيا الصغرى أن يكون إله الطقس إلهاً رئيسياً إذ انتشرت عبادته فى عدد كبير من المدن وهو يمثل غالباً راكباً مركبة بدائية تجرها الثيران على رؤوس الجبال التى مثلت فى هيئة البشر - وقد يرمز إليه بالثور الذى يصور واقفا وحيداً على مذبح وقد عبد فى الجزء الجنوبى من أسيا الصغرى (أى فى منطقة طوروس والسهول الشمالية من سوريا) الذى كان يسوده الحوريون باسم " تيشوب " وكانت له زوجة تعرف باسم " خيبات " وهى كانت لاتقل مكانة عن زوجها وقد مثلت فى هيئة سيدة تقف على أسد أحيانا ، وكان لها ولد يدعى " شاروما " – وإلى جانب هذه الالهه وجدت ألهة أخرى فى هذه المنطقة منها الإلهه " شاوشكا " أى عشتار الحورية ، وبعض هذه الألهة لم يعترف بها بين الألهه الحيثية . وفى قلب المملكة الحيثية أى منطقة الحيثيين الأصليين كان المعبود الرئيسى فى أغلب الظن هو إلهة الشمس بينما كان إله الطقس زوجاً لها ويأتى فى المرتبة الثانية ، ولهما إبنتان وحفيدة – أما إله الزراعة فقد إعتبر ابناً لإله الطقس وهو فى الأساطير الحيثية يشبه الإله أوزير فى الأساطير المصرية إذ بانسحابه تتوقف الحياة وبعودته تعود الحياة من جديد والمقصود من ذلك أن الشلل الذى يصيب الحياة الزراعية اثناء الشتاء فى أسيا الصغرى ترجعه الأساطير إلى انسحاب هذا الإله وعند عودته فى الربيع تعود مظاهر الحياة من جديد .وقد وجدت أسماء عدد كبير من الألهه التى لانعرف عنها شيئاً ، وربما كانت هذه أصلاً من الالهة المحلية عبدت فى المجتمعات المحلية الاولى التى كانت منفصلة بعضها عن العبض . اما الدين الرسمى فقد شمل مجموعة من الالهة ، فكانت الهة الشمس تعبد على انها ملكة " بلاد حاتى و السماء و الارض " ، " سيدة ملوك و ملكات بلاد حاتى ومرشدة الحكومة " ، اى انها كانت الحامية الرئيسية للدولة و الملكية – ومع هذا فقد صورت الأساطير اله الشمس على أنه ملك الآلهة ، و هو يأتى على رأس قوائم الآلهة التى تذكر فى المعاهدات فهو يعد إله الحق و العدل . وقد اعتقد الحيثيون كما اعتقد المصريون بأن إله الشمس يمر فى العالم السفلى من الغرب الى الشرق أثناء الليل ، و مما يثير الدهشة كذلك أن إله الشمس لم يكن زوجا لإلهة الشمس بل كان زوجها هو إله الطقس لأن هذا الأخير كانت عبادته واسعة الإنتشار وقد اعتبر " ملك السماء ورب بلاد حاتى " ، أى أنه كان هو الأخر حاميا للملكه و إليه يعزى النصر فى المعارك . و كانت أماكن العبادة الحيثية تتخذ أشكالا عديدة : فمنها ما كان مكشوفا به هيكل حجرى – و منها ما كان مبنيا بالاحجار الضخمة و تتكون من عدة غرف حول فناء مرصوف ، و بانفصل قدس الاقداس عن هذا الفناء حجرة بها فتحة تسمح للذين فى الفناء برؤية تمثال الاله فى محاربه الذى يقع فى الجدار البعيد لقدس الاقداس و ان كان الوصول الى هذا الاخير عن طريق باب فى احد الجدران الجانبية – و من المعابد مالا يمكن رؤية تمثال المعبود فيها من الفناء حيث أن الهيكل كان يقوم فى أحد جوانب المبنى ، و معنى هذا أن التعبد لاله المعبد كان قاصراً على أقلية مختارة ، و كانت معابد بعض البلدان تعد مقر الحكومة المدنية

فى نفس الوقت ولذلك كانت تضم عددا كبيراً من الموظفين المدنيين الى جانب الموظفين الدينيين ، و من جهة أخرى كانت هناك معابد صغيرة الحجم قليلة الاهمية بحيث يشرف كاهن واحد على عدد من هذه المعابد . و كان المعبد هو بيت الإله و الكهنة خدمه الذين يقومون يوميا بواجباتهم نحوه طبقا لنظام ثابت يختص كل منهم بطقوس معينة ، و على العموم كان يفترض فى كل منهم الطهارة التامة و لا يسمح لهم بقضاء الليل فى المدينة و الا تعرضوا إلى عقوبات تصل إلى الموت. وبما أن الإله لم يكن مجرد رب للمعبد بل رب الشعب وسيده كذلك كان لابد من تقديم قرابين و هدايا مختلفة رمزاً لاحترامه يقدمها الجميع استعطافا له و هناك من الإشارات ما يدل على وجود عادة الضحايا البشرية . و عندما يقوم الملك شخصيا بالاحتفال بعيد من الاعياد فى أحد المعابد تدون التعليمات التى تصف هذا الاحتفال وصفا دقيقا من بدء تزين الملك واستعداده للخروج الى هذا الاحتفال و السير فى الموكب إلى المعبد ودخول زوجة الملك و الحاشية إلى أماكنهم الخاصة وجلوس الملك و الملكة على العرش و هكذا إلى أن تنتهى الطقوس . وكانت العادة عند الدفن أن يحرق جسد المتوفى ثم تطفأ النار بالجعة و النبيذ ثم تحضر بعض النساء لجمع العظام و يغمسنها فى شراب خاص ثم يضعنها فى زيت طيب فى جرة فضية ، وبعد ذلك يخرجنها ثم تلف فى الكتان و توضع على كرسى ويقدم الطعام لمن جمع العظام كما يقدم الشراب لهم ولروح المتوفى ثلاث مرات و تصحب ذلك التضحية ببعض الماشية – ولاشك فى أنه كان هناك فرق بين ما يتبع فى دفن الملوك و ما يتبع فى دفن الافراد كما أن من المرجح أن ملوك الدولة القديمة لم يمارسوا حرق الجثث . أما الاساطير الحيثية فتنقسم إلى قسمين أحدهما يتعلق بالقضاء على قوى الشر و يتخلص فى أسطورة تسمى " ذبح التنين " و مؤداها أن التنين انتصر فى أول الامر على إله الطقس حسب رواية من الروايات و أنه لم يكتف بذلك بل أعجز إله الطقس بالاستيلاء على قلبه و عينيه حسب رواية أخرى – ولكن بمعاونة آلهة أخرى و بالحيلة استطاع إله الطقس أن ينتصر فى النهاية ، وربما كانت هذه الاسطورة تتلى فى الاحتفال السنوى بالربيع و هى و تشبه إلى حد كبير أساطير أخرى انتشرت فى أجزاء أخرى من الشرق الادنى القديم كانت تتلى أيضا فى احتفالات موسمية – أما القسم الثانى فيتعلق بعودة الحياة إلى الارض و هو يتمثل فى أسطورة تعرف باسم " أسطورة الاله المفقود " و هى تتخلص فى أن الحياه تتوقف على الارض بسبب اختفاء إلى الخصب ثم البحث عنه وبإعادته إلى بيته تعود الحياه إلى الارض . وإلى جانب هذه الاساطير كانت توجد أساطير أخرى ولكنها من أصل أجنبى غالبا و تقل أهمية عن تلك التى أشرنا اليها (1) .

الحياة الاقتصادية

تتنوع مظاهر البيئة فى أسيا الصغرى ، فالهضبة الوسطى يصعب الاستقرار فيها الا فى أودية الانهار ، أما على الجبال فالمجال للاستقرار محدود للغاية لخلوها من الاشجار وشدة البرودة و قسوة المناخ فيها ، و على هذا فإن الموطن الذى استقر فيه الحيثيون كانت تكثر به القنوات و الاودية اعتمد فى حياته الاقتصادية على الزراعة قبل كل شيء – ومما يؤيد ذلك أن القوانين الحيثية حفلت بالكثير من المواد المتعلقة بالزراعة و ما يرتبط بها – غير أن سلاسل الجبال الضخمة سرعان ما ظهرت مواردها و كان غناها بالمعادن سببا فى استغلالها ، فالتجار الاسوريون الذين عاشوا فى منطقة " كبدوشيا " كانوا يصدرون النحاس ، كما أن الفضة كانت متوفرة الى درجة سمحت باستخدامها كعملة – ومع أن الحديد كان متوفراً أيضا الا أن العجز عن صهره و تنقيته لم يجعله شائع الاستعمال فكان يستعاض عنه فى صناعة الاسلحة بالنحاس و البرونز ولهذا عد الحديد من المعادن الثمنية ، ورغم أن النصوص تشير الى سيوف و ألواح

(1) محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 180 - 187 ، شافيه بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صـــ 249 - 266

كتابة و تماثيل حديدية الا أن ما عثر عليه من هذه كان نادراً – و من المحتمل أن تلك المصنوعات كانت تقدم كهدايا ملكية ولم يتقنها الا عدد قليل من الصناع . و كان وجود مثل هذه المعادن سبباً فى نشاط التبادل التجارى بين آسيا الصغرى و غيرها من الأقطار ، فبعض النصوص تشير إلى انتقال التجار الحيثيين إلى خارج بلادهم كما أن بعض المعادن و خاصة النحاس كانت تصدر إلى بلاد النهرين فى مقابل المنسوجات و الصفيح (1) .

العلوم و الفنون

مما لاشك فيه أن اللغة الحيثية كانت مثار جدل كثير ولم تعرف صلتها باللغات الهندو أوربية إلا بعد فترة طويلة من البحث ، وقد تبين أنها فرع من اللغات الهندوأوربية بصفة مؤكدة منذ عهد قريب و إن كانت تحتوى على بعض الألفاظ الأجنبية – ويبدو أن هذه اللغة لم تستخدم في المكاتبات الرسمية إلا قليلا واستخدمت بدلا منها لغات أخرى ، و مع هذا فإن بعض الكتابات و خاصة تلك التى تعرف باسم الهيروغليفية الحيثية لم يمكن تفسيرها تفسيراً مرضياً حتى الآن ، و الظاهر أن قيام الدولة على أساس مجدها العسكرى لم يتح الفرصة لوجود نهضة أدبية كبيرة فقد عثر على قصص بسيطة بدائية ، كما أن بعض الروايات و الاساطير و القصص القصيرة أيضا ترجع إلى أصول بابلية و حورية – ولم يترك الحيثيون مع الاسف ما يعطينا فكرة عما توصلوا إليه فى المعارف المختلفة كالهندسة و الفلك و الطب و غيرها . أما فى الفنون فإن أقدم ما عثر عليه لا يستحق الذكر و خاصة لأنه من إنتاج مستوطنين يرجح أنهم كانوا قبل مجىء الحيثيين – ولا يمكن أن نعتبر المنتجات الفنية حيثية إلا بابتداء عهد الامبراطورية تقريبا . فإن النحت لم يبدأ إلا مع الامبراطورية و مع ذلك فإنه لم ينته بزوالها ، و من المرجح أن الحيثيين تأثروا فى بعض أساليبهم الفنية بما كان متبعا فى شمال بلاد النهرين و سوريا . و قد بلغ فن النقش مرتبة عالية فى التطور – ومع هذا فإن الأختام الاسطوانية التى كانت تستخدم فى حفر الرسوم على الألواح الطينية كانت من اختراع بلاد النهرين . و عند بداية المملكة الحديثة ظهرت نقوش غائرة على الحجر يصاحبها خط هيروغليفى . و مما يلاحظ أن الفنان كثيراً ما يلجأ إلى تمثيل الأشخاص متجهين سواء فى موكب أو موكبين نحو نقطة واحدة ، وقد اتبع الفنان طريقة الرسم التى كانت سائدة لدى معظم الشعوب البدائية إذ كان يصور الاشخاص بحيث يبدو الجذع من الامام و الرأس و الأقدام من الجانب ، وربما كان هذا الوضع أيسر طريقة للتعبير عن أقرب الاشكال تمثيلا لصاحبه – و عند تصوير مجموعة من الاشكال كانت القاعدة التقليدية تظهرهم و كأنهم يسيرون قدما إلى الأمام نحو مركز معين – وقد أخطأ الفنان الحيثى كما أخطأ الفنان المصرى فى تصوير حركة الأشخاص بأن جعل الذراع اليسرى تمتد مع القدم اليسرى فى حالة جعل هذه الاخيرة تمتد إلى الأمام تمثيلاً للبدء بها فى السير و هو وضع غير طبيعى و من الملاحظ عموما أن أشكال الأشخاص و الحيوانات و الكائنات الأخرى تبدو غالبا كأنها مضغوطة الأعضاء أو بعبارة أخرى تتميز بالقصر و الامتلاء أو عدم التناسق وربما يوحى ذلك بأن الفنان الحيثى القديم كان خاضعاً لتقاليد لم يستطع التحرر منها ، و من المرجح أن هذه التقاليد ترتبط ببعض النواحى الدينية – ومما يزيد ذلك أن كثيراً من الأشكال التى صورها كانت تبين أشكالا خرافية ، و من هذه تماثيل كانت يمثل قرصا مغطى برسوم هندسية تعلوه رقبة طويلة أو رقبتان أو ثلاثة تنتهى كل منها برأس وقد تختزل الرأس فتصبح فى هيئة عينين فقط ، وربما كان الحيثيون يتصورون أن نقوش و تماثيل الكائنات الحقيقية و الخرافات التى خلقوها تهيىء لهم تحقيق أغراض سحرية ، و من هذه تماثيل فى هيئة أسود و أخرى فى هيئة أبو الهول بوجوه آدمية ، كذلك منها أشكال مجنحة ، قد يكون لها أكثر من رأس أحيانا وبعضها كان يفترض فيها أنها كانت قائمة عند مداخل المعابد أو القصور للحماية و البعض الأخر يفترض مما تمثل بعض الآلهة (2) .

---

(1) محمد بيومى مهران : حضارة الشرق الادنى القديم ، جـ1 ، صـــ 377 – 380 ، محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 187 – 188

(2) شاليه بدير و نور جلال : المرجع السابق ، صـــ 266 – 274 ، محمد أبو المحاسن عصفور : المرجع السابق ، صـــ 188 – 192

المراجع المختارة

أولاً : المراجع العربية

1 – القرآن الكريم
2 – ابن الكلبى (أبو المنذر هشام بن محمد) : كتاب الأصنام ، الدار القومية ، القاهرة 1965
3 – ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) تاريخ ابن خلدون ، بيروت 1971
4 – ابراهيم نصحى : دراسات فى تاريخ مصر
5 – أحمد الحوفى : المرأة فى الشعر الجاهلى ، القاهرة ، 1945
6 – أحمد أمين سليم : دراسات فى تاريخ ايران القديم و حضارتها ، جـ1 ، بيروت 1988
7 - ـــــــ : جوانب من تاريخ و حضارة العرب فى العصور القديمة ، الأسكندرية 1996
8 - ـــــــ : تاريخ العراق – ايران – أسيا الصغرى ، الأسكندرية 1998
9 – أحمد بدوى : فى موكب الشمس ، جـ2 ، القاهرة 1950
10 – أحمد فخرى : اليمن ماضيها و حاضرها ، القاهرة 1957
11 - ـــــــ : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ، القاهرة 1963
12 - ـــــــ : أحدث الأكتشافات الأثرية الحديثة فى اليمن
13 - ـــــــ : مصر الفرعونية ، القاهرة ، 1971
14 – أحمد مختار عمر : تاريخ اللغة العربية فى مصر ، القاهرة ، 1970
15 – إسرائيل و لفنسون : تاريخ اللغات السامية القاهرة 1929
16 – الألوسى (السيد محمود شكرى) : تاريخ الأدب فى معرفة أحوال العرب ، 3 أجزاء ، القاهرة 1924 – 1925
17 - ـــــــ : تاريخ نجد
18 – الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل و الملوك ، دار المعارف القاهرة ، 1967 – 1969
19 – الفيروزأبادى (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ، جـ4 ، القاهرة 1952
20 – المقريزى : البيان و الأعراب عما بأرض مصر من الأعراب ، القاهرة ، 1961
21 – القلقشندى (أبو العباس أحمد بن على) : صبحى الأعشى فى صناعة الإنشاء ، القاهرة 1913 – 1914
22 – الهمدانى (أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) : الأكليل ، جـ1 ، القاهرة 1963
23 - : صفة جزيرة العرب ، الرياض 1974
24 – توفيق سليمان : دراسات فى حضارات غرب أسيا القديمة
25 – جرجى زيدان : العرب قبل الأسلام ، بيروت 1968
26 – جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الأسلام ، عشرة أجزاء ، بيروت ، 1968 – 1971
27 – جوده حسنين جوده : شبه الجزيرة العربية ، دراسة فى الجغرافية الأقليمية ، الأسكندرية، 1984
28 – حسن ظاظا : الساميون و لغاتهم ، الأسكندرية ، 1971
29 – خليل يحيى نامى : نقوش سامية قديمة من جنوب بلاد العرب و شرحها القاهرة ، 1943
30 - ـــــــ : أصل الخط العربى و تطوره ماقبل الأسلام ، القاهرة ، 1935
31 – رمضان عبده على السيد : تاريخ الشرق الأدنى القديم
32 – سامى الأحمدى : نظرة فى جغرافية شبه الجزيرة العربية – مجلة العرب ، العدد السابع ، الرياض ، 1969
33 – سعد زغلول عبد الحميد : فى تاريخ العرب قبل الأسلام ، بيروت ، 1975
34 – شافيه بدير و نور جلال : تاريخ الشرق الأدنى القديم
35 – طه حسين : فى الأدب الجاهلى ، القاهرة ، 1933
37 – عباس العقاد : الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان و العبريين ، القاهرة ، 1960
36 – ـــــــ : مطلع النور ، القاهرة ، 1968
38 – عبد الحميد زايد : الشرق الخالد ، القاهرة ، 1966

39 – عبد الستار الحلوجي : مدخل لدراسة المراجع ، القاهرة ، 1974
40 – عبد الرحمن الأنصاري : لمحات عن القبائل البائدة فى الجزيرة العربية ، الرياض ، 1969
41 – ———— : لمحات عن بعض المدن القديمة فى شمال غربى الجزيرة العربية ، مجلة الدارة ، العدد الأول ، الرياض ، 1975
42 – عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ، جـ1 ، القاهرة ، 1990
43 – ———— : المرأة فى النصوص و الآثار العربية القديمة ، الكويت ، 1985
44 – ———— : تاريخ شبه الجزيرة العربية فى عصورها القديمة ، القاهرة ، 1992
45 – عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، جـ1 ، القاهرة ، 1967
46 – عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، القاهرة ، 1966
47 – على عبد الواحد وافى : الأسرة و المجتمع ، القاهرة ، 1945
48 – عمر فروخ : تاريخ الجاهلية ، بيروت ، 1964
49 – فؤاد حمزة : قلب جزيرة العرب ، الرياض ، 1968
50 – لطفى عبد الوهاب يحيى : العرب فى العصور القديمة ، الأسكندرية ، 1990
51 – محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم ، الأسكندرية
52 – ———— : معالم حضارات الشرق الأدنى القديم ، الأسكندرية
53 – محمد بيومى مهران : " الساميون و موطنهم الأصلى " مجلة كلية اللغة العربية – جامعة الأمام محمد بن سعود الأسلامية ، العدد الرابع ، الرياض ، 1974
54 – ———— : " العرب و علاقاتهم الدولية فى العصور القديمة " مجلة كلية اللغة العربية و العلوم الأجتماعية ، العدد السادس ، الرياض ، 1976
55 – ———— : دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ، أسرائيل ، جـ2 ، الأسكندرية ، 1978
56 – ———— : الديانة العربية القديمة ، الأسكندرية 1978
57 – ———— : الحضارة العربية القديمة ، الأسكندرية 1996
58 – ———— : تاريخ العرب القديم ، الأسكندرية ، 1998
59 – ———— : حضارات الشرق الأدنى القديم ، جـ1 ، الأسكندرية ، 1999
60 – ———— : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، جـ1 ، الرياض
61 – محمد توفيق : آثار معين فى حوف اليمن ، منشورات المعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1951
62 – محمد عبد اللطيف : المراكز الأشورية فى وسط آسيا الصغرى فى العصور الأشورى القديم ، الأسكندرية
63 – محمد عبد القادر : ايران منذ فجر التاريخ حتى الفتح الأسلامى ، القاهرة ، 1979
64 – محمد عبد المعيد خان : الأساطير العربية قبل الأسلام ، القاهرة ، 1963
65 – محمد مبروك نافع : تاريخ العرب – عصر ماقبل الأسلام ، القاهرة ، 1952
66 – محمود طه أبو العلا : جغرافية شبه الجزيرة العربية ، جـ1 ، القاهرة ، 1956
67 – مصطفى العبادى : تاريخ العرب قبل الأسلام ، بيروت ، 1984
68 – مصطفى كامل الشريف : عروبة مصر من قبائلها ، القاهرة ، 1965
69 – نجيب ميخائيل : مصر و الشرق الأدنى القديم ، الأسكندرية ، 1963
70 – ياقوت الحموى : معجم البلدان ، بيروت ، 1957

ثانياً : المراجع المترجمة إلى العربية

- إدوارد جيبون : إضمحلال الأمبراطورية الرومانية و سقوطها ، القاهرة ، 1969
- أرثركريستنس : ايران فى عهد الساسانيون ، معرب بالقاهرة ، 1957
- ألويس موسيل : شمال الحجاز ، معرب بالأسكندرية ، 1952
- برنارد لويس : العرب فى التاريخ ، معرب بيروت ، 1954
- جاكلين بيرين : لاكتشاف جزيرة العرب ، معرب بالقاهرة ، 1963
- جرنى : الحيثيون ، معرب بالقاهرة ، 1963
- حسن بييرينا : تاريخ ايران القديم ، معرب بالقاهرة ، 1979
- ديتلف نلسن و أخرون : التاريخ العربى القديم ، معرب بالقاهرة ، 1958
- ريجيسى بلاشير : تاريخ الأدب العربى ، معرب بيروت ، 1956
- رينيه ديسو : العرب فى سورية قبل الأسلام ، معرب بالقاهرة ، 1959
- سبتينو موسكاتى : الحضارات السامية القديمة ، معرب بالقاهرة ، 1968
- فرينز هومل : تاريخ العرب القديم
- فيليب حتى : تاريخ سورية و لبنان و فلسطين ، معرب ببيروت ، 1958

ثالثا المراجع الأجنبية

1. Albright , W.F., and Iambdin , T.o., " The Indo – Hittite Family " in CAH.,VOL., I, Cambridge, 1970 .
2. Alibright ,F., 8 Bowen, G.A ., Archaeological Discoveries in souabia, balitmore, 1958 .
3. Amiet, Les Civilisations Antiques du Proche, Orient, Paris , 1971 .
4. Ammar,A., The People of shargiya , cairo , 1944 .
5. Balkan , k., Letter of King Anum – Hirbi of Mama to King Warshama of Kanish , Ankara , 1957 .
6. Beeton , A.F.I., A Descripitive Grammar of Epigraphic South Arabian , London , 1962 .
7. Blegen ,C.W., " The Geographical Distribution of Prehistoric Remains in Greece , 1929 .
8. Breasted , J.H ., Ancient Records of Egypt , VOL ., IV , Chicago, 1907 .
9. ____________ , A History of Egypt , 1946 .
10. Chr . et , J., Palou , La Perse Antique .
11. Contenau , Les civilizations des Proche , Orient , Paris , 1963 .
12. Cooke , G.A., Palmyrain encylopaedia , Biblica , 17 , 1964 .
13. Diodorus , Siculus , II .
14. Dhraome , E., Palmyra dans Les Texts Assyrians , Rb , 1924 .
15. Enver , Y., " Researches on the Mediterranean Coast of Anatolia . A New Palaeolithic site at Beldili near Antalya , in Anatolia , VOL ., 4 , 1959 .
16. Erman , A ., The Literature of the Ancient Egyptian , 1927 .
17. Fakhary , A., Archaeological Journal to Yemen , cairo , 1952 .
18. Filliozet , Les Sciences Greoques clans le Empire Achemenid la Civilization , Iranienne .
19. Foster , C., The Historical Geography of Arabia , II .
20. Furness , A., " Some Early Pottery of Sames , Kalimnos and Chios " in P.P . S ., vol ., 22 , 1956 .
21. Gardiner , A . H ., The Kadesh Inscriptions of Ramesses II , Oxford , 1960.
22. ____________ , Egypt of the Pharahos Oxford , 1964 .
23. Garrod , D . A . E ., " Primitive man in Egypt , Western Asia and Europe in Palaeolithic Times " in CAH ., VOL ., I .
24. Gibbon , E ., The Decline and Fall of the Roman Empire , London , 1950 .
25. Goetze , A ., " Cilician " in JCS ., 16 , 1962 .
26. ____________ , " Anatolia from shuppiluliumash to Egyptian War of Muwatallish " in CAH , VOL ., II , Cambridge , 1980 .
27. Gurney , O . R ., " Anatolia C , 1750 – 1600 B . C . " in CAH., VOL . II Cambridge , 1973 .
28. Gurney , O . R ., The Hittites (Penguien Book) , 1981 .

29.Guterbock , H . G ., " The Hurrian Eloment in the Hittite Empire " in J.W.H., VOL ., II , 1954 .

30.______________ ," The Deedsof Suppiluliuma as told by hisson, Mursili II in JCS., 10 , 1956 .

31.Hommel , F., Geographic und Geschichte des Alten Orients , I .

32.Kansu , " stone – Age Cultures in Turkey " in AJA., VOL . 51 , 1947 .

33.Kansu , " Nouvelles Decouvertes Phrehistoriques dans les Enviros D . Ankara , Istambul 1937 .

34.Kent , R . G ., JNES ., II , 1943 .

35.Kindtzon , J . A ., Die El – Amarn Tefelm , Leipzig – 1915 .

36.Konzay , H . K ., Les Fouilles D . Alaca Huyuk , Ankara , 1951 .

37.Laroche , E ., " Catalogues des Textes Hittites " in R . H . A ., XIV.

38.Lie , A . G ., The Inscriptions of Sargon , II .

39.Luckenbi , D . D ., Ancient Records of Assyria and Babionia , Chicago , 1927 .

40.Mellaart , J ., "Anatolia before 4000 B . C ., " in CAH .,VOL .I.

41.______________ , " Excavations at Hacilar " Fourth Preliminary Report" in A . st ., II, 1961 .

42.________ , Earliest civilization of Near East , London , 1965

43.______________ , " Excavations at Catal Huyuk " in A . st , VOL .,12,1964 .

44.______________ , " Early cultures of the south Anatoilan Plateau " in A . st ., II 1961 .

45.______________ , " Some Early Pottery of Samos , Kalimnos and Chios " in PPS ., VOL ., 22 , 1956 .

46.______________ , " Preliminary Report on a Survy of Pre - Classical Remains in south Turkey , in A . st , 4 1954 .

47.______________ , " The Royal Treasure of Dorak " in III Ldn new 28 NOV ., 1959 .

48.Mercer , S ., The Tell el – Amarna, Tablets, I .

49.Musil ,A ., in the Arabia Desert ,N . Y ., 1930 .

50.______________ , Palmyrena , N .Y ., 1930 .

51.Noblecourt , C .D ., Tutankhamun , London , 1963 .

52.Ozguc , T ., " The la dagger of Anitta " in Belleten , XX , 1965 .

53.Philby , J . B ., The Background of Islam Alexandria , 1947 .

54.______________ , Sheba's Daughters , London , 1939 .

55.Philips , W , Qataban and Sheba , London , 1955 .

56.Pirenne , J ., La Royaume Sud – Arabe de Qataban et sa Datation , Louvain , 1961 .

57.Pritchard , J . B ., Ancient Near Eastern Relating to the Old Testament ' Princeton , 1971 .

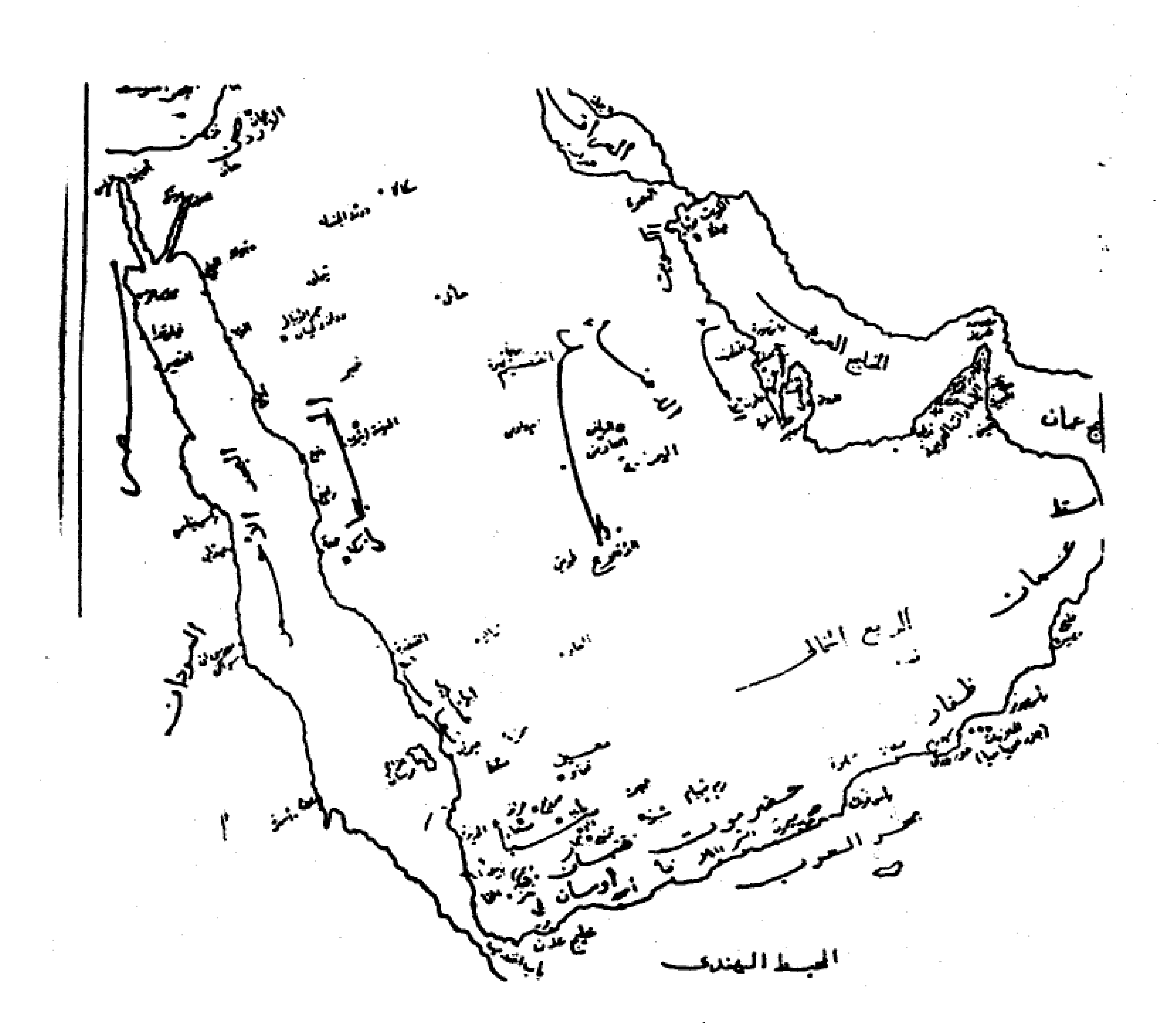
58.Roth , C., A History of Jewish People , London , 1969 .

59.Smith , W . R ., Kingship and Marriage in Early Arabia , London 1907 .

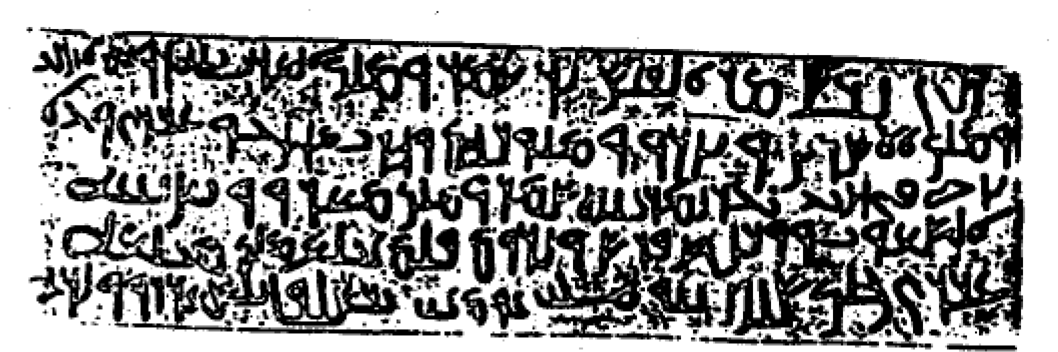
60. , A Dictionary of the Bible , I .

61.Stracky , J ., Palmyreniens ,Tourni , 1956 .
62.Wilson , J ., " Egyptian Treaty " in ANET .
63.Wright , W ., A account of Palmyra and Zenibia with Travels Adventures in Bashan and the Desert , 1896 .

أشكال شبه الجزيرة العربية



ـ نموذج لنصب مدون بالخط المسند من مدائن صالح .

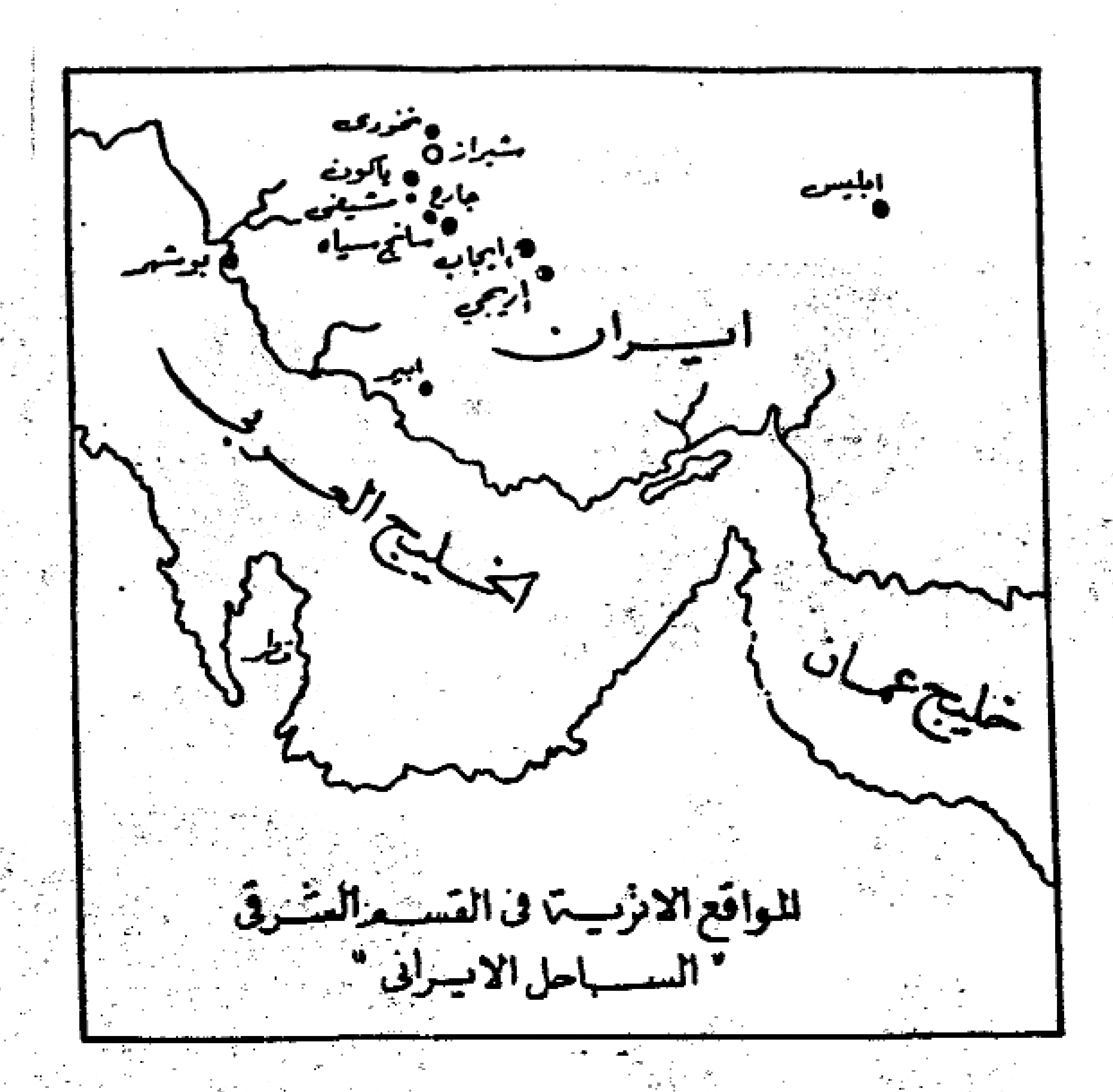


ـ نص بالخط النبطي المتطور للملك امرىء القيس بن عمرو .

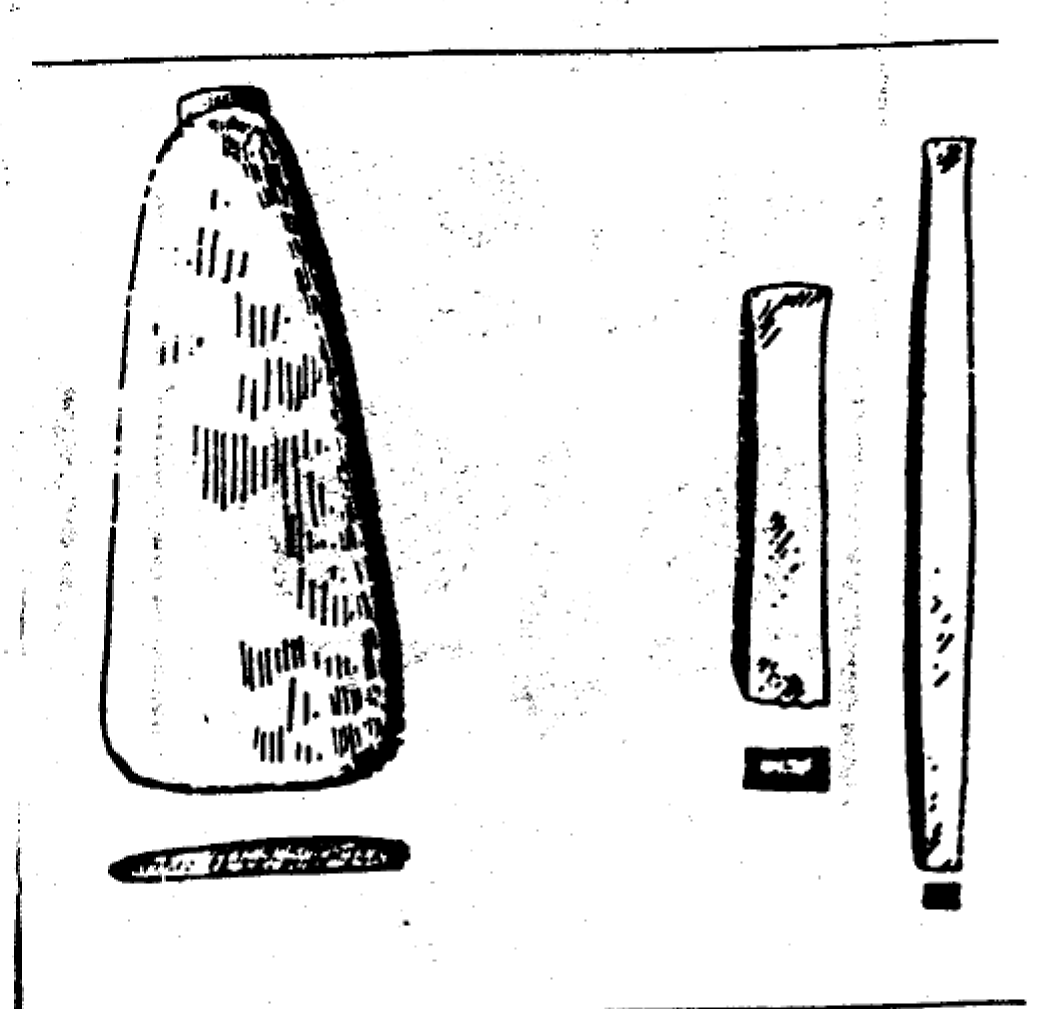
أشكال إيران


بحر
قزوين
دمغان
مشهد
صحراء الملح
اصفهان
خوزستان
إيران

الإمبراطورية الفارسية
في عهد
داريوس واكزركسيس
سوجدا
بارسا
(فارس)
عرابيا
مصر
ليديا
الأثيوبية
المملكة



المواقع الاثرية فى القسم الشرقى
" الساحل الايرانى "



نموذج للأزاميل والفؤوس النحاسية من الطبقة الأثرية الخامسة في سيالك





بعض الأدوات الحجرية من كهف تانجي با

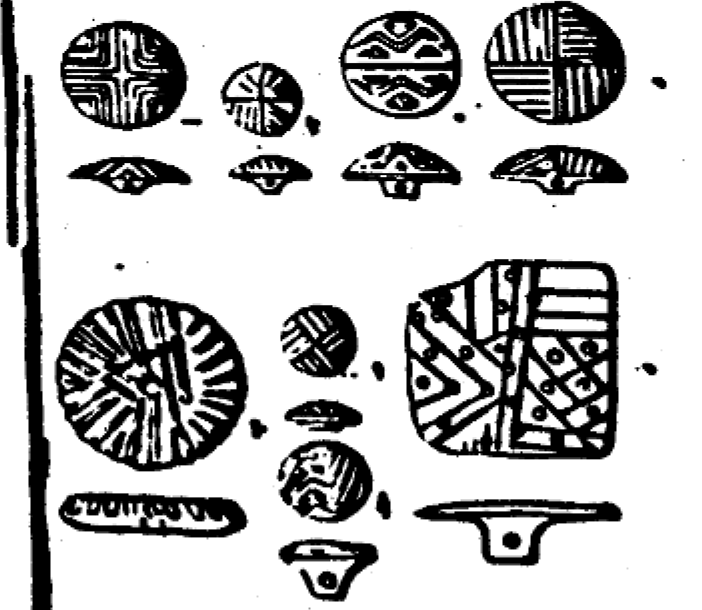


ـ [illegible] الزخرفة [illegible]

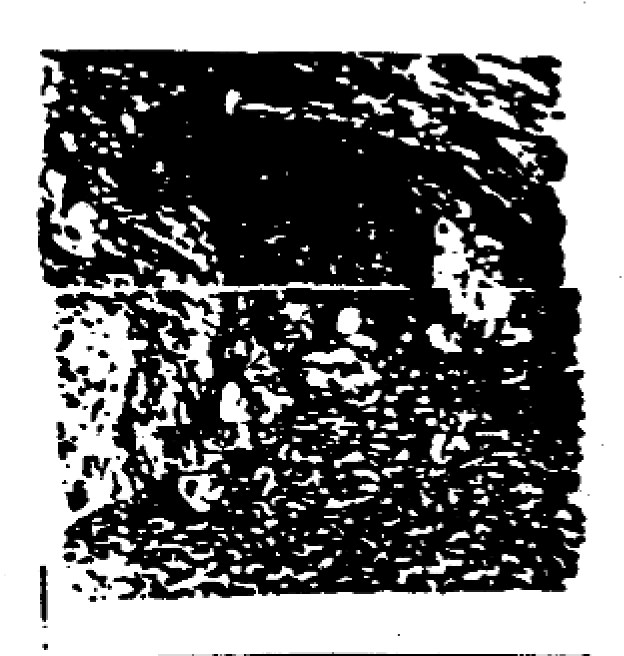
ـ نماذج من أواني فخارية [illegible]



أختام [illegible] زخارف هندسية الشكل.

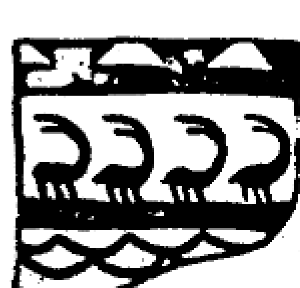


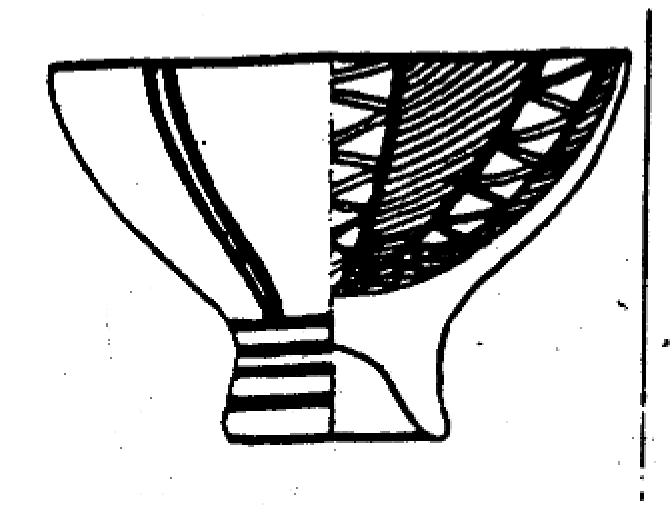
[illegible]



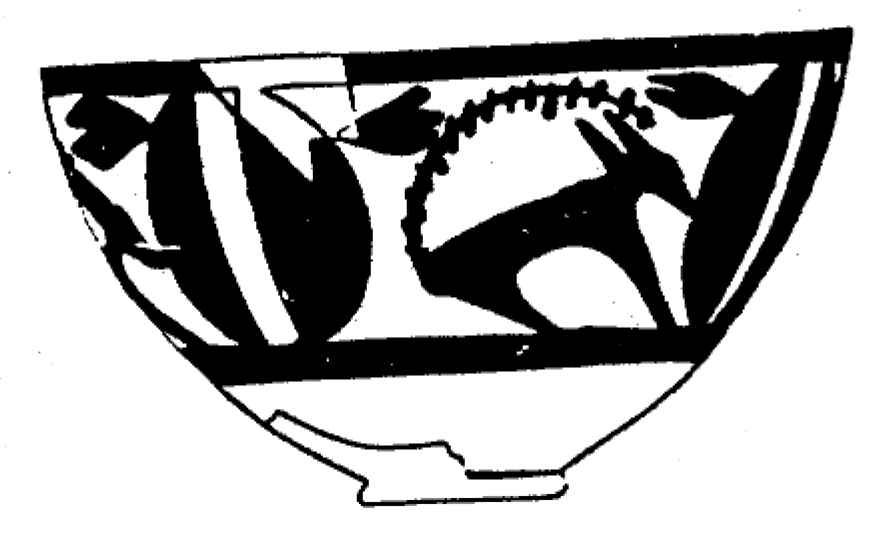
منظر [illegible] الكهف [illegible]

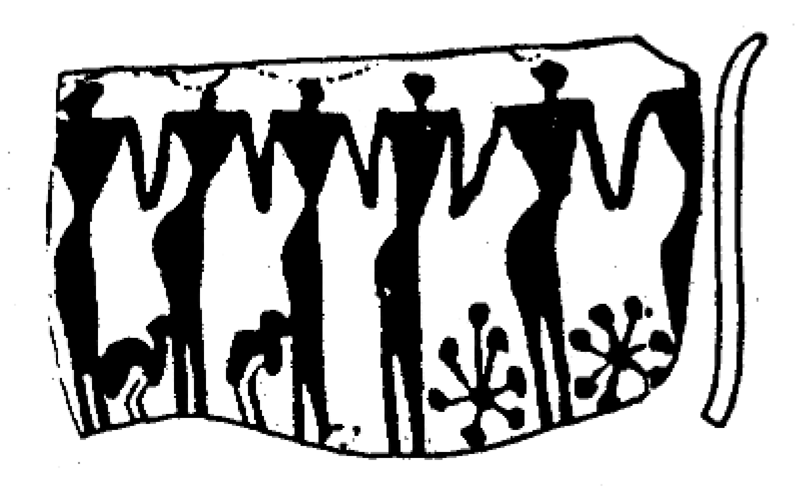


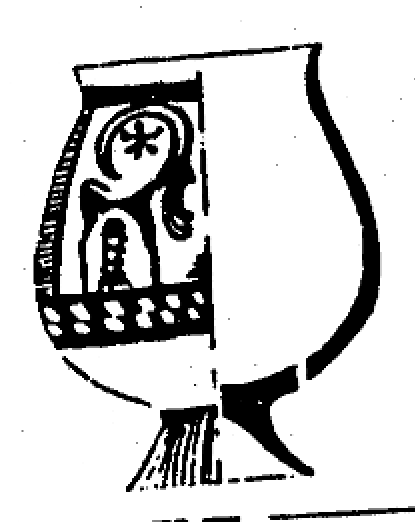




بعض نماذج الأوان وزيناتها من المرحلة الحضارية الثانية





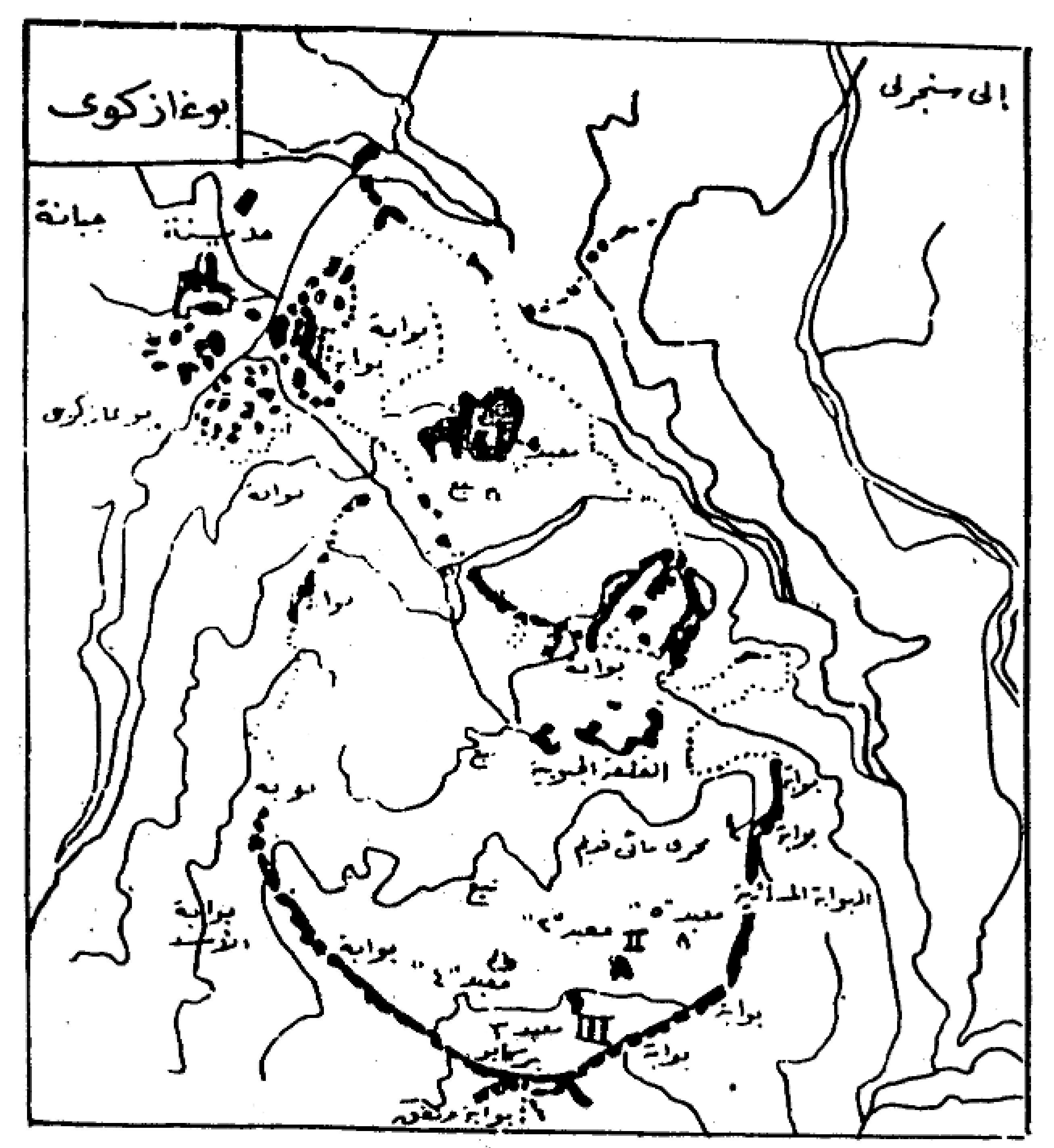




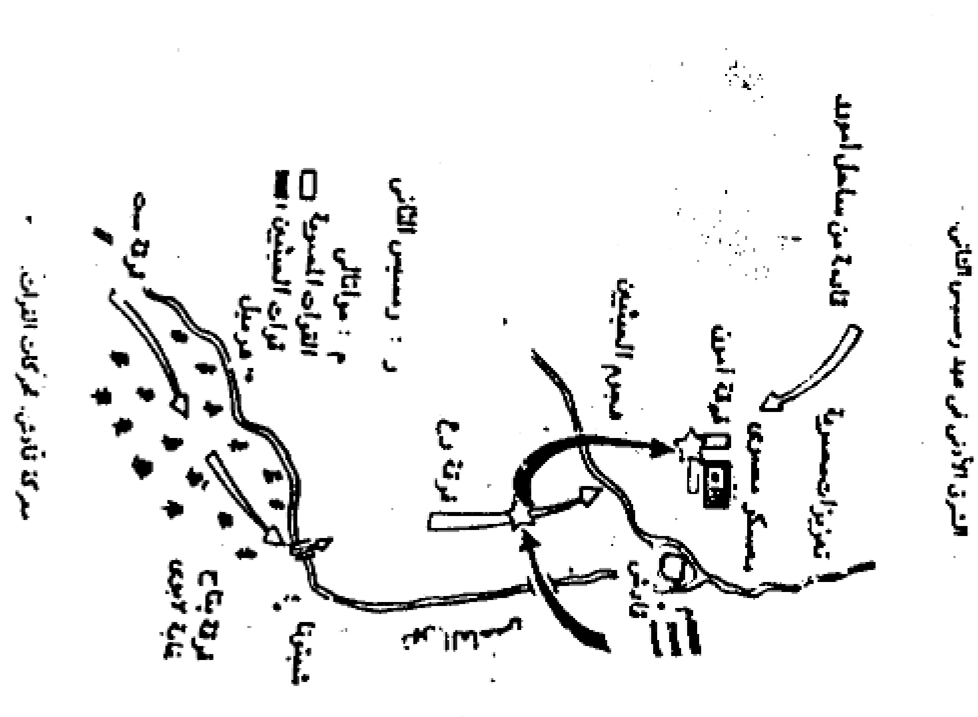
آنية من سيالك ٣

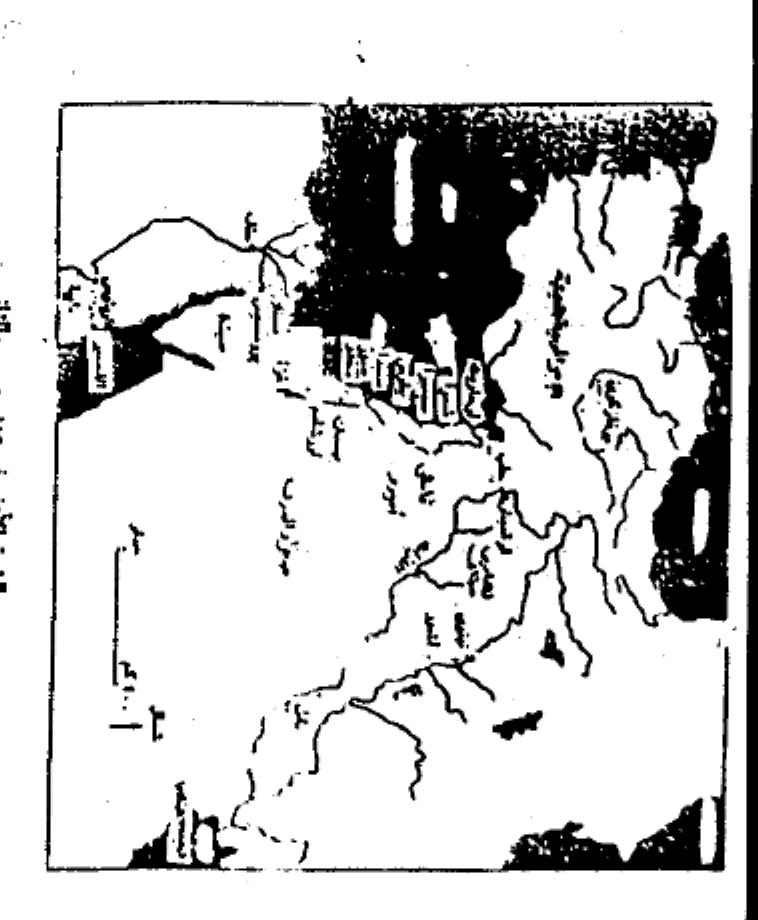
بعض زينات الأواني من المرحلة الحضارية الثالثة في إيران

اشكال آسيا الصغرى



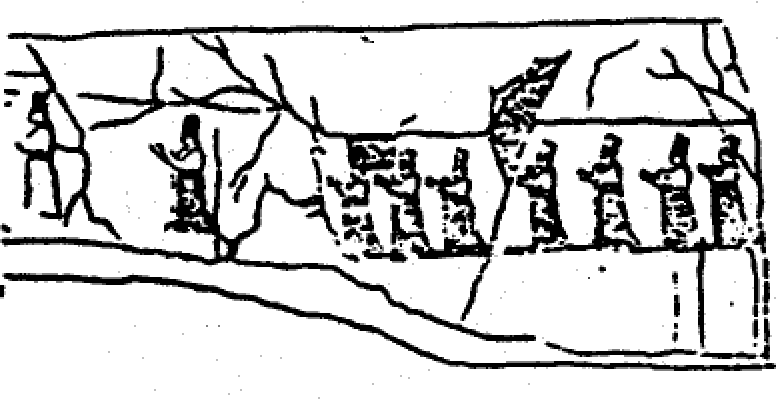
خريطة بوغاز كوى (خاتوشاش)

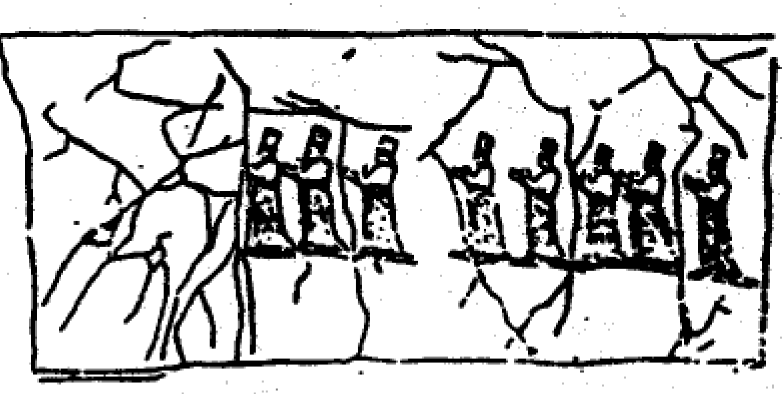




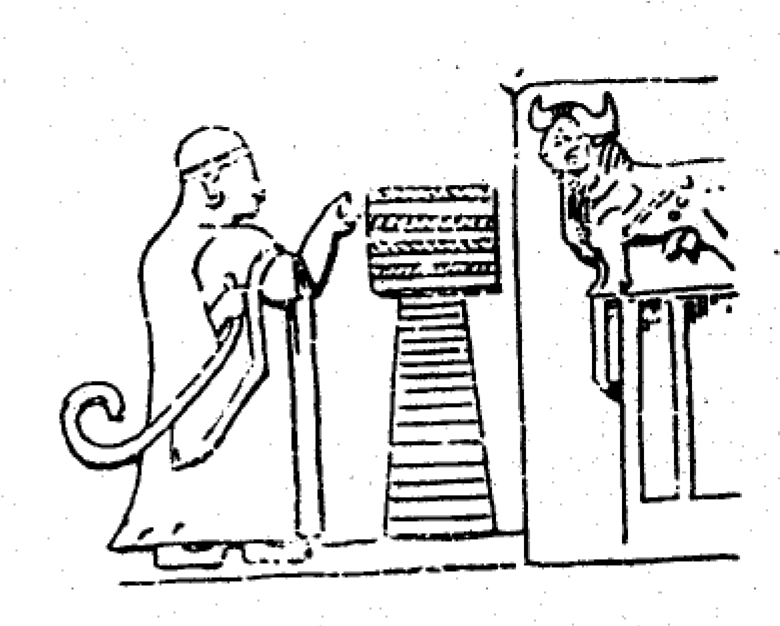








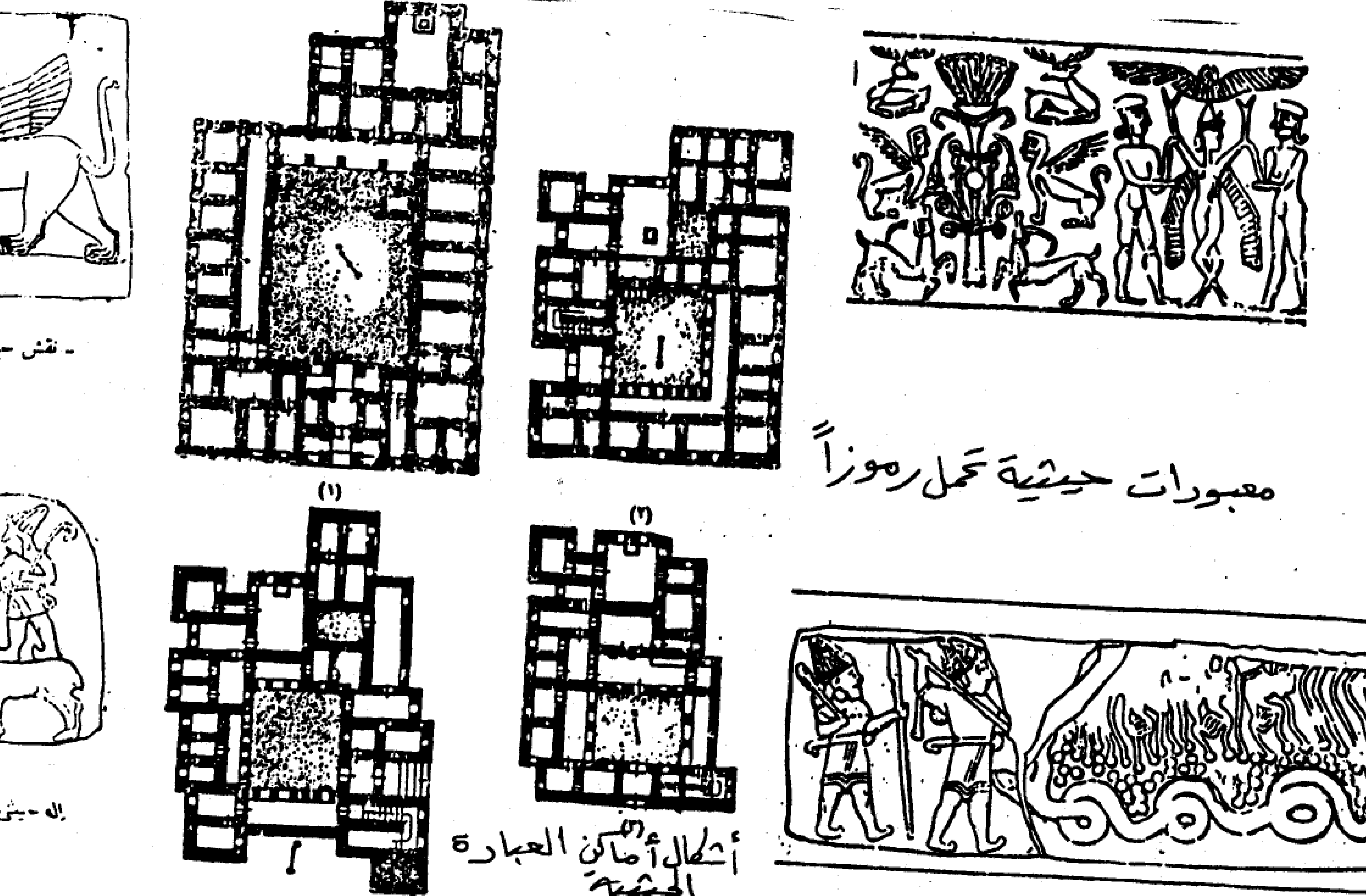
نقوش حيثية من بوغاز كوي







نقوش حيثية من بوغاز كوي



معبودات حيثية تحمل رموزاً

أشكال أماكن العبادة الحيثية

ـ نقش حيثي من قرقيش

إله حيثي